AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00980 3390

99-66302
put Nov 22 h

مارون عبّود

جُدُدٌ وَقُدَمَاء

دراسات، ونقد، ومناقشات

دار الثقافة ببيروت

٨١٠,٩
٤٣. جد

51442

مارون عبود

PJ
7538
A17
1954
'Abbūd, Mārūn
Judud wa-qudamā'

جُدُدٌ وَقُدَمَاءُ

دِرَاسَاتٌ، وَنَقْدٌ، وَمُنَاقَشَاتٌ

لم نكن في ايامنا ننتقد بنزاهة كما يجب. كانت تأخذنا في بعضهم هوادة، احياناً، فكم غضضنا النظر، وكم غمرنا العالم والمتعالم بفيض من التقريظ والثناء.

ان واجب الناقد هو ان يعرف كيف يجد الخطأ، وان ينتقد حيث يجب الانتقاد.

اناتول فرانس

دار الثقافة بيروت

الأدب الساخر

كما تقتضينا بعض الحفلات والسهرات طرازاً معلوماً من الثياب كالسموكن وغيره ، او لوناً خاصاً على الاقل كالاسود او الكحلي ، هكذا قضى تقادنا على احفاد امرىء القيس ، فأمسى الشاعر كالقطار الحديدي ان تنكب عن سكته وخطوطه بضع سنتمترات تدهور وتحطم .

وكما ان في اوروبا ثياباً معدة تستأجر لتلبس في تلك الحفلات ، هكذا استعار شعراؤنا بزاتهم من عند امرىء القيس ليمثلوا بها في ديوان العرب . بقي مخزن الملك الضليل مشرّع الابواب مئات السنين ينتقي منه الغادي والرائح ثوباً على قده فتنفتح له ابواب القصور ويهتك دونه الحجاب الصعب . وظلت صفة الطلول قيد التجويد والتنقيح ادهاراً كأنها احد اكتشافات باستور التي نجت البشر من اعدائهم غير المنظورين . وكان عنترة ذلك الغراب الغريد اول من شك في هذا المذهب الشعري ، وما علينا لو سميناه (الطقس الادبي) ، فالشعراء طقوس يمارسونها بورع وخشوع . شك عنترة وآمن في مطلع مطولته المشهور :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

وكأنه لم يطمئن ففتش عن مرعى لقريحته فرآه في جلده فاستغله ، والارض السوداء مغلال .

واستيقظ العصر العباسي الاول ، وهو عصر الثورة في الادب العربي ، فتفتحت عيون شعرائه الخلعاء على حضارة مجنونة بالترف والجمال ، ففطموا انفسهم عن الحليب واللبن وعبدوا الاحمرين : الخمر واللحم . وكان شك وكان مجون وكانت حرية بعيدة

المدى ولكن الى اجل مسمى . فتقديس القديم من سجـــايا الناس الرئيسية، وهو منبع العبودية .

ثم همـــدت تلك الثورة بانطواء سجل هذه العصابة ، وعاد الشعر بعدها الى تزمته فخلع ثياب المرافع ليلبس البجاد المفروض ، فعاد الشعر الى سمته لا يتعداه الا بمقدار محدود ، فدار شعراؤنا على انفسهم في حلقة ضيقة اختطها لهم القـــدماء كأنهم اجرام النظام الشمسي ، كل في فلك يسبحون .

واذا كان النثر كالمشي ، والشعر كالرقص، فجل شعرنا رقص الدراويش . اغراض موجزة كحياة البدوي . في ناقته تتجمع كل مرافق حياته ، من وبرها يكتسي ، ومن درها يغتذي ، وبفحمها يصطلي... وهي مركبه اذا اسرى ، وخيمته اذا لذعه الهجير، فمن يلومه ان وصفها جملة وتفصيلا ، ومن ذا يعنفه ان استبدّت صورتها بخيـــاله ، فتجلت لنا في تعابيره . فلو لم تخصه الطبيعة بذوق سليم لاضـاف : لله وبرها وبعرها الى لله درها ، واورثناها .

ليس هذا عجيباً ، ولكن العجيب الغريب هو ان يفرض اناس اوليون اساليبهم على من سكنوا الدور والقصور من ذريتهم ، فانحلت الشخصية العربية ، وذابت في خطة امرىء القيس فلم يخرج عليه غير نفر قليل . وقف هـــذا النفر في باب الصيرة وتنشقوا الهواء النقي قليـــلا ، فلا يستسلمون الى سجيتهم حتى يتذكروا الوقار والترصن المفروضين فيخلعوا مباذلهم ليندسوا في بزة الشعر الرسمية ، وهذا « مالوش » الادب العربي و « فيلكسورا » الشعر .

تتراءى الشخصية في خلفاء امرىء القيس كوميض الحبـــاحب في عتمة الغسق ، فيسخر طرفة طرفة عين ، ويتهـــكم زهير بآل حصن عابراً ، ويهزأ ابن حلزة باخوانه الاراقم مقتصداً ، ويرشد الحطيئة ايثاره العـــافية الى ذاته ، من حيث لا يدري ، فيقول لمهجوه التاريخي :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

وانتشر نهار الاسلام ، فاضمحلت ظلمات الجاهلية ، وتراجعت لتقعد القرفصاء في ديماميس الشعراء . لم ينسخ الدين الجـــديد روح الشعر الجاهلي فظل الاخطل وجرير

والفرزدق جاهليين قلباً وقالباً . اكبر همهم من الفن مضارعة الاقدمين فعبروا عن الحياة الجديدة بالقوالب المعهودة ، اللهم الا ومضات تقل عند الاخطل وتكثر عند جرير . اما الفرزدق فما انفك يقرع مروة الجاهلية وصفاتها ...

ارسل الاخطل نفسه على سجيتها في هذه الابيات :

ونجى ابن بدر ركضه من رماحنا ... ونضاحة الاعطاف ماهبة الخصر
كأنها والآل ينجاب عنهما ... اذا انغمسا فيه يجوبان في غمر
يسرّ اليها والرماح تنوشه ... فدى لك امي ان دأبت الى العصر
فظل يفديها وظلت كأنها ... عقاب دعاها جنح ليل الى وكر
تنقّ بلا شيء شيوخ محارب ... وما خلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت ... فدل عليها صوتها حية البحر

وهو لو نحا في شعره هذا النحو لترك في صحراء الشعر الجاهلي قطعاً من الرياض . اما جرير صاحب الهجاء الحلو المر ، كما نعته القدماء فكان أوقح من الاخطل ، وأفتح عيناً ، فلم يحفل بجبروت السلطان وابهة سريره فضحك في حضرته مادحاً فقال :

هذي الارامل قد قضّيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

وهزىء متغزلاً :

وتقول «بوزع» قد دببت على العصا ... هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

وامتاح البحور مازحاً :

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم ... لم تحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين او زادوا ثمانية ... لولا رجاؤك قد قتّلت اولادي

وهجا ساخراً :

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعاً ... ابشر بطول سلامة يا مربع

وقال في خصمه الاخر :

قال الاخيطل اذ رأى راياتهم ... يا مار سرجس لا اريد قتالا

وما زال ينحو هذا النحو ، كلما انفتح له مجال ، حتى نام عن السخر وتولى رعيه الاسد الاعمى ، فاطلق لذاته العنان واستولى على الامد . سخر بشار من كل شيء ،

وفي كل شيء ، سخر في المدح ، وسخر في الرثاء ، وسخر في الهجو ، وسخر في الحديث وفي وفي .. فلم ينج من وخزاته المؤلمة وجراحاته الدامية الا من لا يعرفه . تهكم مر ، وسخر مؤلم ، لا الصداقة تقي ، ولا الاحسان يعصم . غريب امر هذا الضرير فقد بذ البصراء في كل ميدان ، اتخذ مما حوله مادة لصوره ، ولم تتوار شخصيته في مجالات القريض جميعها . فهو في جده شخصي ، وفي هزله شخصي ، وفي مدحه ووقوفه على الاطلال شخصي . نفس عاتية متمردة ، نفضت عنها رماد الماضي ، واضرمت ناراً جديدة في هيكل الادب .

ثم نام الجبار على اشواك تمرده نومة الابد راسماً صورته للذرية في ثلاثة خطوط خالدة :

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا لتلمب ، اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقولٍ ، اذا ما احزن الشعر اسهلا

وآلت زعامة السخر بعده الى المستهتر ابي نواس ، فضحك الادب العربي حتى بدت نواجذه . وكانت ثورة ادبية فوضت الخيام وكبّت اللبن واحلت الخوابي والدوارق على دست الحكم . وما اغنانا عن سرد شيء من شعر ابي نواس لكل عربي يلم بطرف منه .

ويطوي الدهر مدرسة الخلعاء فيخلع الشعر طيلسانه ، ويستعيد عباءته ، فتتجهم الوجوه حتى يطلع ابن الرومي بسخره الذي يكشر له القارىء ولا يبتسم . ثم ينطوي العلم مع المتنبي ، ولو اسرف ابو الطيب في سخره لفاز بسهمي فاطمة امرىء القيس . ولكن كبرياءه أبت عليه الا التزمت والتوقر ، وقديماً جنت الكبرياء على الملائكة فبدلت الاجنحة الخضراء باذناب سوداء وآذان وطواطية ...

ولزم الشعر وقاره ، حتى الساعة ، فما بانت له سن وانتهت به هذه العبوسة الى الجفاف فاليبوسة .

اما النثر فما نبه له شأن قبل الجاحظ . أنزله هذا الزعيم العبقري منزلة الشعر ، فانفتحت بوجهه القصور . كانت عناكب الاقلام لا تنسج خيوطها الا حول رجال

الحول والطول والابهة والوقار ، فاذا بها في يد الجاحظ تدور حول عبد الرحمن واضرابه فخلق الادب الشعبي . جد الجاحظ ضاحكاً ، وتفلسف ساخراً ، وحل اخطر المعضلات وأدقها هازئاً ، فكان كل من جاء بعده عيالا عليه حقاً ، فهو استاذ الاصبهاني في اغانيه ، وهادي ابي العلاء الى سلاح العميان وعتادهم ...

قرأت في ملحق لكتاب اليتيمة قال فيه مؤلفه انه عرف في المعرة شاعراً ظريفاً يعني ابا العلاء . لم استغرب نعت ابي العلاء بالظرف ، فالرجل ظريف اي ظريف . ولئن لبس الثوب المفروض ليدخل ديوان العرب فقد خلعه في رسالة الغفران ووقف بين الخالدين .

ونام السخر نومة آل الكهف حتى ايقظه الشدياق في منتصف القرن التاسع عشر ، فكتب « الفارياق » والواسطة « وكشف المخبأ » ، فاخرج العقل العربي من ديامبس الحريري وكهوف القاضي الفاضل ، فابتسم الادب حيناً . ثم عاد الى تجهمه لا يتجه زعماؤه الى هذا الصوب كأنهم مسمّرون على صلبانهم ، ما خلا كاتباً واحداً طواه الموت منذ اعوام هو فيلسوف الفريكة ، فدبت روح المرح ، وفاضت الابتسامة على حفافي كتب رحلاته ، من (ملوك العرب) الى (قلب لبنان) .

ثم كانت الضحكات الغامضة النادرة في كلام الكاتب العبقري عمر فاخوري ، رحمها الله وخلف علينا ...

*

أدب الظل

كان اقصى اماني الاديب ان يشارف قصر ملك او امير ، والسعيد من ينفتح له الباب ويدنو من السدة والسرير ، حيث ينعم بعيش اخضر فيوهب ويهب حتى الغلمان والجواري والضياع ان صار وزيراً . فحسن التحرير والتحبير كان سلماً للوزارة كما قال المأمون لاحدهم حين جود كتاباً عرضه عليه .

وكذلك قل في الشعراء من ابي سلمى حتى شوقي ، فالادب وخصوصاً الشعر منه ، ما نبت وجن الا في ظلال القصور ، وعنه نشأ هذا الادب الذي نقرأ — ادب الظل — . فما اشبهه الا بتلك النباتات التي تغرس في الاصص زينة للدار ، تصعر خدها اذا هش لها نور النافذة الحليم ، وتستتيم اخادعها اذا ضربتهـــا الشمس ضربة فرزدقية ، فتعود الى البوق كالحزون .

فلا يلومن ادباء اليوم زمـلاءهم ادباء الامس فلا يكون القماش الا عـلى هوى العصر . فصل اسلافنا نسيج الكلام وفقاً للطراز المرغوب فيه ، فكان منهم الخياط الماهر ، وكان منهم كالذي خاط قباء لبشار فوقع في لسانه . فلا تظنن انهم كانوا اقل عقلا منا يقلدون ولا يطمحون الى التجديد ، فكم تبرم زعماؤهم بشهوة امرائهم للمدح ، فغرفوا لهم الثناء من بحور الشعر حتى صار المديح كالعبث والسخرية .

انك تلمح الجديد في اثار هؤلاء الادباء بين العتيق المعفن ، فكأنك في دكان (سمانة) فيه كل ما يحتاج اليه البيت ، ولا غرابة فيما اقول فالشاعر ايضـــاً كان من حوائج القصر ، كالهراج والنديم والسمير ، فالناس الهية الناس .

فلو قرأت عمر ابن ابي ربيعة ، وبشارا ، وابا نواس ، وابن الرومي ، والبحتري ،

والمتنبي ، لرأيت ان كلا منهم قال شعرين : شعرا ارضى به نفسه ، وشعرا رضي عنه كيسه . انفق ما اجداه شعر الكيس على انماء شعر النفس ، والمضي في الطريق الحديث الذي هداه اليه وجدانه الحكيم .

مساكين الشعراء ، فلا يغرك ما تقرأ في كتب الادب عن الحفاوة بهم واعظامهم ، فقد كان يقف الشاعر بباب الامير الشهر والشهرين ، والعام والعامين ، ولا تطأ رجله البساط ليقبل الارض بين يدي سيد السرير ، وينشده قصيدة سداها الكذب ولحمتها التمليق ، وكم كان هؤلاء الاسياد يعبثون بالشعراء ، بل كم كانوا يئدون بناتهم . فهذا صراخ ابن الرومي يجرح القلب على بعد العهد به ، فيقول :

رددت الي مدحي بعد مطل ... وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيري ... ومن ذا يقبل المدح الرديدا
ولا سيما وقد اعقبت فيه ... مخازيك الواتي لن تبيدا
وما للحي في اكفان ميت ... لبوس بعد ما امتلأت صديدا

ارايت ماذا تعقب خيبة الشاعر ؟ ! وان تسمع بالاخطل المدلل فهذا واحد لا غير ، وقد مات ذلك الدلال بموت ممدوحه عبد الملك ، وعفى عليه عمر بن عبد العزيز فطرد الشاعر فانزوى في صحرائه القاحلة حتى مات ، وهو يذكر بطن الغوطة (والخبر) الذي اتى ...

مساكين الشعراء ، مات المتنبي وفي قلبه جرح اليم من ضربة الدواة التي خلد مدادها سيف الدولة ، وان قال : فما لجرح اذا ارضاكم ألم ، فلا تصدقه فقد رافقه ذلك الالم الى القبر ... وخيبة ابي نواس بالخصيب والمتنبي بكافور تنبئك كم كان يكدح قوالو الشعر في ادراك الرغيف فتركض ويركضون ويعلم الله من يسبق . وان شبعوا حمدوا الله على تلك النعمة وقالوا في الامير ما يزهى به كالغراب ، والجسور منهم كان يهجو اذا استبطأ العطاء فطورا ياتيه وتارة يقضى عليه .

وما كانت حال الشعراء في غير امتنا الا كحالهم عندنا ، فهذا كورنيل يسترحم النصر ليجري على بوالو قليلا من المال يتقوت به ، كما اوصى قبله ابو تمام امراء المعرة بابن عمه البحتري ، فاكرموه على بذاذته ، واخيرا نهض الغرب فابى ادبه ان يكون

كالدجاج يزرب في الحوش وينثر له الحب ويشرب الماء الاسن من الجرن ، فطار في الافق الفسيح يفتش عن هواء طليق وشمس حرة وماء طهور . والف الجنان فالهمته غناء اطرب التصور والاكواخ ، وزأر ــ والشعراء اسد وطير ــ فارعد فرائص العروش. وشعر انه ملك دولة ــ الراي العام ــ فبسط عليها سلطانه ، واوغل في طلب حريته وذاقت الامم حلاوتها ، فتهافتت على ما يطبخ وينضج ، فكان للنابغ الثروة والسعادة والمجد ، ألم يتوجوا فولتير قبل موته باشهر ، ألم تمش فرنسا في مناحة هيغو الخ ...

اما المتطفل على موائد الادب في كل جيل وامة فظل قلبه يتعصر مشتهيا عضة كسرة كاليعازار ولا يجدها ، وان يئس علل نفسه بالجلوس في حضن ابراهيم ، ولكن ليس في الادب لهؤلاء المعاتيه جنة يخلدون بها .

اما عندنا فظل الادب يتسكع في الظلال حتى كانت الحرب الكبرى التي نفخت في العالمين روحاً جديدة ، وخلقت ادبا جديدا ، فادرك ادباؤنا انهم خلقوا لغير التسول والشحاذة ، فابت عليهم انفسهم ان يظلوا راسفين في تلك القيود ــ الا الذين ما برحوا مداحين نواحين ــ فنحوا منحى جديدا في كل الوان الادب ، وان لم يعرفوا بعد بصنف خاص ،فانهم سيظفرون بالطابع ان فكروا بعقولهم لا بعقول جيرانهم كأكثر الناس ، وان عبروا بلغة جيلهم وزمانهم تعبيرا صحيحا ، ولم يروا مثلهم الاعلى في تلك الرواسم ، التي يجدحون من سويتها ولا يتأبّون ، ولم يخالوا الادب كله في عبارة مقفعية ، وجملة جاحظية وسَجعة همذانية . فالجاحظ الاديب الساحر لم تقر له الاجيال بالامامة الا لانه فكر بعقله ، ونطق بلسان جيله ، وابى ان يتكلم كالمتقدمين فقال للناس: انا ابو عثمان ، انا الجاحظ ، ولست قسا ولا سحبان ، ولا اكثم بن صيفي .

لسنا نبحث الان تطور الادب ونهضته الحديثة ــ هذا بحث طويل كشهر الصوم، وانا صائم دائماً ولا أرتجي اجرا ــ ولكنها كلمة عرضت ، ساقنا اليها فرحنا (ببنك مصر) الواهب الالف الجنيه ، ولمن ياخذونها المنة والشكر . فلا عذر بعد اليوم ولا شكوى لادباء القطر الشقيق . فالى الميدان ايها الجياد ، وارونا فتحا لا غزوا ، ارونا

تأليفا لا ترجمة ونقلا .

قلنا فيما مضى للاستاذين الرافعي والعقاد ان المستقبل للقصة ، فليتركا الشباب وشأنهم فيها ، فجادلا وماحكا لان ليس لهما قصة . فما يقولان اليوم وقد رددت اجواء مصر صدى النفير العام . عفوا بل النفير الخاص ، ينفخ فيه بنك مصر داعيا الكتاب الى الجهاد القلمي ، وما علينا نحن الا ان نردد : نصر من الله وفتح قريب .

اية كلمة تفي بالثناء الواجب لبنك مصر ، فتشت فما وجدت الا كلاما مبتذلا ، فلو كلنا المدح بالمدّ لمن حقق امالنا لقصرنا ، فخير من المدح تمنيات قلبية لهذه المؤسسة ، وحث كل عربي ليجعلها بيت ماله فيستثمره ويفيد امته ، فهي رافعة رأس العرب ان شاء الله .

كنا نحس ألما حين نقرأ في صحف الغرب عن الجوائز الادبية التي جلت صدأ العقول وفتحت للانتاج الفكري ابوابا ، فعقد القوم لكل لون من الادب جوائز ، اما نحن فكنا نلهو بالتافه ، كأن الادب سباق اطفال يجريهم فكه في المضمار وللمجلي كرة او ليمونة ...

فكرنا منذ اشهر بخلق جائزة ولو زهيدة ، وطرقنا باب كثيرين فعدنا من عندهم نردد قول الحطيئة :

لقد مريتكم لو ان دِرّتكم يوما يجيء بها مسحي وابساسي

لم يخطر على بالنا ان نقرع باب (بنك) لعلمنا ان صناديقها حديدية ، وليقيننا انها لا تعنى الا (بمن والى) حتى طلع علينا بنك مصر بهذه الاريحية . ويأتيك بالاخبار من لم تزود .

نعم ان الجائزة للكتاب المصريين ، كما يدل ما قرأت ، والموضوعات ايضاً قصص مصرية محضة ، فنحن لا يعنينا من يأخذ المال ، فسواء عندنا أمصرياً كان ام عراقياً ام مراكشياً ما دام اللسان عربياً . فكل ما نحلم به ونصبو اليه ان تربو ثروة الادب العربي ويرزق مولوداً جديداً ولو انثى ...

وان كان لي ما اقول في هذا الصدد فرجاء الى طلعت حرب باشا ان لا تكون لغة (الحوار) عامية لان القصص تفقد طرافتها متى عرضت في الاقطار العربية التي لا

تفهم اللسان المصري العامي ، على ظرافته وحسن جرسه . فكم كنت اتألم — لا لشيء الا لاني لم افهم — حين اسمع حديثاً تنطق به اشباح السينماء المصرية .

اما الذين هززناهم للجائزة الصغيرة وظلوا جـــامدين كالصنم فليعذرونا ، ظننا بهم خيراً فازعجناهم ، وما علمنا انهم لا ينفقون مالهم الا على جاه باطل ، وصيت زيف ، على موائد خضر ، ودفاتر غير دفاترنا السوداء ...

نحن لم نكلفهم اريحية بنك مصر ، فليتهم اروناعذرهم ولم يرونا بخلهم ، ما طلبنا منهم الا فلس الارملة لادبنا اليتيم ، فكنا من المفلسين ، والسادة معذورون لأنهم لم يتعودوا الانفاق على الادب ...[1]



(١) كتبت يوم لم تكن عندنا جوائز

فرح انطون

سيرته وآثاره واثره
في مجلته الجامعة
فرح انطون القصصي
الدين والعلم والمال
الوحش الوحش الوحش
أورشليم الجديدة
مريم قبل التوبة

سيرته وآثاره وأثره

في صيف عام ١٩٣٧ اذيعت في القاهره هذه الكلمة :

في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما ، ويحسن برجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم في النهضة الحاضرة ان يحتفلوا به . فان في الاحتفال تنويهاً بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث نحو الثورة، واعترافاً بفضله على التفكير المصري . ونحن لا نعرف اديباً ممن يؤبه بهم في مصر لم يتأثر باحسن التأثيرات من فرح انطون ، وكثير من النزعات الحسنة في ادبنا يعود اليه . وقد كان دأبنا في كل فرصة ان نعترف بفضله ، ولذلك نحن نتهز الفرصة الحاضرة لتنبيه الوجدان الادبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاماً على وفاته .

سلامه موسى

هذه كلمة سلامه موسى في عـــدد حزيران من (مجلته الجديدة) عام ١٩٣٧ ، وسلامه هذا من رؤوس كتاب مصر ، اديب ثائر من الطراز الاول يبغض كل قديم حتى نفسه اذا عمر طويلا . يرى الخير كله في الغرب الذي يبدل كل يوم ثوبا ، ويؤلمه الشرق المنكمش القابع في قميصه وسراويله كأنه السلحفاة . يحذو سلامه في العـــادات والاداب واللغة حذو مصطفى كمال في الدولة . يريد ان يلحقنا بالغرب في كل شيء حتى دعا الى استعمال الحروف اللاتينية بدلا من العربية ، وقلع الطربوش ولبس القبعة ،

وحجته ان لبس البرنيطة يصير تفكيرنا غربياً كأنما عقل الانسان في رأس طربوشه ، كما يقول المثل اللبناني ...

ان سلامه يسير الى التجديد طافراً ، ونحن نعجب بالكثير من آرائه الطريفة وان شجبنا دعوته الى الحروف اللاتينية وما اشبهها ، اما الطربوش فحسبه احمد حسن الزيات نصيراً .

ليست هذه ساعة تحليل سلامه موسى وتصويره بالالوان ولكنها خطوط نرسمها لعلها تطبع شيئاً من صورته في اذهان قرائنا ، فهذا الاديب الذي يريد ان يخلق مصر خلقاً جديداً يتم بحماسة رسالتين اثنتين : رسالة الشميل وصروف ، ورسالة فرح انطون في الجامعة . وهو ينقل لنا في كل ساعة ما يبتدعه الغرب ، وبحسبنا « العقل الباطن » الذي فتن سلامه موسى ففتن به عقل العالم العربي .

لست اضع الاستاذ سلامه على محك الشدياق وابن خالويه بل اقول فيه كلمة قبل الانتقال الى فرح انطون : ان سلامه موسى كاتب يجري الى غاية ، وهدفه تجديد الشرق اجتماعياً وادبياً . ومجلته التي يدل اسمها عليها نشرة ثمينة لا يسد مسدها غيرها ، واذا انطوت — وقد انطوت — كان في الشرق فراغ كالفراغ الذي احدثه انطواء جامعة فرح انطون ومقتطف صرّوف .

ان سلامه مجدد من مزراب برنيطته الى شريط بوطه ، والايام كفيلة بتحقيق الكثير من امانيه . قد احسن هذا الاديب بتذكير مصر بأديب افضل عليها وهو ، بعد الشدياق ، من رسل اليقظة الفكرية في الشرق كما قلنا عنه مرة في « عكاظ مدرسة الحكمة » وهذ كلمتنا بحروفها :

« واذا نظرنا الى المدارس الفكرية رأيناها ايضاً بنت هذا البلد الطيب — لبنان — فقبل الشميل وصروف لم يتحرك لسان في الشرق العربي بحديث النشوء والارتقاء ، وقبل فرح انطون لم يعالج احد المشاكل الاجتماعية العويصة ، ففرح فتح باب التفكير الحر وشرّعه للناس ، ولكنه جاء قبل اوانه ، فحولته الحاجة عن مجراه الى مسرحي سطحي يكتب ليعيش الخ »

وكتبنا ايضا بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤ في جريدة «صوت الاحرار» ما يأتي :

« وهذا فرح انطون ماذا لقي في هذا الوطن ؟ واخجلة التاريخ منك يا أبا المدرسة الحرة ! فمن نشر آراء رنان ، وروسو ، وتولستوي ، وروسكين ، ونيتشه وغيرهم وغيرهم قبل فرح ؟ وماذا فعلنا نحن له غير الاغارة على آثاره التي اتخذ سويداء قلبه مداداً لتحبيرها ؟ فهذا المنفلوطي — غفر الله له — صديق فرح قد قرظ قصة بولس وفرجيني التي ترجمها فرح ، وعملها قصيدة يوم كان ينظم الشعر ، حتى اذا ما مات فرح شن الغارة على بيت صاحبه فسبى بناته وكساها ثوباً عربياً من طرازه ، فافسد خطوطها ورسومها ، فصارت لا عربية ملحفة ولا فرنجية مشمرة » .

وفي ذاك المقال عتبت عتباً عنيفاً على خليل مطران لانه كتب مقالا في هلال حزيران سنة ١٩٣٤ عنوانه (رواد النهضة الحديثة) لم يذكر فيه فرح انطون وجبران وولي الدين ، ثم لمت مؤلفي (المفصل) لانهم اغفلوا ذلك فقلت في فرح : « وفرح يحيا بآثاره الخالدة يوم يؤرخ الادب تأريخاً نزيهاً لا عوج فيه » .

فليراجع المقال من يحب التفصيل ، اما نحن فقد طابت الان نفسنا ، واليوم الذي ظنناه بعيداً كان قريباً جداً اذ قام اديب خطير كسلامه موسى ، بارك الله في عمره ، ودعا الغافلين الى احياء ذكرى فرح . ليس ابلغ في مجال شكرنا للاستاذ سلامه من الكلمة العربية المأثورة : الفضل يعرفه ذووه .

والان فاننا نتساءل : اذا لبت مصر نداء اديبها الحر وشاءت ان تزور ضريح فرح انطون ، فهل تعرف اين هو ؟ هل لفرح ضريح خاص ؟ اليس فرح في ضيافة احد انسبائه كبودلير قبل ان نهض ادباء الامة الفرنسية وبنوا له ضريحاً ؟ فهل من يعمل هذا لفرح في مصر العزيزة ، منبع الخير والبركة ؟

ولكي نعرف فرح انطون الى شبابنا الذين يجهلونه — كما جهلوا الشدياق من قبل — لا بد من كلمة موجزة في سيرة حياته ، نكتبها ونسأل صديقنا الاستاذ جرجي نقولا باز ، ان يتفضل علينا بترجمة للرجل . فهو يستحقها كالذين يؤرخهم صاحبنا . ومن

الرب نطلب ان يوفق الى الحاق نسبه بغسان او قريش ... كما يفعل في كتابة (السيَر) غالباً .

ولد فرح في طرابلس سنة ١٨٧٤ وتخرج في مدرسة كفتين يوم كان جبر ضومط وانطون شحيبر استاذين فيها . كان ابوه من تجار الخشب في طرابلس فاراد ان يجعله تاجراً مثله فجرب فرح ثم ابى ، وعكف على مطالعة روسو ، وتولستوي ، ورنان ، وسيمون ، وكارل ماركس ، وبرناردشو ، وغيرهم . ودعي لرئاسة مدرسة للروم الارثوذكس بطرابلس فتولى ادارتها بضع سنين . وشرع يكتب في تلك الاثناء فاعجب الناس . ورأى مجال القول ضيقاً في طرابلس فنزح الى مصر سنة ١٨٩٧ وهناك انشأ مجلة الجامعة التي ملأ صيتها الشرق وديار هجرة العرب ، وكانت بوق الحرية الصارخ في اذن الراقدين . ثم ضاقت عليه مصر فنزح الى نيويورك سنة ١٩٠٧ فقال احمد محرم احد شعراء مصر قصيدة في هجرته هذا مطلعها :

ان كنت لا تبغي لنفسك راحة فأرح مطيّك والدنى وبنيها

وفي نيويورك وسع البيكار فأصدر الجامعة : يومية بثماني صفحات ، واسبوعية ، وشهرية . ولكن اقامته لم تطل هناك فعاد الى مصر واصدر الجامعة ــ المجلة ــ سنة او اقل ، ثم حجبها عن الناس . وانصرف فرح الاديب الى تحرير الصحف الوطنية السياسية واخذ يؤلف الروايات ويترجمها . ووضع الروايات التمثيلية الغنائية ، والف جوقة منيرة المهدية فقامت بتمثيلها ، واخيراً انضم الى صفوف الوفديين المجاهدين فعاون الاستاذ عبد القادر حمزه في تحرير جريدة الاهالي الى ان مات بغتة قبل صياح ديك ثالث تموز سنة ١٩٢٢

آثاره الادبية

الجامعة ــ مجلة شهرية اصدرها سبع سنوات .
فلسفة ابن رشد ــ جدال بين فرح والامام محمد عبده
اورشليم الجديدة ــ قصة فلسفية اجتماعية
مريم قبل التوبة ــ قصة اجتماعية مات ولم يتمها
الوحش الوحش الوحش ــ قصة اخلاقية لبنانية
الدين والعلم والمال ــ قصة
بولس وفرجيني . الكوخ الهندي . لبرنردين ده سانبيار
اتالا ــ لشاتو بريان
نهضة الاسد ــ رواية دياس عن الثورة الفرنسية
تاريخ المسيح ــ لرنان لخصه تلخيصاً

اما رواياته التمثيلية فعديدة: البرج الهائل ؛ ابن الشعب، الساحرة ، اوديب الملك، المتصرف في العباد ، صلاح الدين ، مثلها جميعها الاستاذ جورج ابيض .

كرمن ، كرمنينا ، روزينا ، تايس ، هذه الروايات الاربع مقتبسة مثلها جوق منيرة المهدية .

مصر الجديدة، بنات الشوارع وبنات الخدور، روايتان غنائيتان مثلهما جوق آخر.

ابو الهول يتحرك ، رواية غنائية وهي ابدع ما الف في التمثيل ، ورواية ذات الورد ، لدياس .

اما ما اودعه فرح في « جامعته » فكنز ثمين بل ذخيرة للذين يرغبون في مرافقة

الفكر الانساني واتبـــاع تطور الخلق والدين ، وفرح اول كاتب عرف العرب بالفيلسوف الالماني نيتشه والمعلم كارل ماركس .

عندما قرأت في رسالة الزيات ان صديقي ورفيقي الاستاذ فليكس فارس عزم على ترجمة كتاب فردريك نيتشه « هكذا تكلم زاراتو سترا »فرحت كثيراً لعلميان فليكس يحذق اللغتين وهذا اول شرط الترجمة . ثم توقعت ان اقرأ لفليكس كلمة يترحم بها على فرح وينوه به ، فاذا به يقول : « لم يفكر احد بترجمة هذا الكتاب العظيم الخ .. » مع انني كنت اقرأ وفليكس ما ترجمه فرح من زاراتوسترا وما كتبه من الفصول عن نيتشه وفلسفته .

ان في صدور ادبائنا حباً شديداً للاحتكار ، ورغبة في الاستبداد بالاصناف ، ففي كل بلاد الوف من الشعراء والقصصين والمؤرخين والكتاب ولكنهم لا يتزاحمون هذا الزحام المزعج ، ولا ينسى المتأخر المتقدم . واول ضحايا هذه الانانية الجائعة كان فرح انطون ،فقد كلناه ميتاً ، ونسيناه نسياناً مشيناً.

في مجلته الجامعة

كلما رأيت دير كفتين الناظر الى طرابلس تذكرت فرح انطون ، وكلما مررت في الشمال تذكرت قصته (الوحش الوحش الوحش) ، وتأملت الامكنة التي وصفها هذا الاديب الثائر ، من دير حماطوره الى الحدث والارز .

فرح ابن الشمال ، ولد في طرابلس ، وتعلم بدير كفتين . رأى التعصب الديني في طرابلس والكوره والجبة فثار على محيطه ــ ومحيطه محيط الشرق كله ــ ثم اغرق في مطالعة كتب المحررين فخلع النير .

قال بول بورجه : «كل من يصفيه التفكير والمطالعة يتعرض لعدم الامتزاج بجماعته ، فاما ان يثور على بيئته التي يتألم منها ، او يحاول الدخول في غيرها ، فهو كالنبتة التي تشق جذورها الاناء الذي نشأت فيه فيجب ان تنقل منه . »

وهكذا فعل فرح ، نزح الى مصر وانشأ الجامعة . كانت في عامها الاول عثمانية تدعو الشرق الى الالتفاف حول عرش الاستانة وتكرهه باوروبا ، فكان فيها فرح شرقياً يحب الكثير من عقائد الغرب الاجتماعية. كان كالبستاني الخبير يؤصل ويطعم. اذاع مبادىء جول سيمون بل اعلن في مقدمة مجلته انها لسان حال هذا الفيلسوف ، ورأى معه ان تربية المرأة والنشء تمنع كل فساد ، فانصرف الى بحث التربية فرآها في ثلاثة اقانيم : بدنية وعقلية وروحية ، وحيث لا تجمع ثلاثتها يظل الانسان ناقصاً .

ونظر فرح الى التعليم فرأى المدارس كافية ، فكان اول الداعين الى اصلاح تربيتها وتعليمها لا الى زيادة عددها ، والاكثار منها ... وانشأ فرح في السنة الاولى بابين يدلان على ذوقه السليم : الاول غذاء المعد القوية ، وفيه نشر حكم مفكري

الشرق والغرب ، وخصوصاً لابرويير . والثاني غذاء المعد الضعيفة ، وهو للفكاهات والنوادر .

وما اطلت الجامعة حتى قالت فيها مجلة الهلال : « ان الجامعة جاءت الشرق في ابان حاجته اليها . ورأى فرح في القصة معلماً ومهذباً للناس فدعا الى انشائها ، والف قصة (الحب حتى الموت) اقامها دليلاً على امانة المرأة المحصنة . وعرب رواية البرج الهائل ، لتكون برهاناً على خيانة الفاجرة وقتلها النفوس اشباعاً لشهوتها .

نفرح انطون اديب اجتماعي قبل كل شيء ، وفي كل شيء ، في مجلته ، ومقالاته ، وقصصه ، ومسرحياته ، وهو رسول الديموقراطية في الشرق العربي . نشر تراجم الرجال ، شرقيين وغربيين ، ليجعلها امثولة للشرق الغافي . وكثيراً ما كان يذكر مزايا الحيوان ليبكت اخاه الانسان ، وان ذكر خبراً علمياً فليعجب بالعقل البشري ويتفاءل .

شكا في اول عدد من الجامعة قلة الايمان بالله وضعف الثقة به ، ولكنه نسي ذلك اخيراً حين اعتنق مبادىء نيتشه كما سيأتي . ولم يجعل فرح الشعر والشعراء فهو اول من أطرأ احمد شوقي ، لا لانه شاعر الامير بل لانه رأى ان سيكون عظيما اذا كد واجتهد . ونشر كثيراً من سير الشعراء المتقدمين والمعاصرين حتى حشر الامير عبد القادر الجزائري في هذا المضيق واورد شيئاً من نظمه .

فرح كاتب ثوري وعملي بروح رومنتيكية ، فالتربية والمدرسة حديثه الدائم منذ مولد الجامعة حتى موتها ، يشبهه من كتابنا اليوم الذين لهم عقيدة لا ينفكون عنها الكاتبان الشهيران امين الريحاني ويوسف يزبك ، وكلاهما يتفقان معه في التأليف عن الثورة الفرنسية ، الريحاني في نبذته وهي اول آثاره الادبية ، ويزبك في (١٤ تموز) ، كما لا يختلفان عنه في المثابرة على خطة لا يحيدان عنها .

كل ما خطه قلم فرح انطون يتفق وروحه ، بل قل لم يكتب كلمة تخالف عقيدته ، وروحه الحية ظاهرة في جامعته ، فكأنها كتاب خاص لا مجلة جامعة .

طبع على نصرة الضعفاء فما نشبت حرب البويرحتى كتب تحت عنوان «الترانسفال

ظالمة ام مظلومة » سلسلة مقالات طار فيها على اجنحة الخيال ، وعنف الانكليز تعنيفاً معقولاً ، وتكلم بلغة اشعيا وارميا ينذر الدنيا بالويل . ثم رأى حاجة الشرق الى معرفة سير اصحاب الاديان فنشر المقالات الضافية عن بوذا وفلسفة الصينيين الخ، فأنار الاذهان وفتح العيون .

وكان حرم السينودوس — المجمع المقدس — للفيلسوف تولستوي فقام فرح يكتب عن هذا المعلم العظيم . نشر سيرة حياته ، وحلل فلسفته ، ومحيطه ، ولخص رواية (البعث) رأس كتبه ، ثم اذاع ما دار حول (حرمه) من مناقشات ، ورده على المجمع ودفاع زوجته عنه ، وبعض رسائل تبادلها الفيلسوف ومعاصريه .

ففي الجامعة يتعرف القارىء برجال الفكر العظام ، ولا اظلم صاحبي فرح انطون ان قلت معرفة وجه ، او كما يلم ناظر السينماء بما يعرض عليه من مشاهد . لخص فرح كتباً كثيرة في فصول ، وهو ان اساء الى اصحابها والفن ، فقد احسن الى الجمهور اذ كان كمن يعطي المريض درهم كينا بدلا من حزمة قنطاريون .

أرانا فرح برنردين دي سان بيار في الكوخ الهندي ، وبولس وفرجيني ، وشاتوبريان في اتالا ، وحدثنا طويلاً عن الاسكندر ، وبحث نظرية داروين ، وتكلم عن الحلقة المفقودة ؛ ولم يهمل شيئاً حتى سكان الكواكب ، ولكن ليس بتعمق المقتطف ، فهدفه تنوير العقول وتعريفنا باحبابه من الكتاب الغربيين مثل جون روكسن رسول الفنون الجميلة ، والمبشر بحب الطبيعة ، والمناضي ببدعة ملكة ايار — الاحتفال بعيد الربيع الذي نعظمه اليوم .

يرى روسكن ان الفن ضرب من العبادة ، لان الانسان لا يبلغه الا بعد فهم الطبيعة وحبها (ص ٥٦٧ سنة ثانية) أما رأيه الاجتماعي فينحصر في ان سبب الفساد والشقاء هو استبداد ارباب الاموال بالشعب ، وحفظهم هذا الاستبداد بواسطة المعامل والآلات .

وينشر قاسم امين كتابه (المرأة الجديدة) فينصره فرح ويلخص الكتاب لقراء الجامعة كما يلخص اشهر الكتب العالمية ، ويعير هذا الكتاب اهتماماً عظيما فيقابل بين

اراء قاسم وجول سيمون . ويموت الحملي موسيقي زمانه فيكتب عنه فرح كعظيم ، ويتكلم بهذه المناسبة عن الطفل (اريولا) الذي صار موسيقياً في عامه الثاني . هذا شأن فرح في كل مناسبة تعرض . اما حبه للتمثيل فشديد،وقد كتب عنه كثيراً في الجامعة مناصراً هذا الفن الرفيع ، وان عدته مجلةالرسالة للزيات من الادب الخفيف .

وتدخل الجامعة في الحول الثالث فيصدرها فرح بمقال (تاريخ الاندلس من اوله الى آخره) فيستبكي الرافعي ، فينظم قصيدة ندية القافية . وكانما كان اقدى هم فرح تعريف الشرق بالغرب فيلخص كتيباً لريدر كبلنغ ، وينشر مقالات علمية ترمي كلها الى غرضه ، حتى اذا عرف ارنست رنان الشهير ترجم له ونوه به تنويهاً عظيما ، ونقل كتابه (حياة يسوع) مع مراعاة مقتضى الحال ... متصرفاً حتى في عنوان الكتاب فجاء اشبه بالشيئة (كتاب صلوات وتأملات روحية) .

ولم يلهه كل هذا عن شؤون مصر وسورية خاصة ، والشرق عامة ، كما لم يغفل عن نشر سير العصاميين فكتب سيرة فليكس فور تحت عنوان : « من معمل الدباغة الى رئاسة الجمهورية » ولا ينسى برتلو الكيماوي فيترجم له ويهتف : المجد للعلماء .

ولا يهاب النظر في الشعر ، على قلة بضاعته منه ، فيحدث حافظ ابراهيم واحمد شوقي تحديداً جيداً ، ويتكلم عن باكون وشكسبير باسهاب مبتدئاً هكذا : مشاهير الناس الهة للناس في هذه الحياة ، ولكنهم الهة لا تعبد الا بعد الممات .

وتحتفل فرنسا بذكرى ميلاد هيغو المئوية فيكتب درساً مطولا يفتتحه بكلمة كاتب دنمركي شهير : ان ظهور اعاظم الرجال في الارض منحة الهية من السماء — كذا كان ظهورك يا فرح يرحمك الله — ويجول في الموضوع جولة صادقة كانه من كبار النقاد . اقول هذا ولا اشك في انه ممن طالعوا كثيراً النقد الفرنسي في اهم مصادره . ولا يترك فرح مقالته هذه بلا استنتاج فيقول لكتاب الشرق وشعرائه : ان رجلاً كهيغو لا ينبت من الارض ولا يهبط من السماء ، بل هو ينشىء نفسه بنفسه ؛ وذلك بالصبر والعمل والسهر (ص ٤٥٢ سنة ٣) .

قلت : هلا يسمع شعراؤنا الذين يريدون ان يكونوا كباراً غصباً عنا ؟

وقبل ان يختم فرح مقاله عن هيغو يتذكر مهمته التربوية فيدير وجهه صوب النساء ويقول لهن بلسان روستان :« ايتها النساء ، لا تهملن ولداً ، اذ من يعلم متى يمر في الارض ذلك الولد الذي سيكون الهاً . ومتى اخذتن رأس ولد كن لتقبيله فلا تضغطن عليه كثيراً فانه ربما كان هذا الرأس وحده يضم عالماً عظيماً » .

ويعطف على رنان فيعرب (حرمه) لحارميه ، ويذيع صلاته المشهورة عند الاكروبول ، ثم جواب اناتول فرانس عليها بلسان الهة الحكمة ، يوم الاحتفال بتمثال رنان . وهنا ينتقل فرح الى دارة جديدة فيلخص فلسفة ابن رشد ويذكر محنته فتتجه الجامعة اتجاهاً جديداً تتجلى فيه ابهى خدماتها للفكر العربي ، وهي اذاعة اعقد المسائل والقضايا بلغة يفهمها كل قارىء ، فكان فيها فرح من اولئك الذين ينشرون العلوم بلغة القراءة المصورة ؛ فما انتشر عدد ابن رشد حتى نشبت معركة جدلية حوله فينصرف فرح الى الرد على الامام محمد عبده .

خبرنا فرح بهذه المناسبة قال : « (وعصبت رأسي) كما يقال ، وانصرفت ثلاثة شهور الى درس هذا الموضوع وحده حتى فقدت النوم والقابلية . » ان الاشهر الثلاثة التي صرفها فرح في الرد على الامام لا شبيه لها في التاريخ الا مناظرة الخوارزمي والهمذاني ، بيد ان فرح انطون الشاب اظهر اسمى الاحترام للشيخ الذي يستحقه ، وهكذا ذاعت شهرة فرح ، الذي نسيناه ، في العالم العربي . وتجاوزته الى الغرب فطلب المتمشرقون تآليفه .

قال حافظ ابراهيم شاعر الامام في هذه المناقشة :

وانت لها ان قام في الغرب مرجف وانت لها ان قام في الشرق مرجف

يعني حافظ بالمرجفين : هانوتو وفرح انطون . أما فرح فعلق على هذا البيت بقوله: حافظ ، حافظ ، انك لم تحاسب نفسك لما نظمت هذا البيت .

وتدخل الجامعة في السنة الرابعة (١٩٠٣) فيبدأها فرح باذاعة الفلسفة الحسية ناشراً ترجمة اوغست كنت واضع ديانة الانسانية والعلم . ثم يلخص تاريخ الرسل لرنان . ويقترح على حكومة مصر احداث مدارس زراعية ، كما دعا السوريين في اميركا الى

الزراعة فيما بعد . ونظر فرح الى السماء فلخص لقرائه شيئاً من كتاب فلامريون الفلكي الشهير . وظهرت اكتشافات بابلية فنشر سيرة حمورابي وشريعته وما احدثه اكتشاف ألواحها من قلق فكري وشك في التوراة. وترجم رسالة الامبراطور غليوم لاحد اصحابه العلماء ، فكأنما كان فرح مذياعاً ينقل خطة الفكر في العالم .

كان يعلن احياناً ولا ينجز ، لكثرة اشغـــاله ، واضطرابه العصبي . بدأ اشياء كثيرة ولم يتمها ، ككتاب فلامريون ورواية مريم قبل التوبة . وقصة اسبانية تحب عربياً ، وعد بها ولم ينشر شيئاً منها .

وفي هذه السنة ــ الرابعة ــ الف فرح ثلاث قصص اهداها الى قرائه ، ونامت الجامعة على اثرها سنة كاملة حتى استيقظت في نيويورك سنة ١٩٠٥ ، وهناك ارخى فرح لقلمه العنان فحيا تمثال الحرية تحية حارة ضمنها اصدق عواطفه الاجتماعية . وكتب بعدها عن عظمة اميركا فصولا ضافية ، ودرس مدنيتها ، ولكنه لم ينس الشرق بل ظل يحن اليه . واستماله روسو فكتب عنه ونشر رسوماً عدة له ولمدام دي وارين التي احبته . وعرب رواية ابن الشعب ونشرها متقطعة ، وفتح باباً جديداً نشر فيه روائع الفن التصويري . وكتب عن القصة فصلاً جميلاً (٣٠٦ سنة خامسة) وتحـــدث عن مشاهير اميركيين مثل تافت وهارست ، ونشر ترجمة مار بولس حبيب الاميركيين.

وفيها عرف فرح الفيلسوف نيتشه ونقل شذرات من فلسفته الهوجاء . وجاءت السنة السادسة فنشر فصولا من رائعته (مريم قبل التوبة) . وأثرت اميركا المادية به فرأى في نيتشه كل شيء ، وتهوس حتى قال شعراً هو الاول والآخر من نظمـه ، فجاء كالاراجيز . والقى خطابا امام شلال نياغرا اشبه بخطبة رنان امام الاكروبول فيه روح نيتشية او نازية ، ان شئت ، واليك بعض ابيـــاته الشعرية التي بناها على فلسفة نيتشه :

عج بالجبـــال ولا تعج بالوادي ... ان شئت رؤية هذه الابجـــاد
واركب لها قطر البخار فقدمضى ... عصر النياق وصوت ذاك الحادي
واطلب اليها ان تطير ولا تقل ... (مهلاً فانك ســـائر بفؤادي)

فالوقت وقت ارادة صماء تصر ... ع كل معترض سبيل جهاد
مات القديم فكفنوه فما له ... ما بيننا من رجعة ومعاد
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة ... والنشاط) وليس وحي الدين والارشاد
فيها ارتقت هذي البلاد وانها ... مرقاة كل تمدن وبلاد
هذا كلام نيتش ان نيتش كان ... مقوّم المعوج والمنآد
في زعم بعض الناس اما مذهبي ... فيه فابقيه الى ميعاد
ولكن هذا الميعاد لم يأت ...

رأى فرح صراع المادة في اميركا وعاد الى القاهرة مقهوراً غير ظافر ، فصرف العام السابع دارساً نيتشه .ترجم كتابه الفريد (هكذا قال زاراتوسترا) ـ ولم يتمه ـ ولخص رأي فاكه وهاليفي فيه ، ونقل ايضاً قول نيتشه نفسه في كتابه ،واليك فقرة منه : ليس دانتي بالقياس على زاراتوسترا الا مؤمناً ،وما شعراء الفيدا الا كهاناً لا يستحقون ان يحلوا سيور حذاء زاراتوسترا الخ .

وبينا فرح غارق في لجة مبادىء نيتشه الهائجة اذا به يقف نشر رواية مريم واعداً بطبع تتمتها على حدة ، لينشر رواية ملفا للروائي مكسيم غوركي ، وهكذا التقى الصيف والشتاء على سطح واحد . فكأن صاحب الجامعة اراد ان يوفق بين اسمها ومسماها . وفي هذا العام لفظت الجامعة آخر نفس ، فماتت مبكية من احرار العالم العربي ، او الكتاب الديمقراطيين كما يسميهم اخي الاستاذ يوسف يزبك .

*

فرح انطون القصصي

لماذا لا تكتب عن اديب اسحق ، عن نجيب الحداد ، عن ناصيف اليازجي وابنه ابراهيم ، عن بطرس البستاني وابنه سليم ، عن الاحدب والاسير ، عن كرامه ومراش وزيدان ، عن البـــارودي وشوقي وصبري وحافظ وولي الدين الخ . **من كتاب اديب**

الجواب ياسيدي : هذا لا يعنيك،وكتابك يذكرني بلوائح المطاعم ، فاذا كنت جائعاً حتى ترى الحجارة خبزاً كما سيحدث يوم يجيء المسيح الدجال ... أتستطيع أن تزور جميع القدور المذكورة في اللائحة ، ام تختار ما تشتهي نفسك اكثر ، وتؤجل ما تحب الى علفة ثانية ؟ فبحياتك تدعني ومعلفي ، انا احب الهريسة فلا تكرهني على الملوخية . الادب كالطعام يا سيدي ، فكل انت ما تشتهي ، ودعني وشأني . أما لك معدة واضراس مثلي !

*

مات فرح انطون فكتبت مجلة الهلال : ان الجامعة خير آثاره ، ونتاجه بعدها دونها قيمة . فساءت كاتبها هذه شقيقته الكريمة السيدة روزا فردت على الهلال . ثم ضرب جورج دوماني في مجلته الريفو اجبسيـان على هذا الوتر ، فرد عليه الاستاذ محمد لطفي جمعه .

ليس لدي من تآليف فرح الاخيرة الا مسرحيـة واحدة (صلاح الدين ومملكة اورشليم) ، وهذه اذا وضعت في الميزان قبالة الجامعة رجحت الجامعة وشالت هذه

كأبي جرير في ميزان الاخطل . واذا قلنا الجامعة عنينا سبعة مجلدات ضخمة كلها جديد طريف ، وعنينا ايضاً تلك الكتب النفيسة التي الفها فرح : ابن رشد وفلسفته ، الحب هو الموت ، الدين والعلم والمال ، الوحش الوحش الوحش ، اورشليم الجديدة ، مريم قبل التوبة . والتي ترجمها : الكوخ الهندي ، بولس وفرجيني ، اتالا ، ابن الشعب ، نهضة الاسد ، تاريخ المسيح ، تاريخ الرسل ، زاراتوسترا ، ملفا ، وكلها من كنوز الادب العالمي . ولن نذكر ما لخص من كتب ، فقد مر ذلك في المقال السابق .

وعندي ان قول الهلال هذا لا يضير فرح انطون كما لا يبخس الجاحظ اشياءه قول القائل : كتاب الحيوان خير اثار الجاحظ عمرانا . فادباء مصر اقروا لفرح بالسبق في ميدان الادب العالي ، ثم بالنضال السياسي والدفاع عن اسمى قضاياهم فقال فيه محمد لطفي جمعه يؤبنه :

عندما ذهب الاخرون يلعبون بذهب المعزّ كنت انت ايها الغريب ، لا ترهب سيفه ، فما اعظم هذا الفضل لك علينا ! ها نحن فئة قليلة من الاقارب والاحباب حول قبرك لانك لم تكن من هؤلاء الذين تتحرك في ركاب نعشهم المركبات الضخمة ويسير في جنازتهم ذوو النفاق والخديعة .

وقال سلامه موسى ، زعيم المجددين في مصر ، يوم مات فرح : (ان الفراغ الذي احدثه وفاة فرح انطون في الادب العربي لن يملأه احد في ايامنا الهوجاء هذه ... كان ميدانه الادب لا يتعداه الى غيره ولذا بز فيه والم باطرافه وابتدع فيه واخترع. فهو اول من تطاول الى نجمين من نجوم الادب الافرنجي تولستوي ونيتشه ، وحاول ان يستضيء بضوئها ولكن الظلام الذي كان يكتنفه كان اشد مما يحسب) .

وقال صاحب جريدة الاكسبرس : لم يتزوج فرح لانه لم يجد متسعاً في وقته لاداء واجب العائلة ، وكان مع ذلك مستقيما عفيفاً . ولم نره يوماً في كنيسة ، ولا سمعنا انه حضر قداساً ، على ان ذلك لا يمنع من ان يكون مسيحياً مخلصاً كما يفهم من كتاباته .

وكتب الشيخ ابرهيم الدباغ : كتبت عنه — عن فرح — الصحف باقلام فاترة عن نفوس جامدة غير جازعة كأنها تكتب عن بعض الافراد ، فأوجد تقصير الصحف تجاه فقيدنا الجليل عندنا موجدة عليها . ثم قال : فرح انطون الكاتب السوري تقوم قيامة تأبينه في جامعة اميركية . أترى الجامعة المصرية تضيق جوانبها باحياء ذكرى رجل لو كان من الحاضرين فيها لشاد للعلم بنياناً ، وللآداب والاخلاق مكاناً . لم أدر لماذا ضاقت هذه الحظيرة بتلك النفس الكبيرة . ألانه كان من أحرار الفكر ؟؟ ان الدكاترة طه حسين وهيكل ومنصور من احرار الفكر ايضاً بل من اشد أحرار الفكر وطأة على العقائد . ام لانه سوري مسيحي ، مع ان مصر ليس فيها اليوم مسلم ولا مسيحي ولا يهودي بل فيها مصري . فمتى ينصف الشرق ابنـــاء الشرق ومتى يقف الشرق في صفه ويأخذ محله ؟

ويقول عباس محمود العقاد : فقلت له مواساً : انك يا فرح افندي طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العامة ، وسيعرف لك المستقبل من عملك ما لم يعرفه الحاضر ، وستكون حين تفترق الطريقان خيراً مما كنت في هذا الملتقى المضطرب .

فأومأ برأسه ايماءة شاكرة وحرك يده حركة فاترة وقال : ماذا يحفل المستقبل بالحاضر ، وماذا يبالي السائر للغد بمن كان قبله في مفترق الطريق (مطالعات ٦١و٦٢)

تلك سنة الطبيعه يا فرح ، فكما نذكر الشمس بالاحمرار الذي تتركه بعـــد غروبها كذلك يذكرنا ابناؤنا ثم يوارينا الليل . أراك احسنت اذ أسأت الظن باناس طويلي الايدي ينقبون البيوت وينبشون القبور ليسرقوا الخبايا والاكفان .

*

قال فرنسوا مورياك احد مشـــاهير كتاب فرنسا الحاليين : (انا من الذين يؤمنون بالناس لابالاجناس ، واؤمن بالشعر خصوصاً ،واؤمن انه ليس غير الشعر ، وانه من العناصر الشعرية وحدها يؤلف الفن في كتب الادباء ، وهي التي تهبها البقاء والخلود ، فالروائي هو شاعر قبل كل شيء وهكذا كان تولستوي وبروست لان قوة

الهامهم واستيحائهم كانت واسعة)

اذا صح هذا القول وسمحنا للقصصي ان يحدثنا كما يشاء ، اذا لم نفرض عليه نوعاً من القصة نحبه حتى نرى كل فن القصة فيه وما عداه خرافة ورقاعة ، كان فرح انطون قصصياً من الطراز الاول . قلت (اذا) ولا بد من اذا لئلا تقوم القيامة . وازيد على على ما تقدم لو لم يولع فرح انطون بالترجمة واذاعة المبادىء الجديدة ، ولو لم يترك بعض آثاره الرائعة ناقصة ، ليترجم للشرق روائع الغرب ، بل لو كمل هذا الاديب المخلوق قصصياً روايته (مريم قبل التوبة) لكانت رائعة من الروائع العالمية ككتاب الفارياق. ان في الاثنتين والتسعين صفحة يقوم الدليل على ما ازعم فليقرأها المخلصون لهذا الفن اذا لم يصدقوا ما قلت وسأقول فيها ، اما الآن فأبتدىء باولى قصصه .

★

الحب حتى الموت

هذه اول قصة الفها فرح انطون وهي سلسلة نصف سنة الجامعة الاولى ، قطع فرح هذه السلسلة ليترجم قصة ديماس عن الثورة الفرنسية ، وملخصها : شابان لبنانيان من (الكورة) هاجرا الى اميركا فاجتمعا قبل سفرهما بخوري الضيعة وهو راهب فزودهما ، مع دعاه وبركته ، بعض ارائه الاجتماعية . واستقل الشابان باخرة واحدة وحلا في اميركا ببيت واحد تقريباً ، المعلم اميل عند الخواجا بولس ، وبطرس عند الخواجا حنا عديل بولس . وكان الزحام على الانسة ماري بنت الخواجا بولس ، بنت وحيدة وابوها غني ، ولاجلها سافر الشابان من حامات ، ففضلت ماري المعلم اميل — هذه اول مرة يفوز بهـا المعلم ولكن على من ... — على بطرس الذي ارادها له زوج خالتها الخواجا حنا . وكانت الدعوة لوليمة في بيت ابي ماري اقامها للمعلم ودعا اليها وجوه الجالية . فجاؤوا جميعاً ، اما الخواجا حنا فتجاوز حدود اللياقة واخذ يضحك على المعلم المحتفى به ويتهكم تهكما لاذعاً ، حاول الخواجا بولس اسكات عديله ووقف حملته على ضيفه فما نجح وساء ذلك ماري فاغمي عليها .

وكان لماري صديقة اسمها فدوكي تعمل ككاتب في محل تجاري ، فرأى بها الخواجا حنا قوة عظمى من القوات المتجمعة على مرشحه بطرس ، فكاد للمعلم اميل وعطل سمعته فقتله تجارياً وسد بوجهه ابواب الرزق ، وسعى في فدوكي فعزلها من وظيفتها لظنه انها تدبر الامر لماري واميل ، فتمرض فدوكي ويشير الطبيب بارسالها الى كليفورنيا ، فيؤثر الجميع العود الى لبنان ويعودون كلهم : ماري وابوها وامها ، وفدوكي وامها ، والمعلم اميل ، ويتوجهون الى الارز بطريق حامات فيرى اميل امه

والراهب (ظلانور) ويسير الموكب الى الارز ولكن الارز لا يحي الموتى فتسوء حالة فدوكي وتوصي ماري باميل .

وبعد ايام يلحق بهم الراهب وأم أميل فتنحل عقدة الرواية حين وصولهما فتكون فدوكي اختاً لاميل . وتفصيل الخبر انه كان لام فدوكي بنت غرقت في الباخرة مع ابي اميل وسلمت اخت اميل الصغيرة ــ فدوكي ــ فاخذتها هذه المرأة على انها بنتها لانها لا تستطيع ان تعيش بلا ولد ، كما اعترفت ، وابراء لذمتها اشعرت ام اميل بالامر ، وكأن هذا التعارف اثر بفدوكي فشعرت بدنو اجلها فقالت للراهب : باركني يا ابتاه ! فمد الكاهن يده ليباركها والجميع يبكون بكاء مراً حولها ، فعلانعيب الغربان في اعالي الشجرة : قاق قاق ، واجتمعت بكثرة على المجتمعين تحتها فنظرت فدوكي الى اعالي الشجرة وقالت بهدوء : اتيت . اتيت . »

وبعد شهرين يقترن اميل بماري لابسين ملابس الحداد على فدوكي .

*

تسير القصة سيراً ليناً وخطتها واسعة فكان الكلام فيها كالثوب المفصل على القد، ولكن هذا الراهب الذي افتتحها واختتمها فكأنه لم يكن في اولها الا ليشهد اخرها ، ويبارك الصبية على فراش الموت ، مع ان الحل من الخطايا ــ في الكنيسة الارثوذكسية ــ يجوز بعد الموت ، وليس وجود الخوري ضرورياً كعندنا ، والا هلك الميت الى ابد الابدين ودهر الداهرين ... اما نعيق الغربان فوق الرؤوس فما استطعت تحليله الا هكذا : كأن الغربان رأت في ثوب الراهب ما يغريها على التجمع فتجمعت ... قد يكون اوحى الى فرح هذا السرب من الاغربة التشاؤم اللبناني بحضور الخوري الى بيت المريض ، كما انهم يسمون الموت غراب البين ، وهي عقيدة موروثة مع ما ورثنا من خرافات . اما قول فدوكي للاغربة اتيت اتيت فيشبه اسطورة امية بن ابي الصلت الذي علل نفسه بالنبوة ومات بحسرتها حانقاً على النبي ، ولا شك ان فرح انطون قرأها .

قلت انه جاء بالراهب في آخر الرواية ليحضر الدفن ويجنز ويأخذ « الجزو » أما

في اول القصة فسخره فرح ليشجب الحياة الرهبانية بلسان احد افرادها ، ولا يفل الحديد الا الحديد ، ولا يقطع الشجرة الا فرع منها كما يقول المثل اللبناني .

ذم فرح بلسان الراهب حياة الكسل التي يعيشها الرهبان ، ودفع الشابين الى المهاجرة والكسب . اما هذا الاسم الغريب الثقيل ظلانور فيلوح لي ان المؤلف نحته من ظل ونور ، وعندي ان وجود هذا المحترم فضولي في القصة كما هو في غيرها ...

في الرواية شخصيتان بارزتان : فريد مدبر العرائس ، فهو طيب الحديث لولا فصاحته وبلاغته ، ولولا انه افلت من شق قلم فرح نحوياً يلوك لسانه . والخواجه حنا الذي يمثل اللبناني المهاجر اصدق تمثيل ، فهو جبلي كما كان قبل الهجرة ، لم يتظرف ولم يتكلف مضغ الكلام ، فحواره وتفكيره وحركته ومشيته لبنانية محض ، لم ينس شيئاً من اثار محيطه الذي عاش فيه ونشأ ، فدخوله على المدعوين في بيت عديله ، وسلامه عليهم وسؤاله حالا : اين مريمنا ؟ ثم صراحته الصارخة ، كل هذا يدلك على ان الرجل لبناني عتيق ، لا يروقه حتى التلفظ باسم ماري . فلولا الخواجه حنا وفريد لكانت رواية فرح هذه تصلح لكل محيط لا يدلك شيء على ان اشخاصها من اللبنانيين المهاجرين الى اميركا ، فماري وامها وابوها متأمركون ، وكذلك فدوكي وامها .

يفهم فرح الفن القصصي فهماً صحيحاً والدليل على ذلك لباقته في المأزق الحرج فانه يحسن الفرار ، اراد ان تتمثل فتاة ببيت للمتنبي فقال : (ولو كانت تعلم الفتاة هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بدّ

لرددته .)

يشبه عمل فرح هذا ما فعله الشدياق في مقدمة فارياقه العجيب اذ قال معتذراً عن حديث امرأته فيه : « فان قيل انه ــ اي الشدياق ــ قد نقل عنها ألفاظاً غريبة غير مشهورة لا في التخاطب ولا في الكتب ، فلا يمكن ان تكون نطقت بها ــ اي الفارياقية ــ قلت ان النقل لا يلزم هنا ان يكون بحروفه وانما المدار على المعنى ».

الدين والعلم والمال

فرح انطون كاتب اشتراكي محموم حرارته ، دائماً ، فوق الاربعين ، والميكروب اذا افتتح بلداً كان اقوى وافتك . كان فرح من هذه المبادىء التي تشغل الدنيا في هم متيم ، وتلك مزية المصلحين الذين يحملون البشرية على ظهورهم ، عرف هذه المبادىء في الكتب فصح فيه قول الشاعر : والاذن تعشق قبل العين احياناً . جاشت نفسه وفارت كالقدر ولو لم ينفس عنه القلم لانشق ، كان جو الشرق كالقطب الشمالي فصبرته انفاس فرح صالحاً للاستيطان . واشرفت شمس المعرفة فأوت الوطاويط الى خرائبها تنتظر الغروب كالاجير ، ولكنه لن يأتي ، وماهذه الغيوم المعترضة الاسحب صيف ستكنسها ريح الشمال .

رأى فرح ان تكون القصة معرضاً لآرائه الهدامة فنحا نحو قصصي اوربا الاجتماعيين الذين احبهم ، اما (الدين والعلم والمال) فليست قصة مبنية على الطراز الفني ولكنها قضية عظمى البسها فرح ثوب القصة ، فتنكرت فيه كما يتنكرون في السهرات . يدور موضوعها حول الربين : الله والمال ، وليس فرح ممن يعبدون الاخير ولا ممن يتكلون على الاول اتكالا مشيناً للعقل شالا للفكر .

يتناول الكتاب الدين والسياسة بالبحث العميق ، والناس في الدين والسياسة قسمان : واحد يذر ويخرف في منطقه ، وآخر يأبى ان يتعقل . فالذي نسميه مبادىء ليس اكثر من ميول قوية عنيفة لبست براقع نظريات كذابة خداعة ، لان الحياة كالله ، واحدة فقط . اما نحن فنصفها بما يبدو لنا ، اقول : الحياة حلوة بدلا من أن اقول وجدت الحياة حلوة ، وبالعكس ، فبين (فكر) و (شعر) هوة اعظم من

التي قال عنها يسوع في مثل (الغني والفقير)

ان ذواتنا كفلك فيه نجوم منظورة ونجوم غير منظورة ، وهناك نجوم سديمية لم تدر بعد على ذواتها دوراناً وافياً لتكتمل ، وفي هذا الفلك ايضاً شموس قريبة وشموس بعيدة ، وفي اعمق ذات الانسان اسرار قد تبديها (الانقلابات) كما تكتشف الزلازل ارضاً جديدة .

كان فرح كهذا الفلك ولكن نجومه لم تكمل ، وشموسه احتجبت صلاة الظهر ، كان من محبي الحقيقة ومحبة الحقيقة واجبة قبل أية محبة اخرى ، ولكن البحث عنها بالحاح يحول دون الحصول عليها ، وكثيراً ما يسبب انكارها ، ناهيك ان طلبها بعنف قد يؤدي الى السفسطة والعناد ، فاستنطاقنا الحياة وفحص معاني الاشياء السرية يعرضها للابادة . ان ما نسميه اليوم فضائل سيكون الكثير منه بلا جدوى ، والمبادىء الادبية الرئيسية التي تدعم الحيـــاة الحاضرة ستهدم وتقضي الحيـاة تحت الردم كاولاد ايوب .

ان مرض المعرفة آكلة تلتهم السعادة البشرية وتشل اجساماً كثيرة ، قال آراسم Erasme : (يأكل البدوي لحمته النتنة كانها عنبر ، بينا انت لا تطيق رؤيتها ، فمن هو على حق ؟)

الحقيقة اذن ان تكون سعيداً ، وما المعرفة التي ذاق غبها فرح الاغذاء يقدم للنفس ليس اكثر . وبكلمة اوضح هي غذاء تقدمه النفوس الكبيرة للنفوس الصغيرة بلا ثمن ، وفي العقول اوهام تولد واوهام تموت لان الاوهام الضرورية للحياة تتبدل وتتغير اذ يكبر العقل ، فليست اوهام الفيلسوف كاوهام الرجل العادي ، ولا احلام الشاعر كاحلام القروي فالاوهام والاحلام لا تفارق الانسان .

وليست هي التي تتغير بل مادتها ، فتبنى على اسس جديدة . نحن لا نشك ابداً ان العلم سيضع ــ ان لم يكن وضع ــ التخوم الفاصلة بين الارض والسماء ، اي بين الله والدنيا ، ولكن ماذا يحدث ؟ يصح فينا اذ ذاك قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننـــا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ان الدنيا كلها تختفي تحت برقع الرياء والطمع ، واحسن عمل فيها يسبب الخجل ، وليس فيما حولنا ما يستحق احترامنا الكامل ، وليس في انفسنا ما يحب ، فلجة شهواتنا عميقة ، ثائرة ابداً ، ومدها وجزرها يعملان كالقلب ، ليل نهار .

كيف رأيتني ؟ اما تفلسفت كثيراً اليوم ؟ فالمعذرة يا اخي ، من حضر السوق باع واشترى . ان هذه القضايا التي لا تحل ، هذه المعضلة التي مات لاجلها يسوع ، واضطهد محمد ، وشقي موسى وبوذا هي التي شغلت بال اديبنا فرح انطون فتشنجت اعصابه حتى التوتر ، وتهور قلبه الكبير ... ففي كتابه الدين والعلم والمال اراد اصلاح المدينة الفاضلة التي بناها (الشيخ سليمان) فلم يقدر ، فعمل بها عمل الله في سدوم وعموره ، كما زعموا ، وبنى على انقاضها مدينة (الرفق والاخاء) .

ان مكان مدينة الدين والعلم والمال غير معروف لانها استنباط فرح ، اما تخطيطها فهكذا كان ، كما روى شيخ قرية (الدخول) لحليم النازل عليه : (اشترى الشيخ سليمان — سيظهر ايضاً هذا الشيخ في اورشليم الجديدة — هذا السهل الواسع الذي امامنا ومساحته ٥٠٠٠ فدان ، واسكن فيه فتيانا وفتيات من طبقة الرعاع ، واحضر لهم زراعاً وصناعاً يدربونهم على الزراعة والصناعة [1] واقام لهم حكومة وسن لهذه الحكومة قوانين الخ (ص٣) فغدا حليم — هو فرح بعينه تظهر لك صفاته في صفحة ٤و٥و٦ — الى المدينة ومعه رفيقه فرأى مدينة المال كبيروت ، او اعظم مدينة رأيتها انت ، وفتش فيها عن فتاته ذات الحلة البيضاء التي رآها في الطريق فما وجدها في مدينة المال . وتقدم فرأى مدينة العلم كصح بجنس ، هدوء شامل وصمت رهيب ، اما مدينة الدين فهي كما قال اعمى المعرة :

قس يعالج دلبة والشيخ من حنق يصيح

ويجول حليم في المدن الثلاث فيلتقي في الحديقة العامة بمن يعرفونه فيدعونه لجلسة المساء العامة بين رجال الدين والعلم والمال ، فيحضر ويحمى الجدال والخصام بين العمال والرأسماليين وبين رجال الدين والعلم ، ثم يستتب النظام فتدرس مشكلة العمال

---

١ — حقق فرح في اميركا شيئاً من فكرته هذه

وارباب الاموال ، فيعرفنا فرح بكارل ماركس ـ ارأيت كيف سبق فرح زمانه ، فاين بلاشفة البلد يكرمون واحداً اعتنق القضية يوم كانوا في احضان امهاتهم ـ وينادي بمذهبه في ذلك الزمان ، فيقول زعيم العمال ما قاله ماركس : ان معامل الامة ومصانعها ومتاجرها وارضها هي من مرافقها ومنافعها كالانهر والابحر والهواء ، فعلى الامة ان تتولى ادارتها بنفسها وتوزع ارباحها بين ابنائها ـ اي ان تجعل الحكومة نفسها التاجر الكبير . (ص ١٩) .

ثم ينذر فرح بثورة العمال (سنة ١٩٠٣) وقد تحقق حلمه الذي رآه ، ولكنه لم يخل من مرارة الخيبة الممزوجة بالرجاء .

وينتصر رجل العلم للعمال فيناهضه رجل الدين ويتناطحان حول تنازع البقاء وبقاء الانسب ، فيستشهد فرح بنيوتن الضعيف ضد مذهب القوة الذي اذاعه حين عرف نيتشه ، او حين تغيرت احلامه وتبدلت اوهامه ، كما قلنا . وفي الحوار بين رجال العلم والدين يندد فرح بزلات في الدين يجب قطعها ، كما يرى فيه اشياء نخرة يجب ترميمها ، واخيراً يتراءى له ان الكمال البشري ممكن دون الدين .

ويشتد الخصام والجدال فتخضب الجلسة بالدم . ثم تعقد ثانية وتختم بتسعة بنود نصها شيخ العلماء انصافاً للعمال ، وفي احدها وضع الضرائب على الدخل (ص ٤٢) . فقامت قيامة الرأسماليين . وبدسيسة منهم علق اعلان يحرض الشعب ، فيثور وتحترق المدينة . فنجا حليم ورفيقه بسلم صنعاه من ستائر وسجاد الفندق . وتشارك الطبيعة البشر فتثور الزوابع وتنقض الصواعق ويلجأ حليم ورفيقه الى شجرة يتذريان بها من المطر والبرد ، وينظران الى خراب المدينة العظمى ، وهنا تظهر الفتيات الخمس راكبات ، وفي وسطهن حسناء حليم ذات الحلة البيضاء كئيبة حزينة باكية فيلاطفها حليم ، وبالاختصار يتزوجها ، ورفيقه يتزوج اختها ، واخواتها الباقيات يجعلهن فرح اوفر حظاً من بنتي لوط ... فيستقدم ثلاثة من اصدقائه ليكونوا ازواجاً لهن ، ويعيد بنيان المدينة على اسس الرفق والاخاء .

*

لامر ما جعل فرح الفتيات خمساً ، اما انا فما وفقت الى فك هذا اللغز ، والا فلماذا سامن خمستهن وهو يعلم ان هذا غريب . أيعـــارض بهذا قصة لوط وبنتيه وولديهما ـــ من ابيهما ـــ مواب ونعمي ؟

ومهما اجتهدنا تظل حسناء حليم اختاً للمحترم (ظلانور) ملازقة تلزيقاً كالشوارب التي كنا نصنعها صغاراً تشبهاً بالرجال ، يوم كانوا يحلفون بشواربهم .

لا نعرض لهذا الكتاب بالنقد القصصي فهو ليس قصة كما قلنا وكما يعترف فرح ، ولكن خاتمته ، ان كان قصة او لم يكن ، غريبة عجيبة لا تصدق ، وان رأينا لهـــا شبيهـــاً في التوراة فما عند الله ليس عند الناس ... والذي صنف قصة التوراة اخرج لوط وعائلته الكريمة قبل ان احرق المدينتين بالنار والكبريت ...

وبمناسبة الكلام عن هذا الكتاب نقول لو عاد فرح ورأى ما نحن فيه اليوم لعتقدنا واياه مناحة يبلغ الجو خبرها ، بل لم يجر مثلها اليهود على اسوار اورشليم .

ليت عينك ترى يا فرح ، فالوطن عندنا هو الدين كما جاء في اورشليمك (ص١٤٧) ان سياستنا في ايدي رجاله ، صاروا ولاة اجسادنا كما هم اولياء النفوس ، فعلينا العمل بقول بولس الرسول : اطيعوا مدبريكم واخضعوا لهم كأناس يؤدون حسابكم .

كان الدين صنم العالم امس ، اما اليوم فصنمه العلم ، فباسم العلم والتمدن تستعمر الشعوب الضعيفة ، اما في لبنان فباسم الدين غرقت البلاد في (الطائفية) . واقرب الناس الينا وادراهم بنا يحسبوننا همجاً يقضي عنا (رعاتنا) بالامر ، يمجدونهم لاجلنا ، وعلى حسابنا . ان مجد الله يكفيهم ، فنحن نطلب العمل النافع لا هذه السخرية المبهمـــة والضحك الصامت .

طلبت كثيراً للشعب يا فرح ، اما الشعب فشعاره : القناعة كنز لا يفنى ، انه لا يطلب الا البركة والدعاء وملكوت الله وبره ...

انتظروا هذا الملكوت ، فلعله يأتيكم .

الوحش الوحش الوحش

او سياحة في ارز لبنان بقالب رواية فلسفية اجتماعية ادبية . هكذا عنونها فوح ودفعها الى القراء ، وملخصها :

تاجر من صيدا اسمه متى حاروم جاء بيروت وعظم شأن تجارته فيها ، فتزلف اليه تاجر صغير اسمه لوقا طعمون ، فاطلعه على اسراره التجارية ، فانقلب الصديق مزاحماً لئيما فكسدت تجارة متى وافلس . ويئست بنت متى لان اباها افتقر ولوقا جفاها بعدما عللها بالزواج ، فالقت نفسها في البحر فانقذها شاب من تلامذة بيروت الجامعيين صوري المنشأ . واحبها الشاب واحبته ولكنها رأته فقيراً مثلها فهاجرت تاركة له كتاباً تسأله فيه ان ينساها ، فساء يعقوب نكرانها الجميل واشتد به العشق فجن .

اما متى ابو اميليا فقنط اذ لم يبق له بيت يستره فاختفى عن الابصار ، وهام عاشق اميليا — يعقوب درمان — في البلاد على وجهه ، وعرفه الناس باسم مخلوف . اما اميليا فتزوجها في اميركا غني عظيم — المستر كلدن — فعاشت سعيدة لولا ذكرى ابيها التي لم تكن تفارقها . وجعل زوجها جائزة سنية لمن يأتيه بخبره فخاب الرجاء . وحنت اميليا الى وطنها لبنان فجاءت وزوجها اليه ، وابت ان تمر ببيروت هرباً من الذكريات المؤلمة فكانت خطة الموكب : طرابلس — الحدث — الارز .

وعرف لوقا طعمون بقدوم المستر كلدن المثري الاميركي الشهير ، فحدثته نفسه ان يكون معتمده في الشرق ، فكتب اليه يسأله ذلك فاستشار كلدن زوجته فاوقعت عينها على رسالة لوقا طعمون حتى اقشعر بدنها وبكت امر البكاء . وجاء لوقا طعمون ليقابل كلدن في الارز فكان مشهد غريب . عرفه مخلوف المجنون — يعقوب درمان —

فانقض عليه وهشمه تهشيما . وحضر ايضاً متى حاروم ، ملك راس القضيب ، وفي يده بندقيته فعرفه مخلوف وصاح بصوت كالرعد : (متى حاروم ، حنا حاروم ، جئت في وقتك ، وفي يدك بندقيتك ، انظر صاحبك لوقا طمعون)

فاطلق متى بندقيته فخانته فالقاها واتكل على باعه وذراعه يعاونه مخلوف . وكان في الارز جماهير وفدت لتحضر يوم كلدن — يوم في العام يوزع فيه هذا الغني الاف الدولارات ، اراد عمله في الارز حباً يزوجته اللبنانية — فقبضوا بعد جهد على المجنونين وحبسوهما في كنيسة الرب .

اما لوقا طمعون فتجلد واصلح من هندامه ما استطاع ودخل على المستر كلدن ، وبعد جدال عنيف بين اميليا ولوقا و كلدن حول الشهادات التي جاء بها لوقا الى المستر اختصر كلدن الحديث بقوله : (هل تريد ان اجعل احد خدامي يجلب مثلها — بينها شهادة رئيس ديني كبير — بعشرة ريالات فقط . يا مستر لوقا جئتنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجة متى حاروم في صيدا) .

فاغتم لوقا وقال : (ان متى حاروم مخفي وزوجته ماتت ، وابنته الطائشة فرت وتركته) . فانتفضت مسز كلدن لهذا الكلام ، وحاول لوقا ان يخرج فاخذه كلدن بعنف وقال له : مســـتر لوقا ! اجثُ اطلب العفو من مسز كلدن ابنة الخواجه متى حاروم .

فانتصب لوقا المقهور مدافعاً عن نفسه زاعماً ان لم يتعدّ المنافسة التجارية التي بها نفسها تغلب كلدن على الاسواق،وختم كلامه بقول غوت:الى الامام ولو فوق الجثث.

فلم تبال اميليا بحججه وبراهينه وامعنت في اهانته ، ثم ترقرق دمعها لذكرى ابيها فقال لوقا : انا اعرف مكان ابيك ، وسأجيئك منه بالشهادة المطلوبة . فدهشت وصاحت : قل اين فاملأ فاك درّاً . فقال : الآن في الارز .

فخرج الجميع تتقدمهم اميليا فرأت اباها المجنون مقيداً في الكنيسة ، فشفي حالاً حين رآها ، ووزع هو عطايا (يوم كلدن) وعفا عن لوقا طمعون الذي ســـار مع موكب كلدن ، وترك مخلوف الشقي تهيجه الذكرى ، ثم سيق الى دير (قزحيا)

المستشفى البلدي للمجانين ...

اما بسط فرح لحظة قصته ففيه شيء كثير من فن ولباقة القصصي المطبوع . وللقدرة على غرس المبادىء جعل فرح الكلام على لسان شابين متعلمين كليم وسليم . سفرهما من قلحات قبل الفجر بكثير فتحدثوا عن الجداجد التي سمعوا صوتها في الليل — لا ادري اذا كانت تغني قصائدها في الدجى — وجعلا يخطئان لافونتين . فسئم المكاري وغضب على جواده غضب سليمان حين فاتته الصلاة . فادرك الشابان خطأهما وسألا المكاري لماذا اختار هذه الطريق ، فحدثهما عن خصام اهل قلحات وفيع بسبب تشاتم الاولاد .

وينعس الشابان فيغني المكاري الحنيانا والميجانا ويا دوم حالي يا دوم ، فينشط الراكبان ويعجبان بهذا الادب الساذج الرفيع الذي يمثل الامة وحبها العنيف . وتطلع نجمة الصبح فيناجيها الرفيقان متفلسفين . ولاح لهما دير حماطوره مع الشمس فكان حديث طويل عن الحياة الرهبانية ، يخطئها كليم ويصوبها سليم . ودخل المكاري في القضية شخصاً ثالثاً خائفاً على جواده اذا ظل كليم يحدف على الرهبان ، فيتراخى كليم ليغلب سليم ، فيسر المكاري ويأمن عثار الخيل ...

وبلغوا عين السنديانة فاخذ رجل معتوه مجلة انكليزية من الخرج بلا استئذان ، وقرأ فيها حادثة غرامية فطوى المجلة واعادها قائلاً : كلهن سواء . وردد :

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا واخرى بنا مجنونة لا نريدها

واغمي عليه فاسعفوه فأفاق ، ولم يعرفوا من امره الا انه مجنون اسمه مخلوف ، وتركاه على ان يلاقيها الى الارز ، وسارا الى الحدث فدخلاها والاهالي في جلبة وضوضاء . يريد واحد ان يكري بيته من بروتستانيين قدموا اليها ، والضيعة لا تريد ، وينتهي الامر بقبولهم لان ابا مرعب ، وهو من الذين حاربوا مع يوسف بك كرم ، قد اراد ذلك . ويتعرف كليم وسليم بالاميركيين فاذا هم طلائع حاشية المستر كلدن لا مرسلون بروتستان كما توهم موارنة الحدث .

ويبيت كليم وسليم عند صديق لهما مسلول وهذا ايضاً من ضحايا لوقا طمعون . وفي

الغد يذهبان الى الارز فينامان في العراء ويعوي الذئب فيطير النوم . ويصبحان فيطلبان الصيد في ذلك الوعر فيضلان في الجبل ويسقطان في واد صغير . وتنطلق بندقيتها فتجيبها اخرى ويصرخ صوت : الوحش الوحش الوحش .

ثم يقبل شبح كالوحش رافعاً بندقيته في الفضاء انذاراً لهما فسلما . وتعارفوا فسألاه عن تاريخ وجوده في القفر فاجاب : منذ تكوين العالم .

واستغرب كيف لم يصدقاه . وحاولا كشف سره فاستحلفاه باولاده فغضب اشد الغضب . وذكرا له الله فخر الى ذقنه ، ثم انتصب واخبرهما انه في هذا القفر (يكون العالم الحقيقي الذي يسود فيه الخير والصلاح ... وان اصل الشر الوحش الذي في الانسان ...

وتم له ذلك بمعونة الله وانه سمع صائحاً يقول : (لقد انتهى) . ويلوح ذئبان يقتتلان على رابية فيعدو اليهما ويصرعهما ويجرهما الى كوخه ويقول لضيفي مملكته : كلاهما معتد فارحنا المملكة منهما) .

فأدرك كليم وسليم سره وسألاه : لماذا لا يذهب الى المدن ؟

فغضب وقال : اني لا اقدر على جميع الوحوش التي فيها ، اذ ليس لي غير يدين ولا اقدر أن امسك بهما اكثر من بندقية واحدة ... لا تصدقوا انني ولدت هنا بل انني ولدت في المدن وعشت في المدن،ولكن الوحوش فيها اكلتني وطحنتني ففررت منها ، ولكن لا بأس ستأتي نوبة المدن وحينئذ أدخل اليها باذن الله دخول المنتقم لله من وحوشها الضارية (ص٥٠) .

أظنك عرفت الرجل ، هو متى حاروم ، ملك رأس القضيب ، أبو أميليا الذي انقض مع مخاوف على لوقا طمعون في يوم كلدن .

*

على القصة مآخذ شتى . لا يعنيني اذا كان حشاها فرح فلسفة اجتماعية ممكنة ومستحيلة ، فهذا هدفه الادبي والمرء لا يساق الى الهدف . ولكن فرح انطون أغرب جداً في الاستنباط وكان اعظم من الله في (الخلق) . فرجل مثل متى حاروم ابن

ثغر ، نشأ على سيف البحر وفي صيـــدا الحامية كالتنور لا يستطيع ان يحيا في رأس القضيب شهراً واحداً فكيف بالسنين ! فهذا ما يعجز عنه ابن بتعكفرا وهي اعلى ضيعة في لبنان . الوحوش ترحل عن تلك الارض في الشتاء لتشتي بالاقاليم المعتدلة فهـــل يستطيع تاجر مرفه كمتّى هذا ان يعيش هناك كما وصفه لنا فرح : (فعلما ــ اي سليم وكليم ــ انه رجل اضاع صوابه لظلم اصابه فبرح بلدته واقام في تلك الجهات المقفرة وهو يعتقد ان الله ولاه عليها لمحو الظلم والشر ، ثم يملكه المدن لاستئصالها منها ايضاً. وقد افتقد كليم وسليم كوخه ومعيشته فوجدا انه يعيش في اسوأ الحالات . ورب يوم لا يتناول فيه غير كسرة خبز اسود يصنعه من دقيق يعجنه ويشويه على النار ، او قطعة من لحم الوحوش المعتدية التي يصطادها . وكان يمرّ عليه في زمن الثلج والشتاء عدة ايام يظل فيها محبوءاً في كوخه الحقير لتراكم الثلج عليه في ذلك الجبل . وكان قد تعود احتمال البرد كالحيوانات فاذا ذاب الثلج زحف من كوخه وخرج على الثلوج يسير زلقاً لا مشياً كأنه سائح فوق ثلوج القطبين (٥١) .

قرأنا عن سليم وكليم انهما لم يطيقا برد جبل الارز صيفاً ، افلا تكون الحياة في الشتاء معجزة المعجزات ؟! وقول فرح وكان قد تعود احتمال البرد كالحيوانات لا يجعل الامر ممكناً ، ولكن الاستاذ اراد ان يتبع خطة ديماس فاغرب كبونسون دي ترايل . اما شخصية مخلوف المجنون الثاني فاجاد في خلقها كل الاجادة ، فمخلوف ابرز اشخاص القصة . طبيعي في كل شيء ، في حواره وتفكيره ، وحركاته وسكناته ، ونفسيته ، وحكماته ؛ ومشهده مع حبيبته حين رآها في الارز من اروع المواقف . وقد لحظت في هذه القصة ، وفي اورشليم الجـــديدة ، اجادة فرح في تصوير المعتوهين وانطاقهم . وتركه هذا المجنون يطوف في البلاد واقعي جداً في ارضنا ، وهـــذا ما عرفناه عن المجانين ، وليس في حديث مخلوف واطواره ادنى غرابة فقد رأينا باعيننا وسمعنا باذننا معتوه حمانا ، فيلسوف الشاغور ، يكتب اياته على الصخور بالقلم العريض بل بالفحمة الغليظة وابرزها قوله : من خلق علق . انها لحكمة جموح يتمنى الفلاسفة الكبار ان تكون لهم .

كان اجتماع اميليا بابيها قريباً من التصديق لولا هذا الجو الذي وضع فيه متى

حاروم . يتراءى لي ان فرح انطون احب الارز حتى العبادة فاراد ان يجترح فيه عجيبة تصديقاً للتسمية ، افليس هو ارز الرب ؟

اما بقية الاشخاص فطوع قلم فرح ، وان تعقد الحوار احياناً . ففرح ابن مدينة اراد ان يصف اطواراً قروية رآها مرة او مرتين ــ وهذا لا يكفي ــ فجاء عمله احياناً مطابقاً للواقع واحيـــاناً لا ، ففي (الحوار) ما هو جيد كقول كلدن للوقا طمعون : انا لا احب كثرة الكلام يا مستر لوقا ، فـــاذا شئت ان تكون وكيلا لاشغالنا فجئنا بشهادة شرف واستقامة من الخواجه متى حاروم .

فعندي ان استعمال (مستر) للوقا وخواجه لمتى فيه تدقيق وفن . وكذلك قول اميليا للوقا : يا ظالم ، تخرب بيته ، وتميت زوجته ، وتهرب ابنته ، وتبيع منزله وتمحو اثاره الخ .

ثم بالعكس قولها له بعدئذ : قل فاملأ فاك درراً . فهذه نابية وكان على الاستاذ ان يقول (فمك) بدلا من (فاك) على الاقل ، فهي اقرب الى حديثنا من تلك .

واشنع من هذه سؤال كليم للمكاري : هل ظهر نجم الصباح يا جرجس ؟ فاجابه المكاري بابشع : سيظهر بعد نصف ساعة على الكثير ، والارجح ان الشمس تشرق لنا عند بطرام . فيقول : كليم فلنعجل اذن ، فاننا نروم الوصول الى الجبـــل قبل اضطرام وطيسها فراراً من الحر . فوطيسها تركية في اذن المكاري اللبناني . ومثل هذا قول كليم ايضاً لرفيقه سليم : هل نركب يا سليم ، فان مطيتينا حاضرتان ، ولنلبس ملابسنا اولا .

فكيف غفل فرح عن هذا وهو يعلم ان في الحوار كل جمـــال القصة . وهناك طفيليات علقها فرح كالقراد في جسم قصته ، كبعض حكايات من العقـــد الفريد ، لا يتسع المجال لسردها كلها . وفي الحدث يقلد فرح الشدياق ولكنه لا يوفق ، يقوّل المستر كلدن : يس يس سنأمل يوم كلدن في الهرز . يعني : سنعمل يوم كلدن في الارز (ص٥٢) . ثم في اليوم الثاني يرينا المستر كلدن فصيحاً كأنه بدوي لا لكنة ولا رطانة .

وكذلك تمثل لوقا طمعون بقول غوت : الى الامام ولو فوق (الجثث). فتعريف

فرح له لا يؤهله للتفوه بهذا الكلام السامي ، فنفسية دنيئةقذرة كنفسية لوقا لاتتعالى الى هذا الافق . فالخائن دساس جبان يطعن في الظهور لا في الصدور ، فلو قوّله كلمة عربية لافصح العرب كان الخطب اهون ، وجاء الكلام اقرب الى الفن . وارى كما رأيت في اسم ظلانور ان لفرح ولعاً باشتقاق خاص لاسماء ابطاله مثل حاروم وطمعون ودرمان ، فانها تأتي كريهة وان دلت على شيء .

اما تخلص فرح في (المأزق الحرج) فاليك في هذه القصة شيئاً منه . يشفى متى حاروم حين يرى بنته فيعلم فرح ان ذلك مستحيل لا يصدق فيقول : ولم يدون علم الطب شفاء كهذا : (٦٤) .

اما سير القصة فسريع نحو النهاية سرعة المسافرين الى الارز ، وهذه حسنة من حسنات القصص . اما غاية فرح الاجتماعية فتحققت اذ سرد اراء كثيرة في كل فن ومطلب حتى كتب صفحتين عن السل (٣٢و٣٣)وقد وطّأ لهذه الاراء كلهااحسن توطئة فلا تشعر ان المؤلف يقصدها الا حين يعلم المكاري الديمقراطية فيأبى بعد قليل ان يسقيه ، ولو لم يبرطله بقنينة عرق لما فعل .

ان جعل فرح محيط قصته في وطنه يدلك على معرفته ان القصصي لا يخلق قصته في مكان لم يعرفه ، ولكن كلامه عن غوغاء الحدث وتخاطبهم بيا ابن طنوس ويا ابن مرقص ويا ابن .. بدلا من الاسم ، فهذا لا يكون الا نادراً وللتحقير .

في القصة مبادىء كثيرة عرضها فرح بلسان اشخاصه ، واحسن عرضها كما قلنا وقلما تخلو صفحة من حكمة . وفي القصة فصول رائعة كالفصل السابع ، وموقف اميليا وكلدن ولوقا ، ومخاوف في ساعة الرحيل كما قلنـــا ، اما العفو عن لوقا طمعون فتولستوي . واظن ان غرابة (العقدة) نسّت القراء هذه القصة الطيبة ، وجعلتهم لا يذكرون لفرح الا (اورشليم الجديدة) رائعته الكاملة ، فالى اللقاء في القدس والمجدل .

اورشليم الجديدة

تلخيص القصص قتل للفن ، ولكن الناقد كالجراح فلا غنى عن البضع احياناً ، وفتح البطن حينا ، فعلى من يعنيهم الامر ان يقرأوا النص المنقود ليدركوا الجمال الذي يسقط تحت الردم ويروا الاعضاء مركبة متناسقة لا اشلاء على وضم .

ان اورشليم الجديدة ابعد اثار فرح شهرة ، واكثر القراء يذكرونه بهـا ، ولو طول الله عمر (مريم قبل التوبة) لفاقتها ، ولكنها ماتت ولما تبلغ الرشد . علم فرح ان سقوط مملكة الروم وتقلص ظلها عن سورية كان اول اسبابه تلهي القوم بالقشور الدينية فبنى، قصته اورشليم الجديدة على هذا الاساس .

ورأى ايضاً ان القصة بلا حب وغرام كالطعام المسلوق وهو ان غذى فلا يكون شهيا ، فوضع من هذه التوابل ما قدر عليه ، فدارت قصته حول فتاة يهودية اسمها استير تيمناً باستير احشوروش ، ولكنها ماتت مقهورة . وجدت هذه الفتاة مـع ابيها في بيت لحم ليلة عيد الميلاد سنة ٦٣٦، وانطفأ مصباح كنيسة المهد فترك النصارى المعيدون مباحثهم الدينية وثاروا يطلبون اليهودي ، لان وجود يهودي في بيت لحم يمنع المصباح ان يشتعل ، فيهزأ بخرافتهم شاب مسيحي اسمه ايليا فيقبضون عليـه ويشبعونه ضربا ولطما زاعمين انه يهودي . فتهرع سيدة نبيلة اسمها تيوفانا الى معتوه يلقبونه النبي ارميا فيخلص ايليا من الغوغاء فيشكره ايليا ويمضي مفتشاً عن الذي حرض عليه ، فيلتقي باستير وابيها اليهوديين خارجين من بيت لحم ، فيضحك لصدق وهم العوام ويتبعهما ليخلصهما من الاعتداء، فيلتقي ايليا بجماهير قادمة الى بيت لحم اذ بلغهم انطفاء القنديل فيعترضون البنت واباها على انهما يهوديان ، فينتصر لهما ايليا مدعياً انهم

نصارى ويرسم اشارة الصليب ويفعل مثله ابو استير. اما البنت فتأبى ذلك ، فيتمسك الجمهور بها فيقول لهم ايليا انها وثنية من بصرى لان الوثنيين احب الى قلب النصارى من اليهود اذ ليس بينهما دم وثأر ، فتصر الجماهير على تعميدها ويفرحون بهداية نفس بشرية يوم العيد المبارك وحينئذ يطل موكب البطريرك تتقدمه المشاعل والمصابيح فينتظر الجميع الموكب ، فيأمر البطريرك بسوق البنت وابيها الى بيت لحم رغم مساعي ايليا لديه . واعاد ايليا الكرة في بيت لحم فلم يفلح ايضاً اذ قطع البطريرك الكلام بقوله : قد يكونان جاسوسين للعرب ، ولكنه امر بعزل الفتاة في دير الراهبات ولم يعمّدها .

وبينا القوم لاهون بهذه الترهات والسفاسف بلغ البطريرك اقتراب العرب من المدينة ، فقدس مستعجلا ليعود الى اورشليم قبل ان يدهمها العرب .

وبينما كان البطريرك وحاشيته مشغولين بالعرب كان كيريه ايليا يزحف على الدير متسلقاً جبل الزيتون ليرى ما حل باستير . اما سبب حب ايليا الفجائي لاستير فانه رأى منذ سنوات واحدة مثلها مع ابيها في يافا فأحبها ، ولكن حبه مات جنيناً فبعث اليوم حياً . وهناك سبب آخر قوي وهو تأثير التوراة وتاريخ يوسيفوس فقد ارت قراءتها ايليا ان اليهود معاصريه بقايا امة عظيمة حلت قوة نفوس نسائها وجمالهن مشاكل كثيرة في التاريخ .

وفي جبل الزيتون يجتمع ايليا بالملقب بالنبي ارميا في كوخه قرب ارزة صهيون فشكر له صنيعه اذ انقذه من الغوغاء . وكان ارمياحانقاً في تلك الساعة على الامبراطور لتركه المدينة المقدسة بلا حامية وسماه المسيح الدجال ، فكاشف ايليا بفكرته العظيمة وهي تحرير السوريين من نير اليونان الذين يحكمونهم دينياً . فهو يرى ان يقف السوريون من العرب ويقيموا بطريركا سوريا . فيخطئه ايليا ويحدثه عن استير فيظهر له انه عارف بدخولها الدير ، فيحتال ايليا ليوجه ارميا في سبيل مآربه ثم يتركه قاصداً دير الراهبات فلا يرى استير بل السيدة تيوفانا ، فتخبره ان استير فتاة عنيدة بكت واغمي عليها حين رأت صليباً في غرفتها . فسألها ان تسهل له مقابلتها ليقنعها فترفض ، وهل يخفى امر بسيط كهذا على عانس كتيوفانا؟ وفيما هما مشغولان

بالحديث اذا بارميا يهرول ويصيح : وصل العرب .

هذا ما كان يجري حول الدير ، اما في اورشليم فالبطريرك والوالي في خلوة يتشاوران فدخل عليهما بدوي غساني يحمل انباء العرب . وفي تلك الساعة المشؤومة جاءت ام تيوفانا وابو استير خائفين على ولديهما فتأفف البطريرك وقال : العذراء تحمي ديرها .

وعاد ارميا الى كوخه وذهب ايليا الى المزرعة (مزرعة الشيخ سليمان) وهنا يقص فرح سيرة بطله ايليا، فامه نذرته لله واخذت تخبز له كل يوم ارغفة يوزعها على الفقراء فيدعو له اولئك ان يصير بطركا ، ثم جاء احد علماء القسطنطينية ورآه يفعل ذلك فقال له : ستكون بطريرك اورشليم الجديدة . ودخل ايليا الدير حين شب، ورأى يوماً اسقفاً يلطم راهباً في القداس فاستعظم فعله ، واجتمع بالراهب ميخائيل على الجبل حيث واعده ، فافرغ هذا الراهب الآبق جعبة آرائه الدينية والاجتماعية في نفس ايليا فنفره ، والحديث طويل سماه فرح (الخطبة على الجبل) . اول الخطبة مبهم ككلام الانبياء (يابني الخ ص ٤١) وموضوعها البحث عن اعمال رجال الدين ومخالفتها للانجيل ، اذ عاد رجال الدين الى الحالة التي حاربها المسيح ، ولو ظهر اليوم لاضطر ان يصلب ثانية .

واطرى الراهب ميخائيل النسطوري النبي والعرب ثم رأى ان سيصيب الاسلام ما اصاب المسيحية بسبب المؤولين والمجتهدين ، وان اصلاح الهيئة الاجتماعية بواسطة الدين لا يمكن ان يتم الا اذا عادت الانسانية الى طفوليتها ، وعندئذ يلزم نبي جديد للانسانية الجديدة (ص ٤٥) .

اما ميخائيل هذا فراهب كان يجمع الصدقات للفقراء فاشاع الناس انه يخبىء المال في الغابات فعاف هذا العمل وانصرف الى الحقول يشتغل مع البائسين ، فخطط قرى عديدة فاتهم انه يسعى لرفع نير الكنيسة فحبس في الدير للوعظ فقط . ووعظ يوماً فكفر وطرد ، واخذه قائد في جيشه ، وبعد الحرب والظفر اسس مزرعة ــ كما في الدين والعلم والمال ــ واخيراً يبشر ميخائيل تلميذه الجديد بديانة (الرفق والمحبة والصفح) . وتطلع الشمس فيذهل ميخائيل ويتعجب ويخر ساجداً لها ــ مشهد

فولتيري ــ وتنتهي الخطبة فيتمشّى ميخائيل وايليا حتى اذا بلغا المزرعة رحب الشيخ سليمان بايليا بعد ما عرفه ، وبشره انه سيرث ميخائيل في اورشليم الجديدة ــ اي المزرعة .

وبعد حين مات ميخائيل فعزم الشيخ سليمان الا يكون اكليركي في مزرعته وقال للشعب : اقرأوا التوراة والانجيل ونظفوا قلوبكم وهذا يكفيكم . فقالوا : ومن يعمد ويكلل ويجنّز ؟ فاراد سيامة ايليا كاهناً فابى . اه

هذه حكاية ايليا قبل ان عرف الشيخ سليمان وخبر ايليا سليمان عن بلوغ العرب القدس وقص عليه خبر بيت لحم فغضب سليمان وقال : كان على البطريرك الا يساير الشعب فان كان الرجل جاسوساً حبسه واطلق البنت .

ولم يستطع ايليا الرقاد في المزرعة فعاد الى جوار الدير وجلس على اكمة في الظلام يقرسه البرد الشديد ، وقرب نصف الليل انسل الى الدير فسمع زفيراً وبكاء : الراهبة تحدث استير لتقنعها ببقاء الصليب في غرفتها ، والبنت تصر على اخراجه فتخرج الراهبة غضبى . ويدخل ايليا فترتاع البنت ، وتعلم انه موفد من قبل ابيها فتهدأ ، وتخرج معه من الدير واذ تراها وايليا وحدهما تفزع ، ولكنها تمشي . وتهب العاصفة فيحاول ايليا حمل استير ــ كما في بولس وفرجيني ــ فتأبى ، ولكنها تسمح له باخذ ذراعها فيأخذ الايسر ــ وهنا يشرح لنا فرح انها جهة القلب ــ

ويحضر ارميا في تلك الساعة فيحملانها برداء الى كوخ النبي ارميا . وبالهم المطر ، فذهب ارميا الى المدينة ليجيء بملابس ناشفة وفرس ، فتخبر الفتاة ايليا انها من مصر وانه شاعت نبوءة ان السلطنة ستصير الى اناس مختونين فجاءت مع ابيها وامها المتعددة التي تريد ان تموت بجانب هيكل سليمان .

وسارا بالفتاة راكبة الى المزرعة فسلمها الشيخ سليمان الى بناته ، وفي الغد ذهبت وايليا الى الحقل فخبرها ان المدينة في حصار ولقاء ابيها صعب فحزنت ، واقبل عليهما ارميا يخبرهما عن التفتيش عن استير .

وفي جلسة اخرى في الحقل ايضاً ، ثار جدال عنيف بين ايليا واستير حول المسيح

والدينين الموسوي والعيسوي انتهى بتقبيل استير الصليب ـ بعد ذاك الفـزع ـ وكاشفها ايليا بحبه قرب قبر الراهب ميخائيل معلمه .

وساء ارميا استئثار ايليا باستير دونه ، فاخذ يحوم كالغراب حول المزرعة حتى جاء يوماً يناقش ايليا الحساب. واقترح اخيراً الاقتراع عليها فضـاً للمشكل.وترى استير في تلك الليلة حلماً فبكت بكاء مراً : رأت انها جاثية امام المصلوب فدخلت امها وراءها الكنيسة وقالت لها : اهكذا تتركيننا يا استير ؟

ولم ينم ارميا على الضيم فغرّ استير ففرت تاركة رسالة لايليا تسأله ان ينساها ، ويتبعها ايليا باحثاً عنها فيأسره العرب . وكذلك اسرت استير ولكنها تركت طليقة حرة ، وسعت لفك اسار ارميا الهائج في محبسه فافلح سعيها . ودرى ارميا باسر ايليا فقال للعرب : شددوا عليه ، هذا اخو الامبراطور ، ولكن ابا استيرانقذه

وتدل الشؤون على ان ابا استير جاسوس للعرب فيتذكر ايليا كلمة البطريرك فيتنازع قلبه : الحب والوطن ، فيذهب لمقابلة البطريرك ويشير عليه بالتسليم لعمر بن الخطاب كما نصح عمرو بن معديكرب . فيأتي عمر ـ كما نص التاريخ ـ ويستلم المدينة من البطريرك صفرونيوس ، ويرى فرح ان فتح القدس كان بلاء على الشرق كله (فيا اورشليم استعدي الخ ص ١٢٨)

وتنتظر استير عودة ايليا فلا يعود ، ويتخاصم عليها ابن معديكرب وضرار ، يبدو عليها نحول وهزال يحملان اباها على ترك معسكر العرب . ودخل عمر القدس فكان ابو استير دليله ، فجاء ايليا رسولا من لدن البطريرك الى عمر فمر امام استير فصاحت وامتقع لونها ، ثم يجتمع ايليا بها فيتصارع الحب والدين في قلب استير ، والحب والوطن في قلب ايليا ، ويتساءلان عن صحتها فاذا هما كالجاحظ عليلان في مكانين . وتعتب استير على ايليا لذهابه بلا وداع فيتنصل ؛ ولكن ارميا يصيح من الخيمة : هذا كذب .

ويتنافر ايليا وارميا فتعلم استير ان ايليا تركها لان اباها جاسوس دنيء فيغمى عليها ، ويطلب ايليا معاقبة ارميا على فعلته هذه فيصيح ارميا بجنون : انا لست منكم. انا عرب عرب .. لقد صرت مسلماً ... الخ

واستدعى عمر ايليا فجاءه كاسف البال ، ودله على قبر المسيح ليدخله ويسلم على روح الله ، ثم على مكان الصعود ففعل . وطلب منه ان يحدثه عن اسباب سقوط المملكة فاعتذر ايليا تاركا هذا للشيخ سليمان فجيء به وقص عليهم تاريخ هرقل وحروبه مع الفرس ويبين لهم اسباب ضعف السلطنة . وعرضت في هذا الحديث مسألة خطيرة وهي حال الاكليروس ، ومداخلة الدين بالدنيا ، ومداخلة الدنيا بالدين والانشغال بالقضايا الدينية عن تدبير الملك ، وصرف الشعب الى ظاهر الدين ، وانه كلما شغف الشعب بهذه المظاهر زادت سلطة الاكليروس عليه . فدلنا تحرج فرح على عصره .

وبلسان سليمان تنبأ فرح عن مصير الاسلام وملك العرب فاضطرب عمر والسامعون من القواد والامراء . وانتهى الحديث فمشى عمر واخذ يسأل ايليا : هل يعلمكم انجيلكم كذا ، وهل يعلمكم ،.. كذا الخ فيجيب ايليا: لا. ويقول خالد: ياسبحان الله

وبعد هذا الكلام يبكي عمر فيصيح ابو عبيدة: ما ابكى امير المؤمنين ؟ فيزداد عمر بكاء ويقول له : (يا عامر قد سمعت من ايليا الشاب ما هي شريعة الروم ، وسمعت من الشيخ سليمان كيف خرجوا عنها ، فانا اخشى ان نخرج عن شريعتنا في مستقبل الزمان كما خرج الروم فيصيبنا ما اصابهم . وينتهي قول فرح بيا ...ويا... كعادته .

ويقبل ارميا ، رسول الخير ، مخبراً ايليا ان استير في خطر ، وانه يتنازل له عنها بشرط ان يخلصها لانها تحبه ، وان البطريرك يطلب ايليا لهذا الامر . فذهب ايليا وقابل البطريرك فكلفه ذلك . فذهب الى بيت لحم حيث ابتدأت القصة ، فرأى ابا استير ينتظره وكان حديث ، فحلل هذا عداءه للنصارى ، اذ لم يرَ اي عار في تجسسه لاعداء من خربوا مملكة اورشليم .

ودخل ايليا على استير فرآها منهوكة ضعيفة فتشددت وتعزت ولكن وطأة الحمى التيفوئيدية كانت اشد فقضت بعد ان دفعت الى ايليا شيئاً ، واوصت ان تدفن في مزرعة الشيخ سليمان قرب قبر الراهب ميخائيل . ولم يصف لنا فرح ــ كعادته في المأزق الحرج ــ لوعة ابطاله في تلك الساعة بل ترك لنا ذلك .

واختلى ايليا بعد الدفن، وتذكر الهدية فاذا هي دفتر مذكرات استير، فقبّله

وقرأه بالبكاء والنحيب ثم ذهب لزيارة قبر استير فرأى ارميا منبطحاً عليه ..

وانتقل المرض الى ايليا فأخذ يهذي باسم استير ، وفي الساعة التي كان يتهيأ فيها عمر للرجوع الى الجزيرة كان ارميا الجديد يتلو مراثي اورشليم لسميه القديم ، وينقل فرح اكثرها اذ يراها منطبقة على حالة الفتح .

وبعد ايام يموت ايليا ويدفن بين قبر استير ومعلمه ميخائيل وتختم الرواية : ببيا ايتها القبور الثلاثة الخ .

هذا ملخص القصة ، بل هذا هيكلها العظمي ، فالمتروك منها كالبشرة التي فيها الرواء والاّبهة ، فليطلب الفن محبوه في القصة كاملة ، اما نحن فسنشير الى الحسن والقبح في فرح القصصي .

عندما ظهرت هذه الرواية الخطيرة انتقدها الشيخ سليم خطار الدحداح من الجهة الدينية فقال : ان فرح فيها يعتنق الاشتراكية التي دعا اليها افلاطون . وانتقد ايضاً كلام ايليا لاستير اليهودية (لا تتركي الحواجز الصناعية التي يضعها البشر تحول بيني وبينك) . وانتقدت جريدة الظاهر كلمة « الميكانيكية » فقالت : انها لم تكن في ذلك الزمان ، وانتقدت جريدة المنارة المؤلف لانه لم يعرف ارميا والشيخ سليمان الى قرائه . وانتقدت المقتطف اعتماد فرح على الواقدي ــ تاريخياً ــ مع ان الواقدي اقرب الى القصة منه الى التاريخ ، وانتقدت ايضاً ان في الرواية (نصائح وحكم يشف عن لوم صاحبها الدنيا) فدافع فرح عن نفسه فكان ذا حق ، وان كانت لهجته شديدة في رده على شيخ المجلات المحترم .

ولئن اطلنا البحث فالعذر بين ، ان فرح انطون عميق ، واورشليم بعيدة القعر تغذي الفكر ، وتروح المخيلة ، وهي مؤسسة على صخور الوجدان في قاع البناء الانساني ، والحياة الحقيقية . واذا لم تكن فيها عجائب وغرائب الف ليلة وليلة ففيها المسألة العظمى التي تشغل بال الشرق كله .

قال فرح في مقدمة اورشليم الجديدة انه عني (بجمال التأليف) ، وان نهضة اوربا قامت على حب الجمال في الصنائع والفنون لان الجمال الحقيقي لا ينفصل عن الخير

والحق . ثم ادرك عباس محمود العقاد هذا ــ طبعاً بعد فرح ــ فراح يبشر في مقدمة (فصوله) بالوهية هذا الثالوث الاقدس في عالم الفن.

افتتح فرح اورشليم بخطبة ــ المدخل ــ التي وجهها الى (بنت صهيون) فدل على الموضوع وجمال التأليف معاً حيث قال :

(ان حمامة الروح السماوية قد طارت من بين جدرانك فهلا استعدت روحك لتحيا بها نفسك ويؤهل منزلك ! هلا نظرت باخلاص ونزاهة الى مرضك ! انك لم تريدي يا ابنة صهيون ، فهوذا جرّاح وخصم شديد قادم نحوك . ولكن ، واأسفاه ان سكينه ليست نحيفة بل هي عبارة عن سيف قوي ومع السيف رمح ونبلة وترس وجواد عربي .

ان الدنيا تتمخض الان بدين جديد وسلطنة جديدة . ان رمال قفار العرب قد تحركت يا ابنة صهيون ، وزحفت نحوك قاصدة الدنيا كلها ...

ان ابناء اسمعيل الاقوياء خرجوا لملاقاة بني اسحق الظرفاء ، ولكن ملاقاتهم كانت للاقتتال على سلطنة الارض كأن هذه الدنيا الواسعة تضيق عن اخوين كريمين ... سدوا آذانكم ايها البشر ، فان ارضكم ستصير ميداناً للحروب والمجازر ..

فيا ايتها الامم المختلفة التي تقوم وتسقط وتتطاحن كحبوب الحنطة تحت الرحى لك ان تقولي (المجد لله في العلى) لان الله خالقنا عظيم ، ولكن لا تقولي (وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة) فان الارض ليس فيها اليوم غير السيف والنار ، وليس بين البشر شيء يسرّ بل السائد بينهم الفساد والاضطراب والبغض والشقاء والدمار) .

فالشعر الذي هو (جمال التأليف) بعينه منتشر في اورشليم فرح انتشار الشرايين في الجسد ، والخيال الذي هو ابو الفن وواهب الوحي والقياس للفنان ، كما قال بودلير ، الخيال الذي يصور لنا الحياة بابهى الالوان حتى يجعل المداس (شعرياً) ، الخيال الذي يحفظ للحب الذي فسد عطره الالهي ــ كما في مريم فرح ، وسلمى ومرتا ووردة جبران ــ يعزي عن يأس القلب والجسد ويحقق ظفر الروح ...

الخيال الذي لا يضل لانه منبثق من الحقيقة انبثاق الروح القـــدس من الاب والابن ... هو ملاك اورشليم هذه . ففرح القوي الخيال المغذى بالقراءة الدسمة خلق استير اورشليمه مزيجاً من اتالا وفرجيني . فكما حـــال (النذر) دون حب اتالا، كذلك حال الدين دون حب استير . وماجريات القصة وما حدث في الطريق ــ من الدير الى كوخ ارميا ــ اشبه بمـــا جرى لفرجيني وبولس ، ولكن فرجيني فطرية واستير بنت تقاليد ضيقة وعقيدة صارمة اقلقت الدنيا ولا تزال . اما حمل استير في ثوب كما يحمل النعش فغريب مضحك ، يشبهه تنبؤ الشيخ سليمان عن مصير ملك العرب، الذي يشبه (نبوءة التبعي الملك اليماني) في قصة الزير، ولو كان فرح حيا لقلت اكثر من هذا ...

ان فرح انطون مبتلى بحمى رومنتيكية اوقدت نارها القروح الاجتماعية ، فعالج موضوعاً واحدا ــ ككثير من كبار قصصي العالم ــ ولذلك تشابهت ابطـــاله في ملامحها ومشاكلها . فارميا ومخلوف توأمان ، والمزرعة ، في اورشليم وفي الدين والعلم ، واحدة ، ومؤسسها واحد هو الشيخ سليمان الذي هو فرح انطون بعينه .

اما خطة القصة فيديرها فرح كقائد محنك يعرف كيف يربح المعركة الفاصلة . يسّير جيوشه زحفاً، اما اذا عثر بحجارة القضايا الاجتماعية فيقف ويطيل الشروح ويثير ابحاثاً عنيفة بين ابطاله تكاد تملها لولا اسلوبه الحي واندفاع قلمه المحموم وعاطفتـــه المتقدة الصادرة عن قلب مقروح . فاذا كنت تقرأ لتتسلى فعليك بغير فرح . تأخذ المؤلف نوبة الوعظ ولكنه وعظ حار غير مملول ،ولا عجب ففرح قصصي عالج المسائل العظمى كتولستوي وغيره في اورشليم روايته هذه، وفي رواية الدين والعلم والمال ، ومريم قبل التوبة ، والمسائل الصغرى في (الحب والوحش). واذاجاءت عقدة الوحش كعقدة الاسكندر فعقدة اورشليم انشوطة ــ شالوطة ــ اما الخيط فيمسكه فرح ولا يفلته حتى النهاية ، وقد يتركه معلقاً ــ كما في الحب ــ ثم لا يغفل عن صغيرة مهما دقت فيعود بك اليها .

ان قصصه جميعها وخصوصاً رائعته (اورشليم) غنية جداً بالافكار ولكنهـــا افكار كردستها المطالعة ، واعجابه بكل جديد . رأى فقر الادب العربي في زمانـه

فكان كمن دخل مخزناً كثيرة اصنافه وانواعه فتحير ، ولذلك جاءت قصصه معرضا (اممياً) فكل المسائل التي دوخت رأسه : كانحطاط الشعوب في الدين والاخلاق والسياسة اثارها في اورشليم — واورشليم سبب كل علة — ولهذا جاءت بعض شخوصه حية كأنك تحدثها وتراها — ايليا ، ارميا ، البطرك ، استير ، خالد ، عمر — وبعضها تشعر بنقلها وانها ليست بشراً بل خيالات واشباح كأبي عبيدة فشخصيته (باهتة) اما الباقون فبين بين ، فأرميا وان حضر كل ساعة كذاك (الذي يبقى وحده) في سفر ايوب ليحمل بشائر النحس الى ذاك الصدّيق المبتلى ، فحركاته طبيعية وهو أهبل حلو يذكرني بكثيرين من الموسرسين .

يصور فرح لواعج ابطاله تصويراً بارعاً فهو خبير الى حد بعيد بالتفاعل الداخلي كما يظهر من وصفه انقلاب ايليا . ولكن الوصف المشهدي قليل عنده ولا سيما في اورشليم التي جاءت كصورة جميلة بلا اطار . فقارىء لم يزر القدس يجهل ساحة حرب ابطاله . أظن فرح ان كل مسيحي يعرف القدس وبيت لحم! وكل مسلم يعرف المسجد الاقصى والصخرة ؟؟ ام ترك للمسيحي ان يتخيلها كما يتخيل المسيح ، ام توهم ان بعض رسوم طبعها في اول الكتاب تقوم بحاجة القاريء الملحة وتستر عورة الفن .

هب ان هذا ممكن فاين تقع المزرعة وهي من مشاهد القصة الكبرى ! فوصفها الوجيز المبهم يطابق لبنان لا فلسطين : (يظهر لكل من تأمل الارض الجبلية القاحلة الجافة في النواحي ان صاحب المزرعة اتى ضروب المعجزات ليجعل تلك الارض صالحة للزراعة (ص ٦٨)

ان اورشليم الجديدة رواية غنائية في اسلوبها الذي يرتفع وينحط ، عملية واقعية في تفكيرها ، اما مأساتها فمبتذلة ، ولكن البشرة التي نشرها فرح على هيكلها جعلتها زينة بين عرائس الادب ، عالج فيها فرح مسألة خطيرة جداً ، مسألة الرهبان ، فجاءت كأنها كتبت عنا ، ولا يشين فرح ان اراءه فيهم مستعارة من منتسكيو ، فالجماعة هم هم قديماً وحديثاً وفي كل زمان ومكان . عشق فرح المثل الاعلى عشقاً جنونياً وحاول اصلاح الانسانية بعنف فصار نصحه تحاملا وتوبيخه صراعاً . وكما حمل يسوع خطايا العالم — كما قالوا لنا — حمل فرح الام المساكين ونصب نفسه وكيلا مسخراً

واذ لم يجد من يصلبه صلب نفسه . ففرح كاتب يمثل عصراً بل شعور شعب اثقل ظهره الكتبة والفريسيون بالاحمال الثقيلة ولم يحركوها باحدى اصابعهم . فبينما يكون اشخاصه منهمكين في الحب اذا به يحولهم الى شؤونه وشجونه ولهذا تراه لا يمتزج بهم ولا يتحد الاتحاد الكلي المطلوب من القصصي الكامل : انه يحب التغلغل في احشاء الماضي مفتشاً عن (الكمال) الضائع بين الامس واليوم . فالذي يطلب من رجال الدين الا يتحولوا كالذي يطلب من الفضة الا تتسخ وتزرق ، فالنخالة النخالة دائماً ..

ان كتاب اورشليم عراك بين فرح الخارجي وفرح الداخلي تردد نفسه اصداء محيطه الموبوء . احسن فيه فرح تقسيم شخصيته بين كثيرين ، فهو ان لم ينطق العرب كما ينطقون فالسبب معلوم ، وحسبه انه وضع في افواههم آيات وكلمات جامعة تدلك على انه يعرف نفسيتهم ، ولهذا تحرك اكثرهم تحت قلمه ، اما حديث البطريرك معايليا فجميل جداً . وكأنما فرح اكليركي عتيق يحسن كلام هؤلاء ويفهم روحهم وحركاتهم وايماءاتهم ، وكذلك حوار ايليا وارميا في مواقفهما جميعها .

اذا نظرنا الى آراء فرح على ضوء اليوم بدت قليلة الطرافة فهو فيها كخوري ماروني درس في روما وباريس ، ثم عاد الى لبنان فرأوه جديداً ، فما مبادئه الا انعكاس اضواء ولكن النور حاد لحدة طبع المؤلف وابائه العبودية ، ففي تعنيفه نغمة الانجيل وتهديد التوراة .

يعلم فرح — والدليل مقاله في القصة — ان على القصصي ان يفتش عن موضوعه في محيطه ، ولكن ميله الى القضايا الاجتماعية واعتقاده ان الانسانية هي هي في كل مكان وزمان أرجعاه الى الوراء عشرين قرناً ، فنصب مسرحه في محيط لا يعرفه تماماً ، كما فعل شاتوبريان وغيره من كتاب الغرب ، ولهذا خسرت اورشليم فرح كثيراً من الجمال الفني ، فالمسرح لا يتصل اتصالا وثيقاً بالاشخاص ، وقياس فلسطين على لبنان ، ان صح اجمالا ، فهو لا يصح تفصيلا ...

وقد رأيت ان فرح انطون يتعب في آخر الشوط اسلوباً ولكنه لا يني خطة فيسوق جماعته الى الكمين سوقاً رويداً ، اما الاسلوب فتارة يكون فيه رسمياً — من

المجترين ــ فيقول : والشمس انقى من مرآة الغريبة ، وذر قرن الغزالة ، وشنشنة نعرفها من اخزم وهلم جراً ، وطوراً ــ وهذا قليل ــ يأتيك بتعابير شخصية تدل على لبنانيته ، واحياناً ــ وهو الاكثر ــ يدل على تأثره بالفرنسية . اما بعض الالفاظ الدينية فمستعارة من (البعث) التي لخصها ، مثلاً : كيريالیسون ، يا رب ارحم ، وحياة العذراء ، وكذلك رسم الصليب والحلف باسمه .

وقد يستعير مشهداً قرأه فيجعله لآخر كقوله : (ص٦٣) ومن غرائب الاتفاق ان الشمس اطلعت قرنها في هذه اللحظة حين سكت الراهب ــ ان حادثاً بسيطاً كهذا ، والشمس كل يوم تطلع ، لا يستأهل : ومن غرائب الاتفاق ــ فوثب الراهب وقال : (هلم هلم نشهد مطلع الشمس ، تبارك الخالق) فهذا الاندهاش لا يكون من مقدسي كميخائيل يشهد الشروق كل يوم ، فهو انصح لفولتير لا يصح لهذا الشرقي المحترم ، كما ان (هلم هلم) ليست من كلامه ، ولكن (تبارك الخالق) تستر بشاعتها.

يعجبني هذا الراهب الفالت ويعجبني حديثه في (خطبة الجبل) وان اصدر علينا حكماً قاسياً فقال بلسان الامبراطور :

هذا شأن السوريين فانهم متى حكموا انفسهم كانوا اقرب الى الجور منهم الى العدل لكثرة تحاسدهم وتنافسهم ، ولعدم وجود جامعة قوية عادلة تساعد الجيد فيهم وتخذل الرديء (ص ٦٠) .

واعجبني ايضاً كلام الشيخ سليمان عن الرهبان ، وان رأيت اراءه اكبر منه : (لا تنس ان الرهبان في مملكتنا . كانوا في اكثر الاحيان اقوى من رؤسائهم ، لتحريكهم الشعب عليهم ، وكم حالوا دون اصلاحات مهمة بهذا السبب الصغير .. ولذلك كانوا قادة الشعب ضد الاساقفة والبطاركة والموظفين حتى ضد الامبراطور).

قلت :فمن يشك بهذا فليسأل تاريخ لبنان ، وبطريرك الموارنة واساقفتهم .

وكذلك رأي سليمان في الوطن فقد قال : (ان الدين عندنا هو الوطن ، بل الدين عندنا فوق الوطن وفوق كل شيء) فقوله هذا يصح فينا امس واليوم .

وابرز عيوب قصص فرح ظهور شخصيته فيها ، فهو ملقن عريض الصوت لا يسكت ولو اعطيته ما اعطى الله عبيده ، ولذلك اتت قصصه قريبة من الدروس

والمحاضرات في بعض المواضيع ، فهو يترك القصص حين يستطيع ويمشي في الاستنتاج هـــاتفاً : يا ويا ويا حتى لم يدع مكروب الحمى التيفوئيدية بلا (يا) وكذلك ملاك الموت الذي خطف روح استير .

اما (الخطابة على الجبل) فهي مجموعة اراء فرح الاجتماعية. واعجابه بالعلم ، ولكنه عاد في آخرها الى آراء المعلم الجليلي . وحب مباديء يسوع خلق اكثر ابطال فرح من الخيرين يكررون نظرياته في كل قصة ، وقد يكررونها في القصة الوحيدة . غير ان مؤلف اورشليم امين لا يسرق ولا يشتهي مقتنى غيره ،ولا يفعل بالناس ما لايريد ان يفعلوه به ، ولهذا نسب كل راي الى صاحبه ، ولكنهواأسفاه لو عاد اليوم لقال مع الامام علي : أرى تراثي نهبا .

مريم قبل التوبة

لا الخصها لانها غير كاملة ، فيهـــا ادق وصف للعراك الداخلي في نفس المومس واحوالها الخارجية مع الذين يزورون دكانها ليشتروا من بضاعتها الهاربة ... وفيها رأي السذج بهذه المرأة وخوفهم من الدنو من بيتها لان فيها سبعة شياطين نقداً وعدداً، كما خبرنا الرسل الاطهار . انطق فرح الراعي بذلك فجعله من الخالدين . وفيها الحديث الراقي بين مريم وزوارها المثقفين وان قل حظ سنيكا الفيلسوف الروماني منها فلانه جاءها وقت نوبة سوداء . اما اسلوب القصة وانشاؤها فاروع ما انتجته قريحة فرح .

يظهر ان ذات الجمال الفتان مثقفة ، والبرهان تلك الرسوم الرائعة التي صورها بها الفنانون . فهي تهيج الخصي كافور الاخشيدي وتصير الخلي شجياً ، فان وضع فرح في فمها آيات بينات فلسان المجدلية يحملها بسهولة ، فالتي تعطي وتأخذ كام سيبويه لا يصعب عليها ما قالت دفاعاً عن قضيتها . اما جاءها الشاب يوسف وبكى متأسفاً على جمالها الممتهن ، واعتذر لبكائه بذكرى امه فادرك كنهه عقل مريم الحصيف ، فراودته، ولما صرح كانت اخف من النسيم ودعته الى الزواج فتلعثم ونكل، وما هذا في نظري الا توطئة لعذر المسيح لها غداً ، ولكن الرواية لم تتم .

ان مسرح رواية مريم هذه ومسرح رواية اورشليم واحد ، اما المبادىء فمتناقضة، والمرجح ان المؤلف كتب اورشليم قبل قراءة نيتشه ، ولولا ذلك لما حشر مبادئه في قصة مريم . ان نيتشه تيّه فرح انطون فاذاع مبدأه العنيف وهدمه في ساعة بحث بين مريم وشاب روماني . ولم تتم القصة لنرى رأي فرح الاخير الذي (ابقاه الى ميعاد) كما مر ، ولكنني اعتقد ان المعلم صفّى الحساب في خطبته عند شلال نياغرا التي تسوى

كتابا خالداً .

وبعد فاننا نشعر بان الكثيرين من ابطال فرح هم اخوة الكثيرين منا نشترك معهم الاشتراك الكامل ، ومتى رأيت في البطل عدواً او صاحباً كان مخلوقاً خلقاً سوياً ، كملاك الرب حين تمثل لمريم العذراء . ان هذا (الاشتراك) جوهر القصة الفرد . والقصصي المطبوع يلبس لكل حالة لبوسها كابن همام الحريري ، وهذا ما فعله فرح ، فرأيناه بطريركا جليلا ، وفيلسوفاً كبيراً ، وبهلولا لامعاً ، وعاشقاً حامياً ، وهو في كل هذه المواقف يجيد اجادة متفاوتة .

تخلق الطبيعة عوالم تموت ، اما عالم القصة فلا يموت ما دمنا نقرأ ، ومثلما ينبغ افراد في العالم كذلك يكون في عالم القصة ، وهذا ما وفق اليه فرح الذي لم يغفل عن حل اكثر قضاياه كما يفعل القصصي الاصيل . واذا شئت ان تعرف لون فرح فخذ حفنة من تولستوي ونيتشه وسيمون وروسكن ورنان وامزجها يبد لك لون فرح انطون.

اما لغته فسهلة سلسة ، لم تخل من الغلط النحوي واللغوي قد يكون سببه ذهول فرح وسرعته . اما رأيه في الكتابة فهو ينبئك به عني ، وهذا ما كتب :

« وعلى ذلك فحقيقة البلاغة ليست في قواميس اللغة وكتب الادب ليذهب الطلاب ويفتشوا فيها عنها ... فمن لا يملكها في نفسه فعبثاً يطلبها في الكتب ، فانها حسناء ذات دلال لا تسبي الا مرة واحدة وذلك حين نزول الانسان من جوف امه . فالبلاغة اذن حسن فطري باطني أي نفسي كما ان جمال الوجه حسن خارجي ... »

الى ان يقول: «ويعلم حينئذ الذين ينسبون الى اللغة العربية القصور عن مجاراة لغة الافرنج انهم ظلموها بذلك لان القصور هو في اسلوبها البدوي القديم الذي لا ينطبق على حاجات العصر لا فيها نفسها ، لانها لا تخرج عن كونها لغة سامية رقيقة يعبر بها عن كل العواطف الجميلة متى هجر ذلك الاسلوب وحل محله الاسلوب الذي يسمونه افرنجياً ، وهو في الحقيقة طبيعي ازلي لانه سبق الافرنج واليونان والرومان ووجد مع الانسان في اول بلاغته » (الجامعة جزء ٤ ص ٣١٤ و ٣١٤ .)

واخيراً اننا نشكر فرح انطون كثيراً. فقد قضينا واياه أكبر حصة من الصيف، فأرحنا الكثيرين من شرنا فصيّفوا مستريحين ...

لقد كانت سياحتنا عجيبة اذ رأينا في تلافيف ذلك الدماغ الكبير عجائب غرائب، وها نحن نودعه راجين ان نلتقي مرة اخرى، وهيهات.



حول جبران ومي

بين عين كفاع وعاليه
جبران خليل تقي الدين
حول عكاظ الحكمة
ذكرى جبران الخالد
جبران اللبناني
مدينة جبران
من اجل الادب
خطبة بشري
الحداد وجبران
شيء عن مي
ما بين مي وجبران
الى شكر الله الجر

بين عين كفاع وعاليه

الاندلس الجديدة ـ العصبة ـ ابو الهول
كراتشو كوفسكي ـ جبران الخالد.

عدنا فهل من يقول العود احمد ...

كتب علي كل عام خطوتان ، بل رحلتان ، رحلة الشتاء ورحلة الصيف . وان لم أعبد رب البيت الذي اطعمني من جوع وامنني من خوف فلأنني اراه يمنيني بما لا يعنيني، فهو لي كابن يقطين بشار ، اريده للدنيا وراحتها ، ويريدني يوم الدين للدين ، ومن لج كفر .. فلو زوجني بنته هذه لمهرتها من الغلف والقلف... اكثر مما مهر شاول بنت داود الملك والنبي التائب !!!

ويلي ان شكوت وويلي ان سكت . انا بين ويلين كهريرة الاعشى . لقد صمت" مكرهاً خمس جمع، ولو ذات سوار لطمتني للذ لي اللطم وكانت المصيبة هينة ، ولكنها ، اجلّك الله، تعسة دابة حطمت الآلة الكاتبة ، ورضت لي اضلاعاً ، فدوختني اياماً ، واليك الخبر .

بتنا عـــلى سفر فالتأم مجلسنا ـــ مجلس القرية ـــ للوداع ، وكان الحديث . ذاك يقول للمكاري: هذه آخر مرة يا بطرس يركب دابتك الاستاذ . وذاك غداً ، اي بعد اشهر، تزمر سيارته في (الوطا) وتشق الضيعة فينزل قدام الباب. غداً .. غداً .. وكلنا .

نرجو غداً وغداً كحاملة في الحي لا يدرون ما تضع

ثم كان الوداع الحار : بوس ، وشد ايدي حتى حسبتنا نتصارع ، واخيراً هونها

الله فمرت تلك الساعة بسلام .

ثم اصبحنا والاتان مربوطة امام البيت تامة الكسوة ، حلس فبردعة ، ومفرشة تحتها خرج في احدى عينيه الآلة الكاتبة ، وفي الاخرى ما يعادلها من متاع ، فالاثقال كالطائفية تتطلب التوازن ...

مشت غزالة — اسم الحمارة — وكان العهد بها فارهة لانها غير عانس ، فاذا بها تتلكأ ، ان جذبت رسنها وقفت ، وان ارخيته اصطكت ركبتاها ، فقلت لبطرس : ايش مصيبة دابتك اليوم ؟!

فأجاب : خيّسها سقوط الليرة اكثر من خمسين بالمئة ، خذ حذرك . ظننته يزل كعادته فقال : مالك ؟ ما نسينا ايام الحرب .

فسكت وسرت وانا على يقين من ان الحمارة ساجدة شكراً لله على حملها الخفيف.. ولما اسهلنا اخذت تنتق بي ، ثم طفقت تنطق من خلف كحمارة الجاحظ ، فضحكت وقلت لرفيقي : انها تكذّب بطرس.

فسمعها بطرس وضحك قائلاً : يا ليت ...

وبعد سير قليل شرعت تحيد عن الطريق وتمشي في الحقل — والحقل عندنا ، كما علمت ، خير من السكة — فتذكرت اتان بلعام الفصيحة ، حين قام صباحاً وشد عليها وانطلق مع رؤساء مواب ، فحمي غضب الله ووقف له ملاك الرب في الطريق ، وسيفه مسلول في يده ، فمالت الدابة عن الدرب مراراً حتى وقف ملاك الرب في مضيق ، فربضت الدابة تحت بلعام ، فحمي غضب بلعام كربّه من قبل ، وضربها بالقضيب ، ففتح الرب فمها ، وكان حديث بين الاتان وبلعام يدل على ان الحمارة كانت من كبار علماء المنطق .. واصحاب البحث العلمي . اقرأ هذا الحوار في سفر العدد (الفصل ٢٢) واياك ان تنسى ان الملاك قال لبلعام : لو لم تمل حمارتك من قدامي لكنت قتلتك واستبقيتها ..

اما انا فلم يقع لي شيء من هذا ، ولا اذكر من هول تلك الساعة الا انني سمعت هاتفاً يقول : فلتحي المساواة ، ولتعش وزارة النافعة !!

سبحان من عرى صيفي ، وجعل خريفي مورقاً . كيف اطلعني (احد المعجبين) على مجلة (البرازيل المصورة) فزادني قرفاً للادب العربي ، ما خلا اليسير منه . كانت سياحتي فيها كوجود احمد فارس الشدياق في مالطة حيث قال : (ومن يكن من العرب ذا غيرة على لغته فلا يطيق ان يسمع الكلام المالطي على فساده) .

ومع كل ما تحلت به البرازيل المصورة من ركاكة اقول انني قرأت تقريظاً لها في الاندلس الجديدة ، والعصبة ، وابي الهول .

صار الكلام في شعرنا البلدي ــ شعر المناسبات ــ ضربا من العبث ، كان في نيتي ان احدثك ولو باختصار عما قيل في مأتم المتنبي بدمشق ، فوجدت القصائد متقاربة ، فقس على ما قيل ما لم يقل ، واعذرنا فقد تناولنا المتنبي وحفلاته العديدة اكثر من مرة ، فالحمد لله على سلامة لحيته من النتف مرة ثانية . ولكننا لن نعفي احدهم حين تصل الينا قصيدته الثانية التي هجا بها امة علمته (مدرستها الجديدة) ادبه الذي يعتز به ويحمد عليه . اما الان فاني محدثك عن (اندلسنا الجديدة) عن ادبنا في البرازيل .

فليلة سفرتي البلعامية حمل الي صاحب البريد مجلة (الاندلس الجديدة).وما بلغت عاليه مطحطحاً حتى وردت علي مجلة (العصبة)وجريدة(ابو الهول) فتعزيت وهكذا اورق خريفي كما قلت لك ، ثم بعد ايام فرحني كتاب (عابرة سبيل) الصادر عن بروكلين، فانساني بعض اوجاعي.

الاندلس الجديدة مجلة مجلوة كالعروس ليلة زفافها ، حسن نفسي في جمال جسدي. فلو رأتها ولادة لضاحكت بين جداولها حبيبها (المسدس) وتذاكرا معاً شعرها الرائق مبنى ومعنى . شعر تنزه اكثره عن البضاعة الرائجة في (بندرنا) ، ذاك الشعر الذي يصبحني كل يوم صباح احلت اي" احلت ...

ان اثواب هذه العرائس (الاندلس الجديدة ، العصبة ، ابو الهول) تعبق بعطر لبنان ، اما قلبها ، فينبض بحب العرب ، ولا غرابة في هذا الامر فاللغة العربية ربيبة لبنان في هذا الدهر ، رافقتهم في رحلاتهم البعيدة فاروها محاسن الدنيا اجمع وأروا العالم جمالها الفتان . كانت ربابهم فاسمعوا الدنيا اعذب الالحان واشجى الترانيم ، لا ينخفض لهم صوت حتى تليه نبرات . فما كادت تهمد مدرسة جبران الخالدة حتى طار

قبس منها الى البرازيل فاضطرم واتقد . والعدد الذي أحدثك عنه من الانـــدلس الجديدة هو عدد تموز الممتاز مهدى (الى روح جبران الخالد) سيد ادباء جيله ــ الجيل بمعناها الاصلي ــ وامام المجددين في هذا العصر ، واليك عبارة صاحب الاندلس الجديدة الشاعر شكر الله الجر ، وهي مكتوبة تحت صورة جبران .

« اجل ــ الى روح جبران الحبيب ــ نقدم هذا العدد ، وهو كل ما نستطيعه من تكريم ذكراه بمناسبة الحفلات التي يقيمها ادباء الاميركان لمرور اربع سنوات على انتقاله الى دار الخلود .

فاليك يا جبران الحبيب هذه الاضمومة العاطرة من ازاهر حبنا تقديراً لآلامك المريرة وجهودك القاصمة في سبيل تحريرنا من قيود الجهل والتقاليد ، والنهوض بنا من مهاوي الظلمة الى مشارف النور . اليك ايتها المسرجة التي ستتحول مع تحوّلنا ــ قلت ولا شك ــ الى منارة وهاجة تنير شواطيء افكارنا واحلامنا ، فنهتدي الى حقيقة كياننا الضائع في كياننا » .

سلم فمك يا شكر الله ، أمض في سبيلك فالحق معك . لا اقول شيئـــاً في (غمائمك) المطرزة بالوان المغيب الذي أتمتع به في عاليه كل مساء ، بل ارجيء كلمتي الى يوم تظهر في افق الادب واذ ذاك نقابل طلّتها بما يستحق . لا تتوقع مني ثناء صرفاً فبوس الايادي ضحك على اللحى .

صدر الشاعر شكر الله الجر مجلته المومأ اليها بمقاطع من مواكب جبران عنونها (معجزات جبران) ، كما فعل من قبل الصديق الاعز الشيخ فؤاد حبيش في المكشوف يوم نشر رداً عليّ . قلت هذا استطراداً الى محو ما علق بالاذهان من زعم السيـــد عباس محمود العقاد يوم نقد (المواكب) حين ظهر . قال في (الفصول ص ٤٦) :

(وقد فتحنا الكتاب ــ اي المواكب ــ فوجدنا في اول شطرة من اول بيت خطأ من هذا القبيل في قوله :

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا .

يريد أُجبروا)

قلت : نعم وهي كذلك . كان على الاستاذ العقاد ان يتثبت فيما يقول قبل ان يكتب مهوّلا : (في اول شطرة من اول بيت) كأنما انزل على الارض كسف من السماء فخربت. راجع الفيروزابادي وغيره حتى اصغر المعاجم لتعلم تعنت العقاد. اننا نسأل العقاد واضرابه : من اين جاءت الجبرية ؟ ــ الطائفة التي تقول ان الانسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة،وان الله قدر عليه اعمالاً لا بد ان تصدر منه ــ انغلط كل من قالوا الجبر الجبرية ، لنخطيء جبران ؟ فما رأيت المجبرة الا لابن النديم .

نعم ان جبر لغة تميم ، ولكن الذين تكلموا بهذا الحرف وجاروا بني تميم فيه ، كلهم عرب صحاح اللسان . أيظل هؤلاء الذين يحلو لهم ان يكونوا جبران يسقطون على هذه السفاسف التي لا تعلي ولا تسقط ! لست انكر ان جبران في نثره أشعر منه في نظمه ، ولكنه ، كيفما دارت به الحال ، لا يقل عن العقاد نغمة شعرية على قلة ممارسته النظم ، بل يفوقه كثيراً .

ثم قال العقاد : (لم ننته من الصفحة الا على خطأ ثان في قوله :

فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ، ومن لم يمش يندثر

والواجب جزم يندثر) .

قلت : لا يا استاذنا العلامة ! الجزم غير واجب ، فمن هنا اسم موصول ، ومثل هذا كثير في كلامهم . فليراجع الاستاذ العقاد كتب النحو ، وان شاء فانا ادله على (مغني اللبيب) ولا اشك في انه ذاك . فليفتح صفحة ١٩ من الجزء الثاني طبعة سنة ١٣٠٢ هجرية ، على صاحبها وآله افضل الصلوات واذكى التحية .

ثم قال العقاد : (هذا وليس في الصفحة الا اربعة ابيات) ليوهمنا ان (مواكب جبران) الراقصة من سقط المتاع ، ولكن العقاد كان أسود البخت فأخطأ الغرض ونقد الحبة بمنقار اعوج فأفلتت منه سالمة .

ثم انتقل العقاد من نقد المبنى الى نقد المعنى في فقال :

فاذا ما اللوز ألقى زهره فوق الهشيم

لم يقل هذا حقير وانا الملك العظيم

(قلنا : ــ اي العقاد ــ انه لا يقول ولكنه يفعل). قلت انا : ليس هذا ما عناه الشاعر ، وكان على الناقد ان يكون أرحب صدراً وأبعد نظراً ، ليفهم ما يقصد.

ان اكثر من ينتقدون جبران كهذا الفاضل ، وجلهم من تبابيع ادبه ، يتمنون ان يشبهوا به وان اعجبوا بمثل هذا النقد الزيف . ولكن عارفي قدره يرون ان عناصره في الادب الحديث حية لا تموت ، ولا يرون من يدانيه او يقاربه من هؤلاء المقلدين ، وانه سيظل نسيج وحده ، وكأنما هذه العبارة كتبت لتقال فيه وفي اشباهه من نوابغ العالم الافذاذ .

وبعد ، فان كان لي كلمة اقولها في مجلة اخي شكرالله فهي انه يغالي كثيراً في تقديم كتابنا الى قرائه ، وينتقي لهم اضخم الالقاب وافخمها . لا انكر ان بعضهم جنوا بها وقد يضربون ولا يلبون ان لم يبرزها لهم ، ولكن ما علينا لو عودناهم ، فالاديب الكبير حقاً لا يغر بمثل هذه المضحكات ، فليته يكتفي بأسمائهم فقط ، وليت ادباءنا الكبار يتشبهون بسيدات البيوت الخطيرة ، امـــا تركن التزين بأساور الذهب لخادماتهن ووصيفاتهن !

واخيراً لا اكتمه ان تقريظه البرازيل المصورة بقوله:(تشمل على اروع المقالات وابدع الشعر ، وألطف المستطرفات) يثير ظنوني، ويشككني فيما يغدق من ألقاب. لا تصدق يا استاذ مسرة فزملاؤك يمزحون ، والحق هو ما قلته انا فيها . فان كنت قرأت ، فأعمل على تهذيبها وتجميلها ان كنت تطلب لها خاطبين .

اما مجلة العصبة التي رايت وجهها الصبيح ولم اضرب لها كف موعد فهي لسان حال (العصبة الاندلسية) اخت رابطة جبران الادبية، بل بنت تلك المدرسة الدارسة التي يصح فيها قول دعبل في آل البيت .

مدارس ايات خلت من تلاوة ومهبط وحي مقفر العرصات

متع الله عصبة الخير والادب الصحيح بعمر طويل لتحيى ثقافتنا بين الامم .

تطالعك مجلة العصبة باروع مشاهد لبنان ، جبار القطر الشآمي ، وتريك امجد اثار العرب وتسري اليك بعطر الاندلس ممزوجاً بارج لبنى لبنان . فالى الامام يا شباب

العرب ، ولا اقول شباب لبنان فلبنان اصبح مرادفا للعروبة ، وان نفره ما تهر به اقلام بعضهم على الطروس . لست اعني الا بعض ادباء وشعراء ، فماانابسياسي لاناقش كتابها .

ان صح ان اللسان يوحد الامم والشعوب فجماعاتنا المنتشرة في كل الاقطار المسكونة هم دعاة القومية العربية لا غيرهم . فهم الذين حثوا امس ويحثون اليوم وغدا كل عربي من مهاجر ومقيم على تقديس لغته وقوميته . وهم الذين احتلوا مقاما ساميا بين امم الارض الذين خالطوهم مخالطة الاشباه والانداد ، وافهموا بعضهم انهم احفاد الامة العربية فحنوا على جدتهم المرحومة وذكروها بالخير .

قد تظنني مبالغا ان قلت لك ان مجلاتهم الراقية تحبب الينا لغتنا ، ولكنك ذاهب مذهبي ،ان شاء الله، متى طالعت (العصبة) الحافلة بكل طريف مفيد من شعر عال ، وادب صحيح ، الى تاريخ مجيد يهز النفوس ويرفع الرؤوس .

وحياتك يا اخي ، ان اثاراً كهذه تجمد شباننا المائعين فلا يذوبون في الامم الطارئة علينا ، او الشعوب التي طرأنا عليها . فشكري الخوري في (ابي هوله) لبناني فوق كل لبناني ، وهو ممن عيدوا للبنان في زمن عبوديته (٦ ايلول) حتى حاول الرجل ان ينشيء ادبا لبنانيا لغة وتفكيرا ، فاخرج لنا منذ عشرات السنين روايته الرائعة (فنيانوس) نعم فنيانوس وشقفه .

لم ينس المتمشرق غناطيوس كراتشوفسكي فضل صاحب ابي الهول في بحثه (ادبنا الحديث) فقال كما ترجموا لنا : وقد شرع شكري الخوري في محاولة طريفة ، وهي استعمال اللهجة السورية ــ قلت اللبنانية ــ الدارجة في الكتابة ولكن احداً لم ينسج على منواله .

واعجبا للمتمشرق اغناطيوس ، اينسى المكرزل ، صاحب جريدة الدبور الطريفة الحلوة النكتة ؛ وحنا الفغالي صاحب (شموني) القصة البديعة ، فهي اخت فنيانوس شكري وعلى طرازها وان تفاوتت سنها ، بل اعجب له سبع مرات ،وهو يؤرخ ادبنا المعاصر كيف لا ينسى حليم دموس وينسي هذين المنشئين ، فيقول عن شكري

الخوري : ولكن احداً لم ينسج على منواله .

ولكنك لا تلوم غناطيوس مثلي متى علمت انه (مكبرفوتوغرافي) لما كتبه العلامة المدقق الاستاذ جب عن ادبنا الحديث ، كما ضخم العقاد مقالات صديقه المازني في ابن الرومي فجاءت كتابا غليظا. فالذي يقول ـ ان صحت الترجمة فليس الاصل عندي ـ ان القصة العربية التاريخية شاعت اولا في محيط البستاني فعذره بيّن كالعنزة البلقاء .

يالله من بعض هؤلاء المتمشرقين كيف يتصدرون للحكم وما عندهم من آلته شيء، انهم ككتابهم الذين يكتبون عنا ما لا يعلمون ، لقد ذكرني هذا بشكسبير حين أرسى المراكب في حلب ، وبشاعر فرنسي ــ اظنه دي هيريديا ــ قال : ان لبنان يدخن ، ظانا انه جبل بركاني .

فاي طالب علم لا يعلم ان المحيط كتاب لغة وضعه العلامة البستاني فاحل فيه رأس الكلمة محل ذنبها ، اظن (غنطوسنا) هذا اراد (الجنان) فاخطأ في النسخ ، وجاءت غلطته ثخينة غريبة مثل ارائه العمشاء .

ما رايت كراتشكوفسكي الا ناسخاً ساخاً ماسخاً ، كما عبر ابن الاثير في (ادب الكاتب) ، فهو لم يبرح الدائرة التي رسمها الاستاذ جب ، وان خرج من تلك الصيرة رقص رقصة الجدي هنيهة ، ثم عاد اليها يفتش عن خرع امه ... فما كتبه الاستاذ جب عن ادبنا يدل على درس من يتفهم الكلام ويمحصه ، لا على نقل ومسخ كما رأيت في فصول كراتشكوفسكي الثلاثة التي قرأتها مترجمة في رسالة الزيات .

رحم الله الشدياق ما كان انبهه ، حين خص امثال كراتشكوفسكي بالذكر في (ذنب الفارياق) ــ التعبير للشدياق ــ فاقرأ هذا الذنب العاقل وقل ان هذا الشدياق الذي يقول عنه كراتشكوفسكي (وفي البلاد غير العربية امتاز العصر بظهور بعض الكتاب النوابغ كاحمد فارس الشدياق) كان بابا اللغة لا شدياقها .

لقد حفظها عن ظهر قلبه كالماء الجاري فالف الطرائف المعدومة النظير. وصف لك ما مر على رأسه من المحن ، وما رك ، وما التك . آلمه غرور متمشرق وادعاؤه على قلة بضاعته ، فقال في ذنب فارياقه : (وانما الغرض من هذا الكلام هو

ان ابين لهذا الرملي الهارف المتملق مناضلة عن شيوخي الذين اخذت عنهم من العلم ما اخذت ، ان شيوخه لا يحسبون في عداد العلماء . نعم ان لهم باعاً طويلاً في التاريخ فيعرفون مثلاً ان ابا تمام والبحتري كانا متعاصرين، وان الثاني اخذ عن الاول ، وان المتنبي كان متأخراً عنهما ، وان الحريري الف خمسين مقامة حذا بها حذو البديع وما اشبه ذلك ، الا انهم لا يفهمون كتبهم ، ولا يدرون جزل الكلام من ركيكه ، وثبته من مصنوعه ، ولا المحسنات اللفظية والمعنوية ، ولا الدقائق اللغوية ، ولا النكات الادبية ولا النحوية ، ولا الاصطلاحات الشعرية ، فغاية ما يقال انهم نتفوا نتفة من علوم بواسطة كتب الفت بالفرنسوية .)

وان شئت اكثر فخذ (كشف المخبا) واقرأ ما يحدثك به عن الدكتور لي حين كان يصحح له ترجمة التوراة ، ثم ما كتبه عن بعض اساتذة اللغة العربية في جامعتي كمبردج واكسفورد .

اجل لقد بذر الشدياق لغتنا الفصحى في كل الاقطار كمصر ومالطه ، وانكلترة وفرنسا ، وتونس حتى بين اتراك الاستانة ، ثم في العالم كله (بجوائبه) وكانما عناه ابن زريق البغدادي بقوله : موكل بفضاء الله (يزرعه) .

اقدرت الان هيام لبنان بلغة العرب وسبقه الدائم ،امس واليوم ،الى التجديد ؟فهو باني النهضة الحديثة ، ولا اقول (الانبعاث) فاللغة العربية لم تمت لتبعث ، بل لاذت ابان محنتها بكهفين : لبنان والازهر . فللبناني مشاء دائماً الى التجديد والابداع ، ما وقف ولا يقف ولن يقف ، ولديه في كل زمان شاهد عدل . حاول ويحاول التجديد في كل دهر ، وحسبك شاهداً هذا التطور الذي تلمسه في مدارسنا الحديثة وان لم تتكامل بعد فرؤية الهلال تبشر بنموه .

لا اشك في انك قليل الايمان بما اقوله لك ، ولكنك ستؤمن مثل العم توما حين يمسها اصبعك ، والاتي قريب فادع لي بطول العمر ، الله يحفظك ويبقيك .

ولنعد الى مساق الحديث عن هذه الصحائف التي تذاع في جنوبى اميركا ،اليس من الحيف على شباب العرب الا تكون في متداولهم ومتناولهم وفيها ما فيها من ادب سني ودروس قومية ؟! فليت غرف المطالعة — على الاقل — تطلبها ، وهل يكثر بدل

الاشتراك الزهيد على من يعلم شبابنا المتهافت على قصاع الاجانب كيف يحب لغته ويعبدها !

ففي مجلة العصبة نصرة للمغلوب على حقه كقصيدة الشاعر شفيق معلوف الرصينة ، وقد نقلتها صحفنا ، وفيها رسائل يتيمة لزعيم الادب الجديد جبران تبين بعض مشاعره الدالة انه بشر مثلنا ، وليس من الجن والعفاريت كما فهم بعضهم . وفيها قصيده متينة للشاعر القروي ورسوم رائعة لبعض مشاهد لبنان ، وصورة سيد المرسلين محمد ــ كما تخيله جبران نابغة الفنين الرسم والادب ــ تليها قصيدتان غراوان في مدح هذا النبي المفرد للشاعرين حسني غراب ونصر سمعان . ثم رسم عربي محض ــ موت عبدالرحمن الثاني ــ كله فن وروعة ، وهناك بحوث شتى ومقالات وقصص موضوعة ومترجمة تعلي على المتفرنجين منا دروسا عالية اخص منها بالذكر (ذكاء بدوي) مترجمة عن الانكليزية لاثبات ما يدل عليه عنوانها . وفيها نبأ ترجمة كتاب نبي جبران اية الشرق للغرب ، بقلم الكاتب يوسف مرعب ، ترجمه الى البرتوغالية كما ترجم من قبل دمعة وابتسامة ، والاجنحة المتكسرة ؛ والارواح المتمردة وغيرها من مقالات جبران فاستقبلت بما يستحقه خيالها السامي وابداعها الطريف ، فهل تسمح مديرية المعارف الجليلة فتتعرف باديبها المنفي .

وفيها اخيراً : اصدر الكاتب المدقق واللغوي المعروف جورج مسرة مجلة شهرية في الحاضرة دعاها (البرازيل السورية) وقد مر ذكرها . قد يكون الاستاذ جورج كاتبا مدققا ولغويا محققا ، اما الكعك فما دل على العجين.

ولا انسى قصيدة الشاعر الياس قنصل ــ كيف خلق الله الازهار ــ ففيها شعر اكثر مما في ديوانه (السهام) كله ، وهذا دليل جديد ــ لي ــ على ان الشعر الوطني امسى علكة يتعذر الابداع فيه الا على القروم ، لكثرة ما لاكته الشعراء منذ ابن كلثوم حتى بشاره الخوري وعمر ابي ريشه. فليس كل ما يقوله الشعراء شعراً وطنيا.

وما وقعت عيني على فهرست العدد السادس من العصبة حتى رأيت توفيق ضعون فتذكرت ما كان يذيعه في (النصير) رحم الله ذاك العهد ، فهل انت هو يا توفيق ، فان كنت ذاك فابعث الي بعنوانك لي كلمة اسر بها اليك .

والعدد السادس حافل كاخويه بالشعر الطلي والمباحث المفيدة التي تنم عن مجاهدة مستمرة . امد الله الاستاذ حبيب مسعود مدير العصبة بصحة وعافية ، واخـذ بيده ليثابر على عمله النبيل ، وحيا الله اخوتنا في وطنهم الثاني ، ولا اقول غربتهم فمن كان هذا شأنهم فكل بلاد الله ارضهم ، والعربي مطبوع على الفتح .

اما شكرالله الجر ذاك الكناري الفصيح فما قرات له شيئا في (العصبة) . اتراه اكتفى وترك سربه ليغني وحده كانه نسي ان الطيور على اشكالها تقع .

واخيرا لا بد لي من راي ابديه باخلاص للشاعر القروي صاحب (شرر الفكر) في هذا العدد ،فقوله:

رباه اني قد عصيتك عامدا * لاراك اجمل ما تكون غفورا
ولقدجنيت من الذنوب كبارها ضنا بعفوك ان يكون صغيرا

رصين بليغ لا يمكن سبكه في قالب ابدع واجمل ، ولكن الفكرة طريدة اجيال ودهور ، فمن عهد الخيام وابي نواس حتى زمن اسمعيل صبري امس ، وهي تتدهور في حناجر الشعراء ، الاخيار والاشرار منهم.اما قائلها الاول الذي لاكها ومسها أي مس ولم يترك الا المجاجة فهو افرام السرياني الشاعر الصوفي العظيم في عرفي ، والقديس الطاهر وملفان البيعة في عرف الكنيسة . ليت المقام يسمح لي فاترجم لك كثيراً من اقواله لترى كيف كان يتغنج ويخاطب ربه بلا كلفة ، اي sans facons كما يقول الشيخ فولتير ، ولكني لن احرمك واحدة منها وهذه هي : (ان كان العبد بلا خطيئة فمن اين تعرف رحمة السيد ، ارحمني يا الله الخ) .

أرأيت الغنج والدلال ، أأيقنت ان الله ، جل جلاله ، سبحانه وتعالى ، طويل البال واسع الصدر ما انتحر ولن ينتحر احد من عشاقه الكثيرين ، وسيعفو عنـك عفواً كبيراً يليق بعظمته وجبروته . وبينما انا احاول ختم حديثي بالتي هي احسن عن رواد ادبنا الحديث ودعاته في العالمين ، وقد ادهشني اخلاصهم للغتهم ، اذا باحد تلاميذي — عراقي — وقد بلغه اني لزمت غرفتي لعارض فاتاني عائداً ، فتجملت في محادثته هنيهة ، ثم عدت الى شغلي واخذ هو الاندلس الجديدة والعصبة وابا الهول وقلب اوراقها ، وما كاد ينتهي من استقرائها جميعها استقراء عجلان حتى اعجب بعروبـة

اصحابها و كتابها وقال لي بلهجته العراقية : هَلقَدّ عرب ، أي أهم عرب بهذا المقدار

قلت : نعم وزيادة.

وهكذا ايد التلميذ معلمه ، واحسن ختام مقاله من حيث لا يدري .

وعندما قرأ الاستاذ جب هذه المقالة بعث الي بهذه الرسالة ، وهي ليست أولى رسائله ، وقد آثرت نشر صورة لها ليقدر القارىء العربي همة واهتمام هذا العلامة الكبير بادبنا العربي الحديث .

SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES.

VANDON HOUSE,
VANDON STREET,
LONDON, S.W.1.

Telephone : WHITEHALL 4735.
Telegrams : SOSLINST, PHONE, LONDON.

في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٦م

سيدي الاستاذ المحترم

أعترف بتقصيري في حقكم وأتسرع الى تداركه ، ولا عذر لي الا ان شتى المشاغل قد حالت دون متابعة دراساتي في الادب العربي الحديث مع شدة اهتمامي به ، حتى عضوية المجمع اللغوي لأن غيبتي السنوية في مصر والقيام بأعماله يضطرني الى مضاعفة ما علي من الأعمال المدرسية في لندن وكذلك منعني من الزيارة المنشودة الى لبنان .

وقد تسلمت ، ولكم مزيد الشكر ، مقالكم
الأخير فى الادب العربى فى برازيل وقرأته
بكل اهتمام لاسيما وليس لى معرفة شخصية
بالأدباء هناك وبمنتجاتهم . وقد شوقنى
بعض منها
ما كتبتم فيهم الى الحصول على ~~بعضها~~ ،
و سأحاول ذلك لأدرسها فى الوقت القريب.

الا انه لا يمكننى ان اوافقكم فيما قلتم
عن الاستاذ كراتشكوفسكى ، فانه باحث
جليل القدر فى الأدب القديم والادب الحديث
قد تفرغ له من ثلاثين سنة وعندما
ابتدأت بدراسة الادب الحديث اتصلت
به كتابةً وانتفعت كثيرا برسالاته
ومقالاتها وارشاداته ، ومما يجوز ان
يقربه لكم انه تخصص بدرس الادب
اللبنانى وأراه شجعنا بهذه الساحة .

وختامًا ارجوكم قبول هذا الرسم
منى مع تحياتى واحتراماتى ،

Krachkovsky

جبران خليل تقي الدين !

قرأت في جريدة (المكشوف) الغراء مقالة (جبران خليل جبران كما افهمه) للشيخ خليل تقي الدين ، فخلته يحدثنا عن طهرا بك الفقير الهندي الذي جاء بيروت منذ اعوام وعمل العجائب . او عن (مغربي) حاز الدكتوراه من (مغارة دانيال) التي ينفتح بابها كل عام مرة كما يقول الناس .

اجل ، ان جبران خليل تقي الدين احجية لا تفك ، فكأنه في مولده عمرو بن كلثوم ، وفي موته امية بن ابي الصلت .

ولماذا لا ، الم يقل الصديق خليل في جبران : فاذا مولده مطلع عهد جديد، واذ وفاته تاريخ !

ما هذه الحيرة يا استاذ !! جبران بشر مثلنا ، ولد في بشراي من ذكر وانثى (سنة ١٨٨٣) امه (كامله) بنت الخوري اسطفان رحمه ، وهي ارملة لا عذراء... اسم زوجها الاول حنا عبد السلام رحمه ، واسم الثاني خليل جبران (سميك) . لا ادري من اوحى الى الشيخ يوسف توما البستاني تلك الكلمة التي كتبها في مقدمة (البدائع والطرائف) عن مولد جبران ، (ويقال بل في بومباي الهند) ، حتى جعلها مخائيل نعيمه مفتاحاً لقبر صديقه جبران ... لست اعني ان نعيمه اساء الى جبران بقوله عنه : انه حب واحب ، ولا فيما خبرنا من قصص ، فليس جبران ذا طبيعتين ..

اما كلام جبران ، وهو موضوع بحثنا ، فعربي مفهوم، اما كيف يخفى على الشيخ خليل ذي العقل الراجح ، والنظر الثاقب فهذا ما يحيرني ! لقد حيرني تحويم الشيخ ودورانه ، وهذا التجاهل ، وتلك الالفاظ الضخمة الطنانة التي انعم بها على جبران

بلا كيـــل ولا ميزان : سر من الاسرار ، نبوغ ، عبقرية ، رسالة ، خلود ، نبي ، رسول ، فيلسوف ، الغاز ، رموز ، وهلم جرا . فكـــأن جبران هندي حقاً ومن مواليد بومباي ، والشيخ ، ايده الله ، يريد ان يقلده عقداً من ازهار بستان اللغة ...

انا قلت : ان لجبران اسلوبا عربياً معروفاً كالعنزة البلقاء . ولجبران تلاميذ في كل قطر يقرأ ابجد ، هوز ، حطي ، وبسم الله الرحمن الرحيم ، وطوبى للرجل .. اقرأ ما كتبه (حجازي) في رسالة احمد حسن الزيات (عدد ١٤٩ ، ص٧٨٤) عن النهضة الادبية في شبه جزيرة العرب ، فصاحبها يعترف بانهم كانوا تلاميذ المدرسة الجبرانية قبل ان (يرتدوا) ويتتلمذوا للمدرسة المصرية التي ناهضت مدرسة جبران باسم الثقافة الاسلامية ، كما قال المتمشرق (جب). وقد نشرت السياسة الاسبوعية هذا الزعم بكل فخر (عدد ٢٠١ ص ٢) . فلماذا نتجاهل هذا ونحاول تحديد جبران من الجهات الاربع ، كاننا نكتب فيه صك بيع .. ان بحثنا لم يتعد الاسلوب الجبراني ولم نسأل مجلس المعارف الاعلى الا وضع صاحبه بين اصحاب الاساليب ، فكان ما كان مما لست اذكره ...

اما زعم الشيخ انه قال في ذلك اليوم وتلك الساعة : ان جبران خليق بان يدرس في كلية من كليات الاداب ، فذكرني قصة رجل عزل عن وظيفته فحار في امره حين سقطت سلطته ، وقد تعود الامر والنهي ، فاشترى بضعة اباريق صفها امام داره لعابري السبيل ، فكان ان تناول احد منهم الابريق العتيق أمره باخذ الجديد وبالعكس.

اين كلية الاداب هذه يا شيخ ، اكلية (عليكره) ببومباي حيث ولد جبران.. ثم رأيتك ترجح وضعه في منهاج الفلسفة لئلا يغضب اذا لم ير اعمى المعرة ... فحنانيك يا شيخ ، اننا نشرب بالابريق الذي تنقيه لنا فاسقنا ... انما بغير الوعد يا كمون .. الا تذكر وعد عام اول .

لا اخالك تنسى كم ناقشناك ، وكم سألناك ، حتى ناشدناك ملتمسين (صفو الخاطر) على الفقيد الكريم ... فما رحمته ولا تركت احداً يرحمه.. وهكذا اصطلحت الاضداد في تلك الساعة ، على روح جبران كما اصطلحت من قبل على جسد الجاحظ ..

والان فلامر مراً خفيفاً بنقط لا بد من ايضاحها تفنيداً لما كتبته اثباتاً لغموض

جبران . قلت : ان مخائيل نعيمه الذي عرف جبران وآكله وشاربه ارانا ، وتراب جبران لا يزال مبللا بدموع الباكين ، انه رجل مادي يبيع بالمال كل شيء حتى جسده ، ويشتري بالمال كل شيء حتى الحب .

اسمح لي ان اسألك : ما علاقة هذه الحكاية بادب جبران واسلوبه .؟؟! هل خبرك احد انني اطلب (تطويبه) قديساً ! ثم من يدري ، فقد تكون توهمت ذلك حتى قلت بعد اربعة اسطر : فاذا مات — اي جبران — ارقده رجال الدين في ظلال الارز الخالد ، وجعلوا قبره حجة ومزارا ، واضاؤوا من حوله الشموع ، وقدسوا التراب الذي ضم رفاته ثم دعوا المؤمنين لزيارته على انه قديس ..

على مهل يا شيخ ، لقد استعرت قلم غبريال شارم ، وبيار بنوا ،فكانك من اولئك الكتاب الغربيين الذين يزورون ديارنا ويقولون علينا مثل هذا . فواعجبا لك وانت اللبناني الصميم ، ورئيس ديوان المعارف اللبنانية ، كيف لا تعرف ان رجال الدين لا يقدسون حتى البابوات والبطاركة !! ان الشيوخ الاجلاء عندكم — الجويدين — لا يرحمون من في حياته اقل شبهة ، والمسألة في ايديهم ، فكيف برجال الدين عندنا ويدهم قصيرة عن هذا ؟ ان مسألة تطويب القديسين مسألة شرحها طويل ، واليك مثلاً يجلو لك الكثير من غوامضها :

حكي ، والله اعلم ، ان المجمع الروماني حال دون تطويب احد الرجال الصالحين حين ثبت له بعد بحث مئة سنة انه كان يتنشق العاطوس مثلي . ارايت ما اصعبها خطة وما ابعدني عنها ...!

اما قصة جبران فهاك حديثها : في صيف سنة ١٩٣٠ زرت بشري وحدثت الخوري فرنسيس رحمه وشبل بك عيسى الخوري ، والشيخ خليل صادق بامر شراء دير مار سركيس ، ليكون مأوى لجبران في اخر العمر ،فابى الرهبان الكرمليون بيعه . وبعد شهور مات جبران عن تلك الوصية التي خاب امل مخائيل نعيمه فيها ... فغر المال الرهبان ، والمال غرار ، فباعوا الدير — بل الكهف المهجور — ونام فيه جبران الى يوم يوقظه بوق مخائيل .. او حين تلده امرأة اخرى كما توهم في نبيه ...

ان كل ما يتمتع به جبران من احترام وتكريم لا يد لرجال الدين فيه. فلومات

جبران فقيرا لما عرف احد اين قبره حتى ولا الذبان الازرق... انحن في امة تعرف اقدار النوابغ ! ولزيادة الايضاح راجع غير مأمور رسالة البطريرك الياس الحويك تعزية لبشري بفقيدها جبران ، فهي لا تتضمن العبارة (التقليدية) . كل هذا يثبت لك ان لا يد لرجال الدين في كل ما صنع ويصنع لجبران .

كتب واحد — من غير رجال الدين — فوق ضريح جبران بنور الكهرباء (هنا يرقد نبينا جبران) فامر باصلاحها فاطاع وصارت نبينا (بيننا) . واراني مضطرا ايضا الى تفنيد زعم اخر وهو قول الارشمندريت بشير في مقدمة النبي : ان جبران مرشوق بالحرم الثقيل . فلا ثقيل ولا خفيف ، ولا كبير ولا صغير ، فلو كان جبران محروما لما صلوا عليه .

ما هذه المصيبة !ما انتهينا من اصلاح « سنكسار» جبران المخرفش حتى اصطدمنا بفنه التصويري . ليقل الشيخ في هذا ما شاء ، فماذا يعني مثلي من (الفنون الجميلة) .

هذا وقد وصلنا الى عبارة تمس موضوعنا قال الشيخ:« ونقرأ كتبه — اي جبران — فاذا العربية منها خليط من مقالات كتبت لمناسبات معلومة ، وروايات املتها عاطفة الشباب ، بعضها يمت الى الادب بصلة ، وبعضها يمت الى الفلسفة بصلات » .

كيف تكون الروايات والمقالات يا ترى ؟ ومن يكتب غير متأثر بحال من الاحوال ، بل من يطلب من الكاتب ان يصير جنياً حين يكتب ، فلا يحس ولا يشعر .

ثم قال :«ولكن اكثرها لا يجعل من جبران الاديب الخالد والفيلسوف صاحب المذهب المعروف» اذن بقي قسم صالح من ادب جبران:وحيث انه لا منهاج في الدنيا يدرس الكاتب جملة، فلينتق لنا جناب الشيخ هذا (البعض) وبهذا يكون حل جزءاً من مسألة جبران الهندسية...

اما زعمه ان جبران هدم بعض الاسس التي قامت عليها اللغة ، فوالله لم ادر بعد ما هي ، فهل من يدلنا عليها وله اجر وحلوان ؟

فان كانت الاخطاء النحوية والصرفية واللغوية ، فلجرير والفرزدق وعمر وبشار وابي تمام والمتنبي وغيرهم خطيئات ما زال بنونا يتحملون عقابها كالخطيئة الاصلية ...

وان كان يعني الاسلوب او التعبير فكتاب الله ــ القرآن الكريم ــ نبذ اساليب الناس وتعابيرهم العتيقة الخشنة حتى قـــالوا عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، انه ساحر مجنون ، وشاعر مفتون . فهل فينا اليوم من يشك في ذوق الله ، تقدس اسمه ، كما فعل ابو جهل وابو لهب . أيضير جبران خروجه من صيرة القدماء ؟ اما فعل ذلك غيره من مجددي الكتاب في الامم ، هذا هيغو الذي ندرسه في المنهاج ، ألم يقل:

Je mis un bonnet rouge au vieux dictionnaire .
Plus de mot sénateur ! plus de mot roturier !
. . . . . Le mot propre ce rustre
N'étant que caporal, je l'ai fait colonel .

اما كفانا هذا الجمود احقاباً ، فقد اساء الناس الظن بالعقلية العربية .

اما قولك ان جبران قد يكون فكّر ان يكون نبياً ، وما عليه لو فكر ، ألم يفعل ذلك المتنبي ، ثم من يقاص الناس بخطيئة الفكر غير الله ؟! هذا نيتشه الذي نحا نحوه جبران في نبيه ، لم يقل انه صار الهاً الا ساعة خرف ، فأخذ يصافح كل من يعرفه قائلاً له : فلنغتبط ، اني اله .

اما جبران فلم يخرف ولم يقل شيئاً من هذا . وكأني بالدكتور فيليب حتي ،وقد رأى الناس في حفلة تكريم جبران يسمعون كلمته واقفين ، خاف عليه من هـذا التعظيم الفائق فقال له ما قال في تلك الساعة ، فمثل دور (اليوناني) الذي كان يهمس في اذن البطل ساعة تأليهه قائلاً له : لا تنس انك انسان .

اما الكنيسة التي تليت فيها كتب جبران كالكتب المقدسة فهـــاتيك مرسح لا كنيسة ... أيصدق الشيخ ، جزاه الله صالحة ، قول نعيمه عن بيع جبران جسده بالمال ، ولا يصدقه حين تكلم عن هذه الكنيسة المجنونة !

ثم قال : « وبعد ذلك يقوم صديقنا مارون عبود ــ اذكر جيداً اني قمت ولم اتكلم قاعداً ــ فيعجب كيف لم يدخل اسم جبران في منهـــاج الادب العربي في البكالوريا اللبنانية ، وادخل فيه اسم المنفلوطي، وحقنا نحن ان نعجب من هذا » وبعد ان يبين ان لا شبه بين المنفلوطي وجبران قال :« ألا يعلم الصديق ان مناهج الادب توضع لبيان تطور الآداب في سيرها نحو الكمال » .

قلت : بلى . علمت شيئاً وبناء عليه طلبت تدريس جبران لانه اخطر حدث ادبي في تاريخ نهضتنا الحاضرة ، فلا يشق عليك ايها الصديق ولا على شيخنا المنذر ان قلت لكم ولكل من يقرأ : ان عمل المنفلوطي لم يفق عمل من يجلو الصدأ عن حوائج البيت المعدنية ... وان كل ما كتبه هامد همود القبور ما خلا بضع مقالات تجول فيها الروح جولان الهر المنازع في جراب ... اما التجديد فلا اشرك المنفلوطي فيه ولا بسهم ، لانه مقلد للاقدمين يفتش عن خرثيهم ، ويحسب الفن كله في العبارة المصقولة. وفي فقه اللغة ، والالفاظ الكتابية ، ونجعة الرائد ، ومعين الشرتوني ، غنى للتلميذ عن المنفلوطي . وبرهاني على ما قلت اخذه ترجمة فرح انطون لبولس وفرجيني ، فرمى برنردين وفرحا بحجر واحد ، وكذلك فعل بقصة جبران (صراخ القبور) ، فخنق فن جبران ولم يفهم خطأً واحداً من خطوطه ، فكان كصانع احمق ينقض على التمثال بمهدته ليجعل منه زاوية للمدماك .

ثم قلت ان المنفلوطي (قدم للادباء الحقيقيين قوالب مصنوعة بيد صانع ماهر)

اما انا فاقول : وهل يستعير الاديب الحقيقي قالباً من عند احد ؟! ومتى كانت الروح تخلق قبل الجسد او بعده ؟!

اليس الكاتب الحقيقي من يخلق الاجساد ولا يستعيرها ؟ والا فهو كالاسكاف وغيره ممن لا غنى لهم عن القالب .

ان الخياط الاستاذ لا يتقيد بالهنداز ، وان فعل فما يخيط ثوبا مهندماً بل قباء كالذي خاطه عمرو لبشار .

ثم قلت ان المنفلوطي « كصانع الاقداح يصب الزجاج ويلونه وعلينا نحن ان نملأه بالراح » اليس الاولى بالاديب والحالة هذه ، ان يتشبه بالراعي الذي يكرع من النهر والعين ويترك طاسه الزنخ .

وبعد ، فلا تسم هذه الاباريق والاكواز والدوارق والصحون اقداحاً ملونة ، فيتسرب الشك الى نفسي فيك ، فلا تزعزع ايماني ، اما ولغ في هذه القصاع مليون لسان ؟ اما مستها مليون شفة ؟ ليس هذا ما ندعو اليه ابناءنا . اما اذا كنت تريد ان يلهو ابناء هذا الجيل بالقشور فاوصهم بقراءة « افتتاحية » احمد حسن الزيات في

رسالته ، فيشبعوا من هذا الخروب حتى البشم ...

ولما عرضت لما وقع سنة ١٩٣٣ في مجلس المعارف الاعلى قلت : وضعنا موضع البحث اسم جبران ،فقال هذا العاجز . الا ترى ان هذا «العاجز» منفلوطية بل اقدم عهداً ، انها تستاهل الجواب المألوف : كلك خير وبركة ، فلماذا هذا التواضع العميق يا شيخ شباب الادب !!

اما قولك اخيراً « وليس من مخرج لنا من هذا المأزق الا ان يتقدم صديقنا مارون عبود باقتراح يرمي الى ادخال الارشمندريت انطونيوس بشير في منهاج البكالوريا وعند ذلك تنحل العقدة ... »

الله كريم يا شيخ ، ولعل من عقد الامور يحلها ، فليتك تصير جبران ،ويترجمك الارشمندريت ...

وبعد فاراك تتغنى كثيراً بالقصة ، الم يعجبك شيء من قصص جبران ، اليس بين قصصه العربية قصة تستحق الدرس ؟؟ فلماذا تذرى خلف جبة المطران انطونيوس بشير ، وتتلطى وراء « لاطيته » ؟! ما لنا ولادب جبران الانكليزي فنحن نبحث ادبه العربي واسلوبه وما فيه من فن ، فلماذا المغالطة ، هات الحديث فاما ان تشايعني فيه او انني اشايعك عليه .

اما جبران فهاك رأيي الصريح فيه : هو فيلسوف يلبس مطرف الشاعر وطيلسان الاديب . وبكلمة اوضح جبران فيلسوف في ادبه ، وادب جبران فلسفة ،والعنصران متحدان في كلامه اتحاد اللون والعطر في الزهرة المنمنمة .

حاشية : ايها القاريء الكريم ، لا تتوهمن بعد قراءة هذه الكلمة ان جبران لا عيب فيه ، ففي جبران من العيوب ما في كل اديب خطير ، ولكن لا تنس ان جبران من افراد الجيل « العالمين » الجديرين بالنقد والتقدير ، وان ضاق عنه منهاج البكالوريا اللبنانية فحسبه رفوف مكاتب الادباء في العالمين .

لقد عاد جبران الى خاصته وخاصته لم تقبله ، وكذلك النابغة يزعج معاصريه لانه لا يساير الجماعة كما قال جورج سوريل .

حول عكاظ الحكمة

كتاب ابراهيم المنذر

الجمهورية اللبنانية ــ مجلس النواب

اخي مارون ،

اجدت امس كما اجدت في بعض ما كتبته قبل امس ، شأن كل كاتب وناقد يصيب احياناً ويخطيء احياناً ، وقد خرج الخطباء على الاثر من الحفلة فحييناهم ولم تخرج معهم فنحييك .

اما جبران فقد اصبت في ما ذكرت عنه ولكنك اطلت وطلبت ما ارجح ان المدرسة لا تجيبك اليه ، ولا شك انك تذكر اني كنت واياك في جانب جبران وزيدان في لجنة المعارف فلم نفلح . ولا يعني انتصارنا لجبران انتقاصاً من قدر المنفلوطي ، فان اسلوبه في الانشاء (العربي) يفوق اسلوب جبران ، ويجب ان نضم الرجل الى ناشري لواء البلاغة والتهذيب في الشرق فقولك (ان اللجنة ابدلت المنفلوطي من جبران) فيه تحقير للمنفلوطي ، ولا اظنك تعني هذا بل تعني وجوب وضع جبران في مصف الكتاب المصلحين في منهاج البكالوريا .

واما حملتك على شعراء العصر في التهاني والترحاب والاستقبالات فحملة مردودة لان كل شاعر مهما علت منزلته في مثل هذه المناسبات مضطر ان يقول كلمة شكر ، ولا تكون كلمة الشكر آية من آيات الفن والخيال والتصور والابتكار .

وهناك ابيات كثيرة من غير هذا الباب فسرتها يا ابا محمد بغير ما يريد صاحبها ، او شرحتها باستهزاء والمعنى فيها مقبول مأنوس ، وليس بالصعب على كل ناقد ان يزدري قول اعظم شاعر متهكماً ويجعل الفاظه مبتذلة ومعانيه مسروقة .

بقيت المحاسن يا مارون ... اين هي ، فقد يكون للشاعر بيت في قصيدة يعادل قصائد — ويظهر انك تريد ان تهدم البيوت على اربابها فتقتل جميع ما فيها ، وكم هنالك من كنوز تضيع تحت الانقاض ، وليس هذا عمل النقاد المنصفين .

احييك وادعو لك.

بيروت — ٤ - ٥ - ٣٦ **اخوك المنذر**

الجـــواب

الجامعة الوطنية — عاليه ٧ - ٥ - ٩٣٦

اخي وشيخي ابراهيم

لا انسى يوم كنت تشجعني فتى — عفوا ما عنيت انك اسن مني كثيراً ... — ولكني اذكر بلذة اياماً كنت امر بها على (مكتبتك) فتبسم لي واعدها نعمة ، واني لا ازال احرص على رضاك الغالي جد الحرص .

قلت في كتابك الكريم المفتتح بهذا التعبير ، فلا حيا الله ولا سلم الله : (اجدت امس كما اجدت في بعض ما كتبته قبل امس شأن كل كاتب وكل ناقد يصيب احياناً ويخطيء احياناً ، وقد خرج الخطباء على الاثر من الحفلة فحييناهم ولم تخرج معهم فنحييك) .

لم اخرج مع الخطباء لان همتي قليلة فسبقوني ، واكتفيت بتسليمي عليك ، سلام الاحباب بعد الغياب ، قبل ان صعدت المنبر ولم يدر في خلدي قط اني غير حاصل على رضاك. اما الاصابة والاجادة فحسبنا منهما الافادة وانهاض ادبنا المقعد ما نستطيع. اما الخطأ — والعصمة لا ادري لمن — فليتك تدل عليه ولك من الادب اجر غير ممنون .

يا شيخنا ،

حمل الي استياءك وبلغني رسالتك الشفهية بل نصيحتك الاخوية ، من حملته اياها ؛ فشكراً وعذراً وان كنت تأمر فتطاع ، فانا ماض في سبيلي ، فادع لي بالتسهيل ... فان تقدمت بهذا الادب خطوة صغيرة بلغت اقصى الاماني فانا رجل قنعان .

اما قولك اني اصبت فيما ذكرت عن جبران فلك الشكر على ذلك مني ومن نزيل وادي قاديشا ومجاور الارز . واما اني اطلت الكلام عنه وطلبت ما ترجح ان المدرسة لا تجيبني اليه فجوابه : اننا في زمن (مطالبات) او لستم كذلك في المجلس؟ فان فعلت المدرسة احسنت ، والا فلا حرج عليها . الزاد زادها تأكل منه ما تشاء وتطعم ما تشاء ، كما قال معن بن زائدة للاعرابي .

ثم قلت لي (تذكر اني كنت واياك في جانب جبران وزيدان في لجنة المعارف فلم نفلح) . اني اذكر ذلك ولا انساه ، وقد اشرت بقولي : ولم يبق في جانب جبران الا المتهمون في دينهم مثله . اي انت وانا ومن لف لفنا ...

اما اني قلت (ان اللجنة ابدلت المنفلوطي من جبران) فما هكذا قلت ، بل : وهكذا اقر المنفلوطي في المنهاج ونفي جبران من وطنه الذي يردد كل يوم :

ملء عين الزمن سيفنا والقلم
ارزه عزه رمزه للخلود

اما ان اسلوب المنفلوطي يفوق اسلوب جبران ، فاننا لا نتفق في هذا يا شيخ ، اننا نريد غير هذا الكعك ، انما من العجين ، وبكلمة اوضح قد قرفنا خبز المّلة ...

ثم تقول لي (واما حملتك على شعراء العصر في التهاني والترحاب والاستقبالات فحملة مردودة ، لان كل شاعر مهما علت منزلته مضطر في مثل هذه المناسبات ان يقول كلمة شكر ، ولا تكون كلمة الشكر آية من آيات الفن والخيال والتصوير والابتكار) .

اظن ــ وبعض الظن اثم ــ ان هنا (التخلص) يا استاذ ، فان شئت رأيي في شعر الفرح والترح فاليكه : ليقل الناس الترحيب والتهاني والتعازي نثراً فهو خير من هذا الشعر الدميم المقرف . وان وفق الشاعر الى ابداء عاطفته بفن وابداع

فليقل شعرا . اما متى قال شعرا مثل هذا الذي نقرأ فليطمره ، ولا يدع الهرة افطن منه كما قال البديع للخوارزمي .

ثم قلت ــ واراك تقول كثيراً اليوم ــ « وهنالك ابيات كثيرة من غير هذا الباب فسرتها يا ابا محمد بغير ما يريد صاحبها او شرحتها باستهزاء والمعنى فيها مقبول مأنوس ، وليس بالصعب على كل ناقد ان يزدري قول اعظم شاعر متهكما ، ويجعل الفاظه مبتذلة مسروقة »

اما اني فسرتها بغير ما يريد صاحبهافلا اظن، اما شرحها باستهزاء فهذا لا شك فيه، ولكن هل يتيسر لي هذا الاستهزاء اذالم تكن الالفاظ والمعاني مبتذلة .. اما السرقة فاظنني قبضت على مرتكبيها متلبسين بالجريمة ، اما المعاني فاعترف لك انني ما عدت اقنع منها « بالمقبول » ولا اغصب نفسي عليه .

اسمح لي ان اصارحك بما في نفسي يا سيدي الشيخ ، يظهر انها قصة الباذنجان .. لا قصة منفلوطي وجبران ، وانك لمروان كما قال علي لعثمان .. ليتك تفقأ هذه الدملة فتستريح .

ثم قلت :

« بقيت المحاسن يا مارون ... اين هي ، فقد يكون للشاعر بيت في قصيدة يعادل قصائد »

اظن انني اشرت الى بعض المحاسن يا استاذنا ، ولكن يظهر ان ما يسرك منها اكثر مما يسرني ، وانا لا استطيع ان ارى الا بعيني ، وهي ضيقة كما يقول الناس ، ولا تكبر الاشياء .

واخيراً قلت :

« ويظهر انك تريد ان تهدم البيوت على اربابها فتقتل جميع ما فيها ، وكم هناك من كنوز تضيع بين الانقاض ، وليس هذا عمل النقاد المنصفين »

لا يا شيخ ــ يقطع السم ــ تروّ قليلا ، هل النقد في عرفك هدم ، وهل هدمنا حتى الان غير اكواخ عششت فيها البراغيث والبق والخنافس ؟! ما هدمنا بعد ياشيخ

غير اكواخ خشبية جريا على قوانين « البـــلديات » الحديثة . ليتك تسمي من تعني لنجول جولة حول هذه (الرمم)فتوافقني على هدها ، رحمة باولادنا ، ولا يؤثربقلبك الرقيق عويل اصحابها ..

سيدي الشيخ .

حييت ودعوت في ختامك ، ولم تقبل وتصافح كعادتك ، اما انا فحالي معك لا تتغير ، وهي دائماً على حد قول شاعرنا العامي القديم :

لمّن بشوفك بنفعطلك من بعيد وبستحي سلم عليك بفرد إيد .

واخيراً و كأني بالغضب قد ضيق صدرك الواسع فطويت كتابك على البطاقة التي سطرت عليها ما يأتي : (اذا شئت يا اخي ان تنشر هذا الكتـــاب وتجيب عما فيه فلك ذلك)

لبيك يا شيخ والامر لك ، ها قد فعلت، وشرطي في الامر الا تقف ، وان تصرح في الاتي ولا تلمّح ... والسلام عليك من اخيك .

مارون عبود

لذكرى جبران الخالد.

الى حضرة الاستاذ حبيب ابو شهلا وزير التربية الوطنية .

اما وقد نسخ الاستقلال شعار منصبكم الخطير ، فراح وزير المعارف وجاء وزير التربية الوطنية ، أفنرجو تنسيقاً جديداً في منهاج البكالوريا اللبنانية ؟ ام نظل ندرّس فتياننا ما ينعّسهم ، فيرون وجهنا كوجه الناعي !

ان الجديد في هذا المنهاج فلتة ، فأكثر شعرائه وكتابه من طراز واحد . نفتتحه بامريء القيس ــ اول من بكى واستبكى ، وقيّد الاوابد ــ فنبحث معلقته بيتاً بيتاً لندل طلابنا على ما ابدع ونفهمهم خطة الشعر العربي.

ونتغلغل في الانجاد والصحارى والبطاح فيقبل علينا زهير ، ابو من ومن ومن ، وربيب اوس المقعد ، فتكبح (سئمت تكاليف الحياة ..) طموح الشباب وتكرههم العيشة قبل العشرين . ونتركه يتبجح بحكمة مبتذلة يضحك بعضها الاطيفال ، فيلاقينا طرفة الشاب على ناقته فيصفها لنا من رأسها الى ذنبها حتى يقتلنا الضجر قبل ان يدعونا الى (كأس روية) وتنبري لنا قينته ونرى نداماه البيض كالنجوم ... فنقول شيئاً غير ما قلناه في زهير وامريء القيس .

ولا نخلص من هؤلاء حتى يطل علينا عنترة على ناقته (اولاً) ويبادينا كالثلاثة السابقين ، في استنطاق دار عبلة بالجواء ، وينزل ذلك الحر الطازج عن ناقته ليركب جواده ويكر ، فيشكو الحصان بعبرة وتحمحم ، وتلين نفس عبلة العتية امام البطل الطب بأخذ الفارس المستلئم .

وعلى حدود العصر الجاهلي يلاقينا النابغة الهربان من وجه ابي قابوس فينشد في

البلقاء وقلبه في الحيرة . فهؤلاء خمسة في واحد لولا فرق زهيد لا يساوي تعب الاستاذ وتلاميذه . فهلا نكتفي بتدريس اثنين ثلاثة منهم ، وان قلنا الحق : فاثنان يبشمان .

ونبلغ صدر الاسلام وهو اعظم عصور تطور الادب فنتمسك بالفروع ونترك الاصل . ندرس الحجاج بن يوسف ، وعبد الحميد ، وحجتنا (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) وعلى الدنيا السلام ...

ثم نتشرف بزيارة البلاط الاموي فنرى هناك ثلاثة فحول يتناطحون ، وملوكا وامراء يتلهون في نقارهم . نرى الاخطل والفرزدق وجريراً ينبشون قبور القبائل ويمزقون الاكفان ويصلبون الموتى على مصلبات الطرق ، فننظر كارهين الى تلك المقابر المفتحة ونطمها آسفين ، موصين طلابنا باحترام كل دين ، لافتين نظرهم الى شعرهم الانساني فقط ...

ولا تتنفس الصعداء حتى يطلع ابن ابي ربيعة (يعدو به الاغر) في ميدان الشعر الحي فتطيب نفوسنا اذ نرى الشعر يقلع ثوبه العتيق ويلبس جديدا .

ويمتد ظل الزمان فنبلغ العباسيين ونرى ابن برد الاعمى بصيراً بالفن ، يقعد القرفصاء بالبصره ويرسل شعره طيراً ابابيل ، وحجارة من سجيل . ونشهد ابا نواس مقبلاً في ظل كرمة يستعرض القدماء البائسين الباكين ويكركر في الضحك. فنمجد الفن في شاعرين ظريفين : خفيف وثقيل ، أحسا الحياة واحباها فجعلاها شعراً نسّانا شهوراً سوداء الجبين .

ولا نفارق هذين الشاعرين حتى نعيد سيرتنا الاولى ، فنرى ابا تمام والبحتري وابن الرومي . ان في الطائي غنى عن الكبير ، اما ابن الرومي فيشفع تصويره في تعبيره .

ونطوف مع المتنبي في الامصار فيسمع المعلم والتلميذ ما يرضيهما ، فنهيم اسابيع — كل يغني على ليلاه — حتى نستيقظ على صراخ النواحة الاسير في (روميانه) فتمتليء الغرفة بكاء بليداً ، ولولا « رائيته » لفطسنا . فما دعا هذا البكاء الحردان الى محضرنا ، الا قول حسود : « بدىء الشعر بملك وختم بملك» . وينقضي نواح ابي فراس فيتلوه غناء الاندلسيين فتشجينا انغام موشحاتهم ، ونرى صورة حياتهم تتحرك امامنا.

ويجيء النثر فنرى ابن المقفع في كليلة ودمنة يعلو ويسفل كالمكبّاء ، فنقول ما يحضرنا في اسلوبه ، وحسبنا منه انه عدل عن سجع الكهان وفصّل الكلام ثياباً للافكار . وننسى التعب اذ يواجهنا الجاحظ ، ابو الطرف الكحيل ، يحمل على لسانه ادباً نابضاً في كلام راقص ، فنمرح في مقاصيره وجنّاته التي تجري من تحتها الانهار فيهزنا الفكر يزهو بثوب النكتة الشفاف .

وننتقل الى مقلده بديع الزمان فنرتاح الى ادبه الشخصي ونعذره على تقليد بارى فيه معاصريه . ثم ننتقل الى الحريري — شيخ لنا من ربيعة الفرس — فينعس الصف وليس على الاستاذ الا ان (ينتف عثنونه من الهوس) ويرفع الصوت جهرة ، ولا بأس عليه من آية انكر الاصوات... فهو ان لم يفعل يرقد تلاميذه رقدة اهل الكهف، ونختم درس الكتاب بالترحم على الجاحظ الذي خلق اسلوبه الاصفهاني وكتابه الاغاني، خزانة الادب العربي .

اما ابن الاثير ، وحظه قليل من المدرسين والدارسين ، فما احوجنا الى درسه ،فهو مهذب الذوق اللفظي ، واستاذ نقد بصير بمواضيع الكلام ، وان نفخنا ادعاؤه ،فالصبر جميل ، ولا سيما ان ازمة البكالوريا كادت تقتل الانشاء فامسى الطالب وليس همه الا (المنهاج) ليحمل شهادة .

ونشرف على النهضة الحديثة فنرى على قمتها احمد شوقي وفي يده كتابه مرآة العصور السالفة كلها ، فنرد الكثير من شعره الى اصحابه ، وندل على ابداعه ،ونلهو واولادنا بمسرحياته اياما ، ثم نتركه لنزور بضعة نفر من اضياف المنهاج : اليازجي والبستاني والمنفلوطي وولي الدين ، فنرى الثلاثة يقلدون القدماء ولا يزيدون الا صقلا وتمليساً ، ونرى عند الرابع تجديداً استمده من نفسه الحانقة لا من جملته ...

وهكذا نمسح ايدينا من تراب المنهاج اللبناني الذي يستغنى عن نصفه ويظل حملاً ثقيلاً ، لا نسمع ذكر لبنان الا مرتين عند المتنبي ، حين رأى جبلنا من خلف ، وعند شوقي في قصائد انطقته بها المآدب والاوسمة . هذا في القسم الاول ، اما في القسم الثاني فلا شيء من هذا ، فلبنان شاعر لا فيلسوف ... فكيف تكون البكالوريا لبنانية ونوابغ لبنان مطرودون خارجا .

اين زعيم النهضة جبران خليل جبران ، جبران الشاعر الناثر الاديب الفيلسوف ، جبران ابو القصة اللبنانية الحديثة ، جبران الخالق ادبا لبنانيا شرقياً . فموسيقاه من عيوننا وجداولنا ، ورهبته من اوديتنا وكهوفنا ، وابهته من ربانا وقممنا ، وسفينته من اخشاب غاباتنا ، ومداد الوانه من قوس قزح لبنان .

جبران الذي عاش لبنانيا بين ولولة المعامل وعجيجها فما انهى بجسر بروكلين عن قنطرة المدفون ، ولم ينس نواح المعصرة وهزج البيادر ، فنظم لبنان نشيداً سليمانيا . استوحى هذا الجبل فكان له برقه ورعده ، وصواعقه وعواصفه ، وصفاؤه وهدؤه . لم يبال بناطحات السحاب ، فمات وهو يحن الى شماريخ لبنان . رأى الخلود كله على القرنة السوداء فنام نومة الابد مغطى باذيال برقعها الناصع البياض .

يا حضرة الوزير

ان منهاج البكالوريا اللبنانية ناقص جداً جداً ... ولا يتمه الا اثنان : الشدياق وجبران ، فهذان كاتبان . مبدعان حقاً ، ونواحيهما شتى ككبار كتاب العالم وادبائه ، وما ابعد النوم والضجر من الدارس والمدرس في ناديها العامر . فمر بصنّف كرسيين للاميرين تغنم ثناء الادب الحي ، وارحنا من بعض اوثان الادب ، واجرك على الله .

اما انت يا جبران ، يا عريس نيسان الذي غنيته في مواكبك فلا تقنط من رحمة تاريخ الادب . انك لحي في الكثيرين وان لم تتجمع عناصرك كلها في واحد .

نم يا فتى الليل ، ولا تترجّ القيامة ثانية يا ابن الفجر ، فهيهات — كما قلت لك مرة — ان تلدك امرأة اخرى ... هذا حلم رأيته عند صياح الديك ولا تعبير له ..

ان العاشر من نيسان ليوم تاريخ نهضتنا الحديثة ، ففيه انطفأ كوكب طلع من لبنان ، ودار دورته في الابراج وعاد الينا رماداً مطهّراً .

جبران اللبناني

اذاعت هذه المحطة ، بمناسبة ذكرى الام السيد وعيد الفصح المجيد قطعتين من الادب الجبراني الخالد ، فتذكرت جبران الذي مات في الحادي عشر من نيسان وقلت لقلمي : امش على خيرة الله ولنكتب شيئاً عن جبران الذي لا يموت في ذكراه السابعة عشرة .

ان عناصر جبران الفنية لا تعد ولا يستطاع درسها الا في مجلد ضخم ، هذا اذا اعتصمنا بالايجاز ، ولهذا احببت ان اتحدث الليلة عن جبران اللبناني .

ترعرع جبران ونشأ في لبنان فانطبع بطابعه ، ثم طوى سجل شبابه واكتهل في اميركا ، ولكنه لم يحدثنا عن غير الشرق ، فكأن معامل اميركا وعمليتها لم تؤثر شيئاً بروحية جبران ، فعاش بين ناطحات السحاب يحلم بظهر القضيب والقرنة السوداء شاعراً ومصوراً وكاتباً .

فكر اولا بانشاء مدرسة ادبية عربية فكان مؤسس مدرستين في لغة الضاد : الرومنتيكية والرمزية . ففي جبران ، وهو سليل الشدياق واسحق والحداد ، وسبط ايوب واشعيا وارميا وسليمان ، وافرام ويعقوب ، والمعري والمتنبي والفارض ، عناصر تفاعلت فكونت الاسلوب الجبراني .

والرابطة القلمية التي خلقها جبران هي اول مدرسة منظمة في ادبنا العربي ، كان غرضها خلق مدرسة ادبية جديدة ، فاشبهت من جميع مناحيها المدرسة الرومنتيكية الاوروبية ، حتى في التصوير ، والاسباب التي كونت هذه المدرسة الادبية عندنا هي التي كونت تلك هناك ، فهناك الثورة الفرنسية وهنا الحرب العظمى الاولى .

وكما زعم رجال النهضة الرومنتيكية ان الشاعر يقوم بأهم عمل اجتماعي ، وانه فوق الناس ، كذلك اعتقد جبران وتلاميذه . تصوروا ، كما تصور هيغو ، ان الكتاب هم قادة الانسانية ، والكاتب اكبر من المزربان ، وعليه ان يحمل مشعله حتى الموت في يده . وكذلك اعتقد جبران حتى كتب النبي ويسوع ابن الانسان وآلهة الارض وظل يكافح حتى النفس الاخير .

وكأني بالدكتور فيليب حتي ، حين رأى الناس يسمعون كلمة جبران في حفلة تكريمه ، وقوفا ، ويقدمون للناس كتبه مجلدة مفضضة كالانجيل والكتب السماوية ، اعلن على الملأ في كلمته التي القاها في تلك الحفلة :

اننا نرجو ان يظل جبران بيننا .

وبعد موت هذا المعلم العربي العظيم قال الدكتور حتي ايضاً :

والحقيقة هي ان اسم جبران ، وحده ، لسمعتنا ونفوذنا في هذه البلاد ، يساوي كل ملايين الدولارات التي ادخرناها .

هذا هو جبران اللبناني في نظر المنزهين ، وقلما نرى كاتباً تعصب لجنسه وعرقه ولغته كجبران ، فاذا فتشنا عن الالوان المحلية المستمدة من المحيط اللبناني وجدناها صارخة في ما كتب جبران بالعربية والانكليزية . استمد الشاعر هذه الالوان الزاهية في انشائه من سماء وارض بلاده . ففي التعابير الجبرانية بياض الثلوج وخضرة المروج واصفرار البيادر ، وانين المعاصر ، وشقشقة العواصف ، وشموخ الجبال ، وحزم الارز ، ونواح الهاوية ، وزمجرة الاودية ، وثرثرة الينابيع ، وعربدة الانهار ، وهلهلة الضباب .

استمد هذه الالوان واللدونة والمرونة والنعومة من اجواء لبنان ، فاشتعلت حافات عبارته ، وارسلت نورا ونارا وموسيقى. ان تمسك جبران بشرقيته حمله على المحافظة على قوميته ، فوقف كل ثروته على بلدته . ووعده هذا وذاك بشيء من ماله ، ان صحت الرواية ، يذكرني بالشوري احد بخلاء الجاحظ الذي كان يقول عند الاشهاد (قد علمتم انه لا وارث لي ، فاذا مت فهذا المال لفلان .) فعلل الكثيرين بالامال ، وورث واحدا لا غير .

ان جبران لفي غنى عن الانتساب الى قومية جديدة فهو وحدة قومية . وحرصه على قوميته حمله على ان ينفخ روحا جديدة في لساننا العربي المبين فقال في ذلك:

يكتب بعضنا لمن ماتوا ولا يدري ان قراءه في المقابر ، ويكتب بعضنا لارضاء معاصريه حاسبا ان في ذلك العظمة والخلود فيخطيء المرمى . ويكتب بعضنا لانه ان لم يكتب يمت . وهذا من الخالدين .

والذي عندي هو ان من يغالي في المحافظة على القديم بحذافيره يكون كمن يحنط جميع افراد اسرته ويبقيها في بيته ، فاي رعب يحدث له . فلنكلف انفسناعناء الخلق ، فالحياة انما تجدد نفسها بموالدها ، ولا نخف الام المخاض واخطار الولادة فهذه من لوازم الحياة .

يظن بعضهم ان ليس جبران الاكاتب خيالي ، وقد ضل من ظن ذلك. فجبران غرض ابعد جدا من هذا يلبسه ثياباً محاكة على نول حديث ومفصلة طرازا جديداً .

انني لا اسمع حين اقرأ جبران في جميع اطواره الا صوتا عاما يغني على نايه لجميع النفوس ، صوتا يغني لجمال الليل واخطاره ، ونشوة الصباح البكر ، يرثي الامنيات بنشيدته المحزنة فتصبح صلاة الاطفال عند يقظتهم في الليل . انه ينشد اروع شعره المحزن لتذكاراته القوية التي لا تموت ، فيحس بتساقط اوراق الخريف موسيقى الابدية . وهكذا يريك خطوات الموت واحدةاثر واحدة، فاذا شئت ان تحس وطنك وتشم ارض بلادك ايها اللبناني فاقرأ جبران، واشكر للعناية هذه الهبة ، فقد اعطتك اديباً عالمياً خالداً .

لا تنس ايها اللبناني من لم ينس لبنان حين رأى الدولارات تفد الى صندوقه فجمعها ليتركها مع اثاره حيث نشأ وحيث يرقد الان جثمانه . لا تبال بما يقال ، فالذين يحولون الوجوه عنه لن يظفروا بشيء الا الاسف واللوعة . اسمع الان صوت جبرانك اللبناني فتعلم ان في الادب الرفيع نفحة من النبوة . قال جبران منذ عشرات السنين :

« لكم لبنانكم ولي لبناني . لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله . لكم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والمنازع . ولي لبناني بما فيه من

الاحلام والاماني .

لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الايام ، اما لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء .

لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي ، اما لبناني فاودية هادئة سحرية تتموج في جنباتها رنات الاجراس واغاني السواقي.

لبنانكم صراع بين رجل جاء من المغرب ورجل جاء من الجنوب . اما لبناني فصلاة جنحة ترفرف صباحاً عندما يقود الرعاة قطعانهم الى المروج ، وتتصاعد مساء عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم .

لبنانكم مرافيء وبريد وتجارة ، اما لبناني ففكرة بعيدة، وعاطفة مشتعلة ، وكلمة علوية تهمسها الارض في اذن الفضاء .

لبنانكم موظفون وعمال ومديرون ، اما لبناني فتأهب الشباب وعزم الكهولة وحكمة الشيخوخة .

لبنانكم وفود ولجان ، اما لبناني فمجالس حول المواقد في ليال تغمرها هيبة العواصف ويجلالها طهر الثلوج .

لبنانكم طوائف واحزاب وخطب ومحاضرات ومناقشات ، اما لبناني فتغريد الشحاريز ، وحفيف اغصان الحور والسنديان ، ورجع صدى الغابات في المغاور والكهوف .

لبنانكم شرائع وبنود على اوراق ، وعقود وعهود في دفاتر ، اما لبناني فمعطرة في اسرار الحياة وهي لا تعلم انها تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذيال الغيب ويظن نفسه في منام .

لبنانكم ، شيخ قابض على لحيته ، قاطب ما بين عينيه ، ولا يفكر الا بذاته . اما لبناني ففتى ينتصب كالبرج ، ويبتسم كالصباح ، ويشعر بسواه شعوره بنفسه .

لكم لبنانكم وابناؤه ، ولي لبناني وابناؤه .

فالابناء لبنانكم هم الذين ولدت ارواحهم في مستشفيات الغربيين ، واستيقظت

عقولهم في حضن طامع يمثل دور اريحي .

اما ابناء لبناني فهم الفلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق وبساتين . هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد الى واد ، فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء ، وصوفها رداء .

هم الاباء الذين يربون التوت والامهات اللواتي يغزلن الحرير . هم البنّاؤون والفخارون والحائكون وصانعو الاجراس والنواقيس ، وهم الشعراء الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة ، وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزجل.

هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزم في سواعدهم ، ويعودون اليه وخيرات الارض في اكفهم ، واكاليل الغار على رؤوسهم .

هم الذين يولدون في الاكواخ ويموتون في قصور العلم . هؤلاء هم ابناء لبنان . هؤلاء هم السرج التي لا تطفئها الارياح والملح الذي لا تفسده الدهور . هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال .»

لكم لبنانكم ولي لبناني هذا ما يقوله جبران اما انا فاقول لروحه في ذكراه السابعة عشرة : لقد تحقق الكثير مما تمنيت وحسب لبنان انه له جبران .

في مدينة جبران

ما هذه اول مرة ازور فيها بشري عاصمة مقدمي المردة يوم كان لبنان مهـــابا ، عرفتها سنة ١٩١٢ ، ونمت تحت ارز لبنان الراكب على كتفها ، تنظره من الحدث والديمان فتخاله زهرة ناضرة شكها الزمن في عروة لبنان .

مررت بها في ذلك الحين بعدما زرت شيخ الجبل البطرك الياس الحويـك ، بت عنده ليلتين احلى واقصر من ليل عمر ... كانت نكاته ونوادره الوجيزة تنعش حضرته ، واذا احتشمنا تحكك بنا لنقول ، وبأبى الا التبسط فنفعل ، متذكرين قول الفرزدق في زين العابدين :

يغضى حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حـــين يبتسم

ودرى غبطته انني زائر الارز غدا فضحك ضحكة خرساء ، ولكنه خبأ النادرة لساعتها . وجئته في الصباح مودعاً فقال : واين مكاريك !!

وجاء المكاري فاذا هو من بطانة الذيل البطريركي ، والبغلة بغلة الكرسي فقال له: توقّ صاحبك ، اصحَه ، الطريق عكشه .

واخذت يده فوضع يسراه على كتفي وقال : زر قصحيا بدربك . فقلت : زرته وما انتفعت .

فضحك وقال : لان شيطانك كبير .. مع السلامه .

وبت بالارز ، وكلفني نفس الاركيلة ثلاث بشالك ـــ اجرة رسول الى بشري ـــ وتعشيت كبة نية ، ونمت في خيمة نصبها الشيخ نسيم حنا ظاهر لزوار الارز . وفي

الغد اجتزت بشري فرايتها بيوتاً متراكمة . اوسع طرقاتها اقل من باع ، واكثرها ازقة بالكد يسلكها شاب ضخم مثلي .

وزرت بشري بعد الحرب الكبرى مرات فاذا هي هي ، بيوت ملزوزة كخلايا النحل ، وقرايا النمل فقلت في نفسي : يا ضياع الماء والهواء في هذا البلد . هيهات ان تظفر بشري بصيف واحد .

وزرتها امس فانكرتها . الشوارع مفتوحة كذراعي يسوع حين قال : تعالوا الي ايها المتعبون والثقيلو الاحمال وانا اريحكم. والسبل منفرجة كيدي ام تستقبل وحيدا حديث الكرج والدبدبة . وساحات فسيحة كصدور اهلها الكرام ،واقنيـــة حديثة تجيش فيها المياه جيشان النخوة في صدور ابناء بنت الارز وبكلمة تغني عـن الف : آمنت بفورونوف ورجوع الشيخ الى صباه بعدما رايت بشري تبرجت بعد حياء وخفر.

فمن ابرز هذه العروس وجلاها ؟ انه جبران . هذا اول اديب عربي اثرى مـن القلم ،عفوا ، من الريشة . ولست اعني ريشة التصوير بل تلك التي كتبت المجنـون ، والسابق ويسوع ابن الانسان ، والهة الارض ، وحديقة النبي ، ورمل وزبد .

وصى جبران بهذه الثروة الطائلة لمدينة بشري ، وحرم منها اخته واهله جميعاً حتى صديقه الوفي مخايل نعيمه الذي لم يصح حلمه كما قال في كتابه جبران خليل جبران .

اما القائمون بهذا العمل فلجنة جبران الوطنية ، يرأسها شاب ناهض وفيّ هو السيد سليم رحمه ، ومن اعضائها الذين اجتمعت بهم ، وكلهم ذو همة كرئيسها : الشيـخ القاضي طنوس جمجم ، والخوري طانيوس جمجم ، والشيخ مجيد حنا ضاهر رئيس البلدية ، وشابان ناهضان من اسرتي الفخري وسكر ، وامـــين صندوق اللجنة السيد منصور حبيب لدوس .

اما امين الصندوق فشيخ يطل على السبعين ولكنه نشيط حريص على المال ككل خازن وقيّم يؤلمه انفاق فرنك ، على رخصه ، اذا لم يكن طبقا لنية جبران ، هـذا الشيخ لم يعقب وقد جمع مالا كثيرا انفقه على البر والاحسان ،وهما في عرفه محصوران ببشري ، كما حصر جبران ثروته بها .

بشري نائمة في حضن الجبل تغني لها الجداول ويهدهدها الهواء، ويمر نهر قاديشا تحت اقدامها فهي ابداً في حمام بارد . ينتصب فيها الحور كالعمالقة بين اقزام الاشجار المثمرة ، فلولا البيوت لخلتها غوطة ، ولولا الاجراس التي تقرع دائماً للصلاة ، وخصوصاً جرس الاباء الكرمليين لحسبت انك في خلوة . لا صراخ ولا عياط في بشري ، تمر بقهواتها كانك مار بغرفة قراءة ، وان لم تر كتباً او جرائد .

تحيط بها الجبال من الجهات الاربع وكيف التفت ترى شماريخ منتصبة كأنها التماثيل والقباب ، ومن الشرق يتدلى الشلال فتخاله سلسلة فضية في عنق (الجبّة) الحسناء ، وترى انابيب كهرباء قاديشا كانها الحية التي خدعت امنا حواء ، هذا اذا كانت سوداء ، فكل لاهوتي يكسوها لونا من مخيلته ، اما الماء فمثلوج ابداً ، وهو مرىء هدام لما تبنيه المطابخ .

وصلت بشري عصر الاثنين ١٢ الجاري ، وقرب الغروب زرت جبران في بيته الموحش ، في دير مار سركيس المخبأ في عب غابة تجري من تحتها الانهار كأنها الفردوس المحكي عنه . يذكرنا هذا الدير بالآية القائلة : وينحتون من الجبال بيوتا. وهذا شأن سكان لبنان القدماء وخصوصاً النساك والجبساء . الدير رهيب لا جميل ، كان ملعباً لجبران في صباه فاخذ عنه اشباح الليل ومواكب النهار . تحيد عن السكة وتمشي في لحف الجبل قليلا فتبلغ الكنيسة ، وهي خارج سور الدير كعادة رهبان لبنان في ديورتهم ، فالنساء لا يدخلنها ابداً . تلج الكنيسة ، وهي كهف غائر في صدر الجبل فيواجهك تابوت جبران المسطح في مغارة كأنها حنية كنيسة مارونية ، شرقية لا غربية ، مزينة برفرف من متحجرات مغارة قديشا التي اكتشفها الخوري الناهض طانيوس جمجع ، ومرتبة التابوت مفروشة بخشب زيتون عتيق كأنه مأخوذ من البستان الذي صلى فيه يسوع ، حبيب جبران .

كتب بول بورجه يوم زار بيت غوته شاعر الالمان مقالا جاء فيه : ان صورة الاشياء التي يعيش بينها كاتب عظيم تتحد باثاره لتكملها وتوضحها . ان هذا ما شعرت به ثلاث مرات : الاولى في اورشليم والجليل ، والثانية في المعرة ، والثالثة في بشري .

نمت تلك الليلة متأثراً واصبحت ناسيا فزرت صديقي الاستاذ خليل صادق ، ثم

اجتمعنا برئيس لجنة جبران المنصرف الى تكميل فندق جميل احدثه في قلب بشري . وطوفت في بشري يرافقني امين صندوق اللجنة السيد لدوس ، فاراني اعمال لجنة جبران التي انفقت في هذا العام على ترميم بشري نحو عشرة الاف ليرة فحمدت المسعى .

وبلغنا بيت جبران حيث تمت رواية وع وع وع ، التي اتحفنا بها مخائيل نعيمه ، فاجفلت كمن راى افعى . انه اشبه بمزرب حمير ، لا سقف له ولا جدران . وادرك ذلك مرافقي الامين فانبأني بالمشروع الخطير الذي سيتم في العام القادم ، وقد وافق عليه غبطة البطريرك انطون ، وهو هدم كنيسة مار سابا التي يعاد بنيانها على حافة الجبل .

يرى البشراويون جبران غير ما نراه نحن الادباء ، يرون فيه مسيحياً مخلصاً حتى للاطقسيات ، ولذلك يقدّسون لراحة نفسه كل احد على مذبح مار سركيس ، اما الترحم عليه فلا ينقطع .

وانتقلنا من بيت جبران الى متحفه فمررنا على ساحة جديدة في وسطها ينبوع يتدفق من اشداق الاسود ولا عجب ان اوحي اليهم هذا المشهد فهم اسود تلك الغابة.

استقبلنا محافظ المتحف الشجاع وعرفنا فرحب بنا ترحيبا (شوفيا) ينم عن وفاء ورحابة صدر ينسيان الضيف وحشته ، وما اكتفى الرجل بالترحيب بنا حتى رحب اكثر من مرة بالسيارة التي حملتنا الى بشري . واخذنا تواً الى غرفة جبران فراينا تخته البسيط وعليه فراش ذكرني بالفراش الذي للاب اغناطيوس التنوري ، منتثرة فوقه وسائد ومخدات ، والصليب معلق فوق راسه ، وفي الناحية الاخرى شماعدين دهرية اظنها عمل بيت شباب ، فخلت انني في ماروحانا عين كفاع . وهناك ايضاً شماعدين ذات سبعة انوار ،وجبران ولع بهذا العدد. وتحت الرف القائمة عليه الشماعدين مطبخ جبران الزاهد ، من المقلي الى القصعة والملعقة الخشبية . وقد مدت في ارض الغرفة صورة جبران التي اهداها ميشال العبد الى بشري ، وهي من بلاط صيني كالتي في بكركي تمثل البطريرك عريضه بتاجه وصولجانه وبرفيره . وضعت هذه الصورة هناك موقتا وستنقل الى بيت جبران مع متحفه .

ومضينا الى قاعة ثانية فاذا هناك ايضا اشيا، جبران الكثيرة، منها عصاه التي رفعه مرة كما اخبرنا الاستاذ نعيمه في رده على الريحاني. وفيها ساعات جبران وكلها عادية، واقلام وتحف وطرف وتماثيل صغيرة بينها صورة ماري هسكل وكل عدة مصنع جبران التصويري. وخرجنا الى الدار نطوف على الصور المعلقة على جدرانه واكثرها رمزية توحي حيرة وخشوعاً وعجباً. ذكرني متحف جبران بقول نشيد الانشاد: هوذا سرير سليمان حوله ستون جبارا ... كبرج داود المبني للسلاح علق فيه الف مجن. وفي الدار مكتبة جبران اكثرها انكليزية، اما كتبها العربية فالاغاني، وبعض كتب نحو وبيان، وكتب عديدة مهداة اليه.

فتشتها فلفت نظري رواية مخايل نعيمه (الاباء والبنون) التي يقول في اهدائها الى جبران انها اول اثاره يهديها الى عزيزه جبران وهو ذاهب الى الحرب، وقد تكون الاخيرة. الحمد لله انها لم تكن الاخيرة ولو كانت لخسر الادب العربي كثيراً.

واستوقفني اكثر من كتاب للانسة مي، شفاها الله، قدمته لجبران بهذه العبارة الى «النبي» مع الرعب. وهناك كتاب اخر منها نسيت عبارة اهدائه.

واخذت اتأمل الصور المجموعة في جلود من الكرتون وكلها بالقلم الرصاصي، فعثرت بينها على واحدة مقدمة لميشلين سنة ١٩٠٨ وهي صورة جبران الشاب بقلمه. وفي المتحف صورتان كبيرة وصغيرة عليهما مخايل القدم لم افهم سرهما ولكني متكل على الصديق الفنان الشيخ قيصر الجميل الذي سيدرس متحف جبران بدعوة من اللجنة.

وخرجنا من المتحف مشيعين بنظرات محافظه الباسل السيد حنا مارون الذي ينام على مسدس كاد يذهب ضحيته ليلة لولا لطف الله به وبعائلته.

وعدت الى الفندق اتمتع بلطف واينا صاحبه بربر بك الضاهر، وقبل الغروب جاءني السيد لدوس لنذهب الى اجتماع لجنة جبران، فاستوقفنا كثيرون وكثيرات ممن انعشتهم نهضة لجنة جبران في هذه السنة الضيقة. وفي النادي تعرفنا بوجوه بشري اعضاء اللجنة، وبحثنا شؤونا تتعلق بجبراننا الخالد لو كانت وافقت اللجنة لانتعش الادب العربي كما اراد جبران وفعل. وسرنا خطوة ثابتة الى الامام، والكحل خير من العمى.

لا تتعجب ان قلت لك كنا نخال جبران معنا فصورته، بربشة الجميل، في صدر القاعة التي اجتمعنا بهـــا . ان جبران اول اديب عربي له متحف اثار وبيت يزار ومدفن فخم، وسيكون له اشياء غير هذه وهو يستحق . وعلى ذكر يستحق اخبرك انه استحق شكر لبنان، بعد الموت ــ من الدرجة الثانية ــ والبراءة معلقة على جدار متحفه .

ان جبران في تآليفه العربية لبناني محض بل اقليمي حتى في سماء بعض ابطال قصصه واماكنها، ولا بد للراغب في فهم جبران فهما تامـــا من زيارة ودرس الاقليم الذي نشأ فيه اذ يلمحه في كل مقال كتبه . جبران في هذه الكتب العربية من اعظم مفاخر لبنان الادبية، اما في كتبه الانكليزية فانساني شامل وهو فيها مفخرة الشرق كله . حمل الى العالم عطر الشرق وبخوره وانوار شموعه ...

هرب جبران من ظل الاكليروس ووقف بعين الشمس، ولكنه اليوم ينام بينهم. فهم الذين يصلون عليه كل احد كما قلت لك . ثابت عندي ان الذين كرههم جبران من رجال الدين هم غير كهنة بشري الودعاء النقية قلوبهم. فكهنة بشري، كما رأيت، ديمقراطيون لا يعرفون ارستقراطية الاكليروس، ولا يرون لانفسهم سيادة الا تحت القبة وجناح الهيكل .

في بشري نحو ثلاثين كاهناً ! لا تتعجب، فانا اذكر انه كان في عين كفاع تسعة خوارنة، وعين كفاع اربعون بيتاً، كلهم من طراز : الكبير فيكم فليكن لكم خادماً.

واخيراً لا تتعجب من صوفية جبران، فموقع بشري مدرســـة يعلم الصوفية بلا استاذ، فحيا الله بشري واهلها، وحيا جنتها الجبرانية العاملة بلا ملل، ووفقها الى احياء ذكراه وان كان في غنى عني وعنها وعن منهاج البكالوريا .

حاشية : ضيعت عصاي في طرابلس، وعلامتها الفارقة ان كنيتي واسمي مكتوبان عليها، وعليها رموز ورسوم، فهل يردها لي من يجدها، وله حلوان يعادل ثمنها، اللهم لا تتركني بلا عصا اتوكأ عليها .

صح : عادت العصا كما اعاد الحاج الى جدي الخوري كيسه الذي نسيه في دكانه، وظن انه ضيّعه .

من اجل الادب

الى الرئيس اده ـ مجمع جبران وجائزته .

سيدي الرئيس

اذاعت الصحف انذاراً يمنع رعيتك التلمية ان تذكرك ، فهل يمنعنا هذا ان نتذكرك ونذكّرك ؟

اننا نباهي بثقافتك العميقة الواسعة ، ونعلم انك حفيد شاعر لبناني جرىء[1] كان قذى في عين الجزّار وقد أرخ وفاته ذلك التأريخ الرائع .

ولا نزال نذكر بالفخر موقفك النبيل عبر البحر المتوسط، غير ناسين انك باهيت بثقافة هذا البحر . الحق معك يا سيدي ، اترى دول اوربا العظمى تحوم حول هذا الحوض تدعيه ، وتنسى انت ايامنا الغر على شاطئيه الشرقي والغربي ؟ الا تذود عن حوضنا ولو بالكلام !

اراني فهمت كلمتك الشهيرة على غير الوجه الذي فهمه بعضنا . ادركت انك تقول للغرب : ولئن كنا اليوم امة صغيرة نحضر هذا المعرض بتواضع عميق ، فلا تنسوا اننا كنا السابقين في هذا الميدان ، فاستعمرنا الدنيا وعمرناها ، كنا معرضاً جوالا فتنت العالم محصولاته وكسا ملوك الشرق والغرب برفيرا وارجوانا .

نعلم وتعلم انك قلت لاوربا : لئن فاتنا الغاز الخانق ، ولم يكن لنا طائرات

---

١ ـ الشيخ الياس اده المتوفي ١٨٢٧

ومدرعات وغواصات فما فاتتنا الثقافة ، ولم ينتصنا الاختراع ، نصيرنا البحر طرة معبدة فذل لنا وخضع.

ما وجدت مجالا للفخر بالسلاح المدمر فطاولت بنبوغ امتك الذي عجز الدهر عن طمسه بعد الوف السنين ، وكيف لا تطاول بهؤلاء النوابغ وانت واحد منهم ان شاء الله .

فكرت بهذا يا سيدي ورجعت لنفسي في الخلاء الومها ! لقد افلست يا نفسي ، اما سفهك قومك بافراد وجماعات ، فلا غني فتح كيسه ولا جماعة اهتزت لما دعوت اليه ، وبعد الف جهد ظفرت بمئة ليرة ورقا ، جائزة لاحفاد اولئك الذين افتخر بهم فخامة الرئيس في باريز فلماذا لا تقرعين بابه ؟؟

اتفتح لنا يا سيد ؟ انت تعلم انه ليس في مكنتنا بنيان دولة عظمى كبريطانيا ، مثلا ، ولكنه في اليد انشاء دولة ادبية تمتد حدودها الى حيث تشاء تحومها كما تروم ، فقل كلمتك وهات يدك .

تذكر جيداً كلمة بطرس ليسوع : يا سيد قد تعبنا الليل كله ولم نصطد شيئا ، ولكننا لاجل كلمتك نلقي الشبكة . اتقول هذه الكلمة لاطرح الصوت فيأتي الناس ويعينوني على اخراج شبكتي من بحرك الطامي...

اتكون الفقيه المثقف ويشقى في عهدك الادباء ! انا اشقى الجمهورية اللبنانية ادباؤها وهم الذين يبنون مجدها الخالد مسخرين غير مأجورين . لست اطمع من فخامتك بشيء ، فعندي من خير الله وخيرك خبز وكسوة ، ولكني اسألك العون على هذا الادب ، فخيرتنا الباقية وسلاحنا الفرد . فالادباء ايتام في مأدبة الجمهورية .. لا يذكرهم احد بكسرة يسندون بها قلبهم . فما يمنع ان تكون لهم (جائزة اده) يتسابقون الى نيلها واحدا اثر واحد ، وتشحذ العقول وينبه بين امم الارض ذكر الجمهورية التي احبتها .

قلت لك ــ عفواً اذا تركت اليم ــ انني لا اتمنى شيئاً غير هذا . فوالله وبالله وتالله (بكسر الهاء) بل لا اتمنى الحياة الا للعمل الدائم في بنيان هذه الدولة التي نحن بها مستهزئون ...

اننا نرى في انفسنا قوة ولكننا ، ويا للاسف ، عن اظهارها عاجزون . ما نفـــع

(الاستحقاق اللبناني) يعلق على النوابيت ، وهل تروق دفينا جودة الكفن ؟ اذا استعرضنا التواريخ تخبرنا ان الادب لا يعيش الا في ظل دولة ، فابسط عليه ظلك ، ورفه عن رجاله تسمع الاناشيد الخالده . اننا نريحك من الانغام السمجة ... ونسمعك ما ترتاح اليه نفسك . خذنا حصتك وانت الرابح .

جعلت في الربيع الفائت جائزة ضخمة للخيول الاصيلة ، فجرب اجعلها العام القادم للبشر ، لهؤلاء الذين يصاولون بايديهم وارجلهم ليخلقوا اللون اللبناني الذي لا يحققه لك غيرهم ، لهؤلاء الذين يجرون كل يوم شوطاً وعليقهم غير مضمون في المساء .

ضع لنا هذه الجائزة ، وخطيئتك في رقبتي ان ندمت ، انك سترى كل مهر وقارح يجري في هذا الميدان الخالد ، سترى بينهم الف عبدو [٢] . وبهذا تبني دولة ثابتة لا يغزوها فاتح ولا تؤخذ عنوة ، ولا ينتدب عليها يوماً من الايام ... وان صح زعمي فها مفرق طريق الاستقلال التي شققتها لنا ، ولا شك ان التاريخ سيقدر جهادك ، ويذكر البطل الاعزل المظفر في انصع صفحاته بياضا . وللتاريخ يحيا الرجال وهو جنتهم التي يخلدون فيها .

*

اما الان فلنؤد الحساب لاخواننا الادباء. ان سعينا المستمر لم يذهب سدى ، ولم تعد يدنا فارغة ، فلجنة جبران الوطنية ما خاست بعهدها ، وان نفرح الان فبالنواة التي نسوسها لتمسي دوحة اذا انعشها الهواء وواتاها الماء والغذاء . وهذه قطعة من رسالة رئيس لجنة جبران توضح ما نقول .

« قياماً بما قطعناه من العهد امامكم بجعل جائزة ادبية لجبران عقدت جلسة خصوصية للبحث بهذا الموضوع ، فعلقت اللجنة النتيجة على استشارة رئيسها الفخري غبطة البطريرك عريضه . وفي موعد اخر تقرر ان تكون الجائزة مائة ليرة لبنانية تدفع للفائز نقداً ، وارصد ستمائة ليرة اخرى لنفقات مجمع جبران الادبي ، فتكون الجائزة بظاهرها مائتين . ولم نتوفق الى اكثر .

---

٢ — عبدو اسم الحصان الذي ربح جائزة فخامة الرئيس وقدرها الف ليرة .

وان شاء الله تعلمنا التجربة الاولى وتفهمنا نتائجها وفوائدها فنجعل الجائزة التالية اضعافاً . وقد اتخذ قرار يعهد اليكم بتأليف مجمع جبران من خيار ادبائنا بنظام رسمي معترف به ، وتعطى النتيجة ــ الحكم بالجائزة ــ في بشري خلال حفلات ذكرى رجوع جبران الى بلدته كما اقترحتم في الاجتماع .

سليم رحمه
رئيس لجنة جبران الوطنية

يقول المثل العربي اول الغيث قطر ، ويقول المثل اللبناني : مص القصب عقدة عقدة ، وطلوع السلم درجة درجة . اما المجمع فنحن ساعون الى تأليفه ووضع قانونه ، اما عدد اعضاءه فسبعة ؛ ينضم اليهم عند الحكم رئيس لجنة جبران وعضو اخر تنتخبه اللجنة . اما جائزة جبران لعام ١٩٣٨ فستكون للقصة الطويلة يحكم بها المجمع في بشري وفقاً للشروط التي تذاع قريبا مع اسماء الاعضاء ليبعث اليهم الادباء بقصصهم .

انا نثني اطيب الثناء على لجنة جبران الوطنية فلعملها هذا تتهلل روح جبران ، وهو عندي اقرب اعمالها الى نية الواهب كل ما يملك لبلدته . فجبران سعى جهده في حياته بل وقفها كلها على هذه الفكرة فانشأ الرابطة القلمية التي مرضت بمرضه وماتت بموته . فعسى ان يكون هذا المجمع الجديد من ابناء الحياة فتفرح به روح جبران فرح الجد بحفيده . وعسى ان نبشر الادباء بجائزة الرئيس اده التي ستكون سنية ان شاء الله .

حاشية ــ اذا متع الله هذا الادب اليتيم بجائزة اده فلتكن محرمة علي منذالان ما عاشت وعشت ، وكذلك جائزة جبران التي تحققت . اقول هذا دفعاً لسوء الظن . رب يسر ولا تعسر .

عاليه

اخي الشيخ فؤاد حبيش

قرأت كلمتك الان عن مجمع جبران وجائزته ، ورأيتك (تود) ــ وودك في محله ــ ان يكون للشعراء والمصورين نصيب من جائزة جبران .

سيكون ذلك يا شيخ ، فالجائزة القادمة عام ١٩٣٨ للقصة الطويلة ، وجائزة ١٩٣٩ للشعر ، وجائزة ١٩٤٠ للتصوير . هذا اذا بقيت الجائزة قزمة ولم تكبر ، اما اذا نمت افنجعلها للفنون الثلاثة في كل عام . صل معي للقديسة تيريز من كل قلبك ..

شكرت لك ثناءك عليّ ، وتقنفشت ، ثم اقعنسَسَت . لا تتعجب يا فؤاد فالشاعر صادق .

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الانسان

ساعدونا يا اخي ، طوفوا معنا حول الصناديق وانفخوا في الابواق فلعلها تسقط مامنا كما سقطت اسوار اريحا عند اقدام البطل يشوع بن نون عدونا الالد ..

ليس فينا من يستطيع ان يحدق الى الشمس دقيقة ، انما نحن ابناء الليل تطربنا موسيقى الزوابع وترجفنا الصواعق ولا تخيفنا ، اننا نرقب وجه الصباح لننام في الضحى كصاحبة امرىء القيس رحمها الله .

اليوم قرعت باب رئيس الجمهورية ، كما قرأت او تقرأ في صوت الاحرار . اتقول انه يصرفني ؟ لا تنس يا فؤاد ان مارون لا ينصرف ، والرئيس غير شاعر . عفـــوا الرئيس شاعر اعمال ، والصرف وعدمه بضاعة كلام . فسترى ان رجائي لن يخيب وقد رفعت اليه الان كتاباً خاصاً ، احسن الله الجواب والمآب .

اصافحك مشتاقا الى احماضك الحبيشية التي تغني عن (معكرونكم) ، فاسأل الستار ان يكشف عني هذه الكربة ، وينبت المرعى فلا تبقى حزازات النفوس كما هي ...

اخوكم مارون

ولبراءة الذمة اقول للقاريء الكريم انه لم يتحقق شيء من امالي.

خطبة بشري

جئت وفي نيتي الا اتكلم ، ولكنني فعلت اذ بلغني ، والعهدة على المخبرين ، انكم سيدات وسادات ، مشتاقون جداً الى طلعتي البهيـــة .. اشكركم جداً ، فقد جبرتم خاطري المكسور ، وفهمتموني ان الله لا يبلو حتى يعين ، فهو ان تكرم علي ببطن كافوري يتقدمني بلا حياء الى كل محضر ، فقد رزقني من يقبلني على علاتي .

سيداتي وسادتي

لست اليوم خطيباً ، ولكنني محتش ، اعلق على الهوامش ، وبكلمة ابرع : رجل يقطع من كل واد عصا ، فانعتوه ما شئتم .

جئنا لتعظيم جبران ولا بد لكل زعيم في الدنيا والدين من ناس تؤيده ، فحاكم لا تشد ظهره رعية لا يهابه الناس وامره يكون رخواً ، وقديس لا يطلب شفاعته احد ولا تقرع له صدور العجائز يعيش بلا شأن في عالم الايمان . فالقديس برلام ، مثلا ، زبائنه قلائل جداً ، ولا يعرف احد باب بيته مع انه اختصاصي بحب الصبا والنمش .. وله رأي مفيد يشفي من المغص .. وان قلتم من اين جئت بهذا القديس الذي لم يسمع به حتى الخوارنة العتاق منا ، اقول لكم راجعوا السنكسار فاسمه مدرج فيه كبقية الاباء القديسين .

اذن لا بد من تعظيم جبران ، وتمجيد اورفليس مدينـــة المصطفى . فهنا اروع اودية الدنيا ، كان وادي الحبساء والقديسين ، وصار اليوم وادي النوابغ وابطـــال الدنيا والدين .

يقولون ان الله موجود في كل مكان ، وفي ملتي واعتقادي انه ، لاسمه السجود ،

يقضي اغلب اوقاته في الجبّة ، فجبة بشري جبة الله ، والله في الجبة كما قال الحلاّج المتصوف المتهوس .. فلا عجب ان يصيّف سبحانه وتعالى بين الارز والديمان فهذا الماء يطول العمر ، وهذا الهواء يصفي الارواح وينقي الابدان .

واذا كانت السماء يا اخي عمر فاخوري ، جبات تجري من تحتها الانهار كما وصفها الله في كتابه العزيز ،فهي،علم الله ،هنا ، او هنا ملحق لها كما هي الحال في لوكندات المصايف . وكاني بالجبة من الحدث الى اهدن قد خلقها الله مقراً لعباده الصالحين الذين يصابون بالضغط العالي وتصلب الشرايين ولا يستطيعون الاقامة عنده في اعلى عليين .

واذا كان في بيت ابي يسوع منازل كثيرة، كما حدثنا انجيله الطاهر عن مساحة السماء ، فهنا احد هذه الامكنة . اجعل اللهم نصيبي من جنتك في بقعة خيّرة كهذه ، وما يضرك لو تخلدني بشحمي ولحمي فالاقيك في السحب مع الجدين الجليلين : ايليا واخنوخ . وان لم تعد ، كما وعدت ، فخير وبركة ، فالاقامة هنا لا بأس بها .

سامحوني ان تفلسفت اليوم قليلا فقد فعلت دفعاً لتوهم الناس انني مع هذه الشيبة الطاهرة لا اعرف اتفلسف . الخير فضلتي يا جماعة ، وانا كالمتفلسفين من معاصري ، والفرق بيننا ، انهم يتفلسفون (رسمياً) وبكشرة تقطع الرزق ، وانا اتفلسف ضاحكا ومضحكا . تلبس فلسفتي ، غصباً عن رقبتي ، ثوب المرافع القليل الحشمة ، وما حيلتي فيها ؟ انها تحب الرقص ، فاعذروها اذا لم تترصن ..

هنيئاً لبشري ارزها الخالد ، وبطركها الشيخ الفتى ، ووديها الرهيب ،وجبرانها العبقري ، ومغارتها العجيبة ، كاتدرائية الله — لا تنسوا انه يصيّف هنا — ما اعظم حظ بشري ! اعطاها الله وكثّر ، وهي تستاهل .

واذا ذكرنا مغارة قاديشا تمثل لنا الخوري طانيوس جعجع كولومب الجبة ، او القائد المتنكر بثوب خوري ، كما سمّاه الجنرال غورو . فعسى ان تشمله الحكومة الكريمة بنظرة ، فابتسامة ، فسلام ، فكلام تأويله استحقاق شكر لبنان .

في لبنان اعياد صيفية اكثر من اعياد الطائفة المارونية ، فعيد كبير للشجرة التي نتمنى ان تثمر طحيناً وبرغلاً ، وعيد ازهار نتمنى ان تضفر اكليل حمد لحكومتنا الساهرة ... وفيه محاضرات في عواصم الاصطياف احدثها وزير التربيـــة والاقتصاد

الوطنيين فشكراً لما يبذل معاليه من جهود جبارة في سبيل الانعاش .. اخذ الله بيده.

اف ! لعنة الله على الشيطان ، نسيت اعياد ملكات الجمال . ليتهم يجعلون جائزة للجمال المعتدل ، ولو مرة ، فأريحها واستريح قليلاً ، فلا راحة لي مادامت غلة الادب: سلم بوزك .

اذن لا عيد ادبي في الصيف الذي يضيع اللبن ، الا عيد جبران ، نبي لبنان. لست اريد النبي بمعناه الديني فالانبياء قد ختموا، ولكن عنيت جبران النبي باسلوبه وتفكيره وخياله، ان جبران وسام رفيع، لا كالاوسمة ، علقه الدهر ابو العجائب، على صدر لبنان، مصدر البرفير والارجوان .

واليوم يحدثكم عنه اديبان خطيران يفهمان سر الادب ، ولا شك ان حبيبنا جبران سيغتبط جداً اذ يسمع ما يقال فيه من الاستاذين عمر فاخوري وخليل تقي الدين. ولما سيكتبه الحيشي غداً في (مكشوفه) ساتر عورات الكرام .

فلحفلة هذه السنة معان كثيرة يستنتجها اللبيب ، ففيها المراعاة للمادة ٦ و ٦ مكررة ، ومنها يعلم ان في لبنان كنيسة ادبية جامعة من امرائها جبران وفرح انطون والشدياق ، ودفتر العهاد في دار المكشوف . كثّر الله هذا النسل المبارك ، فبه لا بغيره تمتاز الجمهورية اللبنانية .

ان في لبنان اليوم بنائين جدداً يزيدون على هذا الهيكل قبباً شامخة تسر العيون ، وأجراساً عبّودية تشرح وترعد . فكاتب (الباب المرصود) اديب بكل حواسه ، بل هو الرَصد الذي ينشر امامك ذهبه، ثم يحوله حجارة ان جهلت قيمته، فحذار . فكلما يحققه العقل يخلقه خيال الاديب اولاً .

هلم ايها الاستاذ واركب المنبر في هذا الزمن العصيب ، فمهما يكن شموساً فان ظهره سيلين لك ...

*

قد سجعتم عمر فاسألوا الله ان يقلل من كسله ، وألا يشغله السجل العقاري عن تسجيل قطع ادبية واسعة الاطراف مغلال يملكها ابناؤنا وينعمون بخيراتها .

اما السيد حليم كنعان الذي اقدمه لكم الان فهو كاتب فتيّ جديد يتأهب باخلاص

واجتهاد للمعامع الادبية ، وانني أتوسم فيه خيراً ، وان زججناه اليوم بين الفحول فليتعود ان يسد المكان الذي سدوا ... والآتي قريب.

*

والان جاءت نوبة الاستاذ تقي الدين ، والشيخ خليل من رجال الحكومة كصاحبه عمر افندي . عمر يقيّد صكوك البيع وخليل يراقب تدوين الحكي ، اي ما يقال في مجلس النواب ... ولكن هناك الى جانب هذا الحكي كتاب (عشر قصص) وهي حكايات بلدية طيبة كعرائس المروج والارواح المتمردة ، انما بصورة اخرى . ولو كان خليل اصغر سناً لقلت جبران قد تقمّص . (القضية ثابتة) يا شيخ ، وجبران يؤمن ان امرأة اخرى ستلده ...

اننا ننتظر من خليل تصوير (الخلوة) وما فيها ، كما صوّر جبران الصوامع والديورة ، فأدبنا مفتقر جداً الى تصوير الخبايا والزوايا والتكايا ، وبدون هذا لا يصير عالمياً .

المنبر يدعوك يا شيخ ، فانس ثرثرة مارون فللعمر حق ، وللسن حصة كبيرة ... اسمع جبران صوتك ، فبيته قريب منا ، وان شككت مرة فبطرس شك ثلاث مرات ، وبولس اكل كفاً سخناً على طريق الشام...

لو كنت على رأس الدولة لعزلت خليل تقي الدين ــ لا تخافي يا ست ، مع المعاش وحبة مسك ــ وما فعلت الا لأصرفه الى الادب الخالص ، فيخلق ابطال قصصه واحاديثهم كما يشاء ، لا كما تقتضي الجريدة الرسمية .

*

يظهر ان الحال اقتضت ان يتكلم الاستاذ الشهير فؤاد افرام البستاني ، فأكثركم ان لم أقل كلكم ، يعرف صاحب الروائع ، ومن جهله فستعرفه به محاضراته المتتابعة كقافلة ابن العاص الى ابن الخطاب ... ان كلمته استغاثة ، كما سمّاها لي ، فعسى ألا تكون (من الاعماق) .

*

اما كلمة الختام فلا ترعبكم ، فليس هناك خطيب آخر ، انها كلمة : شكراً ، شرفتم ، قوموا الى المأدبة .

الحداد وجبران

الخوري يوسف الحداد هو ابن عمتي ، وابن ضيعتي ذات الطريق المشهورة ...وهو ايضاً احد شيوخي الذين اخذت عنهم ، وكثيراً ما حاولت ان اظهر عبوديتي لهذا الذي علمني حروفا وامسكت قلمي . خفت ان تتهم حكومتي فيه وان يقرأني (مادح نفسه) سلاما انا مستغن عنه .

ظهرت (النجوى) كتاب ابن عمتي الحي بتفكيره وتعبيره ، فقرأت اقوال المنصفين ولم احرك ساكناً كما يقولون ، وما لهذا الخوري ذنب الا ان اباه منذ مئة سنة اختار عمتي من بين الصبايا .

وعام اول ، او هذا العام — لا اذكر — اذاع معهد الحكمة الخطير اسماء الاساتيذ الذي حرثوا كرمه ونسي الحداد . مع انه ذكر الجميع حتى فاعل الساعة الحادية عشرة ... فعتبت وجاء العذر مقبولا ، فكان العتاب صابون القلوب .

واليوم وقعت عيني على كلمة الاستاذ الياس ابي شبكة مقدراً الاستاذ الكبير منوهاً به بعد ماتناساه كثير ممن احبهم حباً جماً شاركه فيه الكبير والمطرقة والسندان ، عدة الحداد ...

ارى ان عقل الاستاذ ابي شبكة وقلبه قد اشتركا في المقادرة بين الخوري يوسف الحداد ورجال زمانه . عده الاسبق في الطبقة الاولى من ادباء الجيل السابق ، وهذا حق ننفق في سبيل تأييده عن سعة . اما العاطفة ففي قول الاستاذ (ولا اذكر انني هففت الى رجل قطع هذه المرحلة من العمر كما اهف الى الخوري يوسف الحداد) .

لقد صدق الاستاذ فكل من عرف شيخنا الجليل يهفو اليه ، فتحت جبته السوداء

قلب كالذي تمنى داود ان يخلقه الله فيه ، ونفس ذكية لا تحتاج الى الغسل بالثلج . ذهبي الفم على المذبح ، كناري في المجالس ، وهبه الله احدى خصال امه ، بلغه الله عمرها ، فهو يحبو الى الثمانين ولا يزال جديداً كايوان كسرى الذي يقول فيه البحتري :

وكأن اللقاء اول من امس ووشك الفراق اول امس

فشكراً لابي شبكة عن سيدي الرائح الجائي كل مساء بين ساعدي شط جونيه اللازوردي كأنه الرمح دارجا ، مشغولا في جسده عن متاعب القلم (ولكنه — كما وصفه ابو شبكة — ما برح اخضر الذوق ، طري التفكير ، طلي الحديث)

كتبت اليه عام ١٩٣٦ اسأله عما ترك جبران في ذهنه من اثر ، فأجاب غير عابيء بتقطع النبض وأدرجت مكتوبه في ظرف (وثائق جبران) فنام مع النائمين فيه ينتظرون الساعة . ولكن كلمة الاستاذ ابي شبكة ايقظت كتاب ابن العمة في تلميذه جبران ، وهذا رأيه فيه مكتوبا يؤيد الحديث المردي :

ابن الخال الحبيب ،

السلام عليك ، وعلى شق الطريق الى عجوز ابن الخطاب ،

كتبت الي تستفسرني عن جبران ، وهل كان من تلاميذي في مدرسة الحكمة ، ثم تشعرني بتوفيقك الى شق الطريق ...

اما جبران فهاك عنه ما يعلق بذاكرة استاذه ، درس علي جبران سنة واحدة فيها كنت له لسانا وقلبا ، وكان اذنا تعي ما عناها ، وقلباً تابعاً لهوى متبوع ، ونفساً وثابة ، وعقلا متمرداً ، وعيناً هازئة بكل ما تقع عليه ، مقلا من الاخوان ، يزرع حقله في عقله وفي يوسف سعدالله الحويك ، مجتزئا به من بين سائر الرفاق . كثير الانتقاد ، شديد التمسك برأيه ، مفكراً قلما ترتسم الابتسامة على ثغره ، طموحاً تحت مهاز لا رفق معه ، يجدّ ليجد ناظرا ، في افق بعيد .

وفي قص خبر اتصاله بي ما يفتح لدرسه منفذاً يطل عليه ، وكثيراً ما يتاس الخضر على الماذي (والطبخة الطيبة تعرف من العصر) اسمع : في اواخر تشرين اول سنة ... قرع علي باب غرفتي ، وعلى كلمة (تفضل) دخل شاب ربعة ذو وجه حنطي مشرب حمرة ، وعينين ناعستين ما بين اجفان ذابلة كزهرة تطل من اكمامها ، ترسلان نظرات طويلة متشبثة ، وله شعر مرسل يلامس اذنيه .

ـ الاسم الكريم ، وهل اصلح لخدمتك في شيء؟

ـ انا جبران خليل جبران من بشراي ، انهيت دروسي في الانكليزية ، نائل شهادة الفلسفة ، اتيت لبنان لادرس اداب لغة وطني وابدي فيها افكاري ، فكان نصيبي الصف الابتدائي.

ـ ماذا تعرف من مبادىء العربية؟

ـ احسن القراءة فقط.

ـ افلا تعلم ان السلم يرقى درجة درجة؟

ـ ولا يجهل الاستاذ ان الطائر لا ينتظر السلم في طيرانه.

ـ انني لم ارك قبل الساعة فمن دلك علي؟

ـ عيني رأتك ، وقلبي دلني.

اقشعر بدني من الجوابين وشعرت ان امامي عقلية بارزة في فتى له حكمة الشيوخ، وذكرت للمتنبي : ليس الحداثة من حلم بمانعة .

ـ والان ماذا تريدمني؟

ـ رأيتك مراراً فسألت تلميذك يوسف الحويك من يكون هذا الخوري ؟فقال: هذا استاذنا الحداد وله رفق بتلاميذه وعطف ، وكلمته مسموعة عند الرئيس ،فجئتك في امري . دعني ان احضر عندك لا اسأل ولا اسأل ، واني دافع مرتب المدرسة كله حالا ، وانا المسؤول عن نفسي ، لا امي ولا ابي ، وان لم انل مطلوبي فتشت عن غير هذه المدرسة التي تتعلق بحرفية القانون ولا تفهم تلاميذها .

ـ مهلاً واعود ... وما زلت بالرئيس حتى قال كلمته (التاريخية) : (النتيجة يا حبيبي) انت المسؤول ، واين راتب المدرسة ؟

ـ حاضر...

وعدت الى جبران وما راني حتى اقر ليـــله وابتدرني قائلا : انقضى غرضي يا استاذي .

ـ ومن اين عرفت ؟

ـ من وجهك الضاحك وعينيك .

وثاني يوم كان جبران بين تلاميذي على مقعد التدريس ، وقدامي على المكتب كتابة منه : قبل مرور ثلاثة اشهر لا تسألني عن شيء وبعد ذلك سل ما تشاء ..

لم يكن جبران وقت التاء الامثولة يفتح كتابه بل كان اذناً وعيناً ، وتلك الاذن العطشى لا ترتوي وتلك العين لا تشبع . وكان يختلف الي حيناً اثر حين يلقي علي اسئلة ويستشيرني في انتقاء كتب المطالعة فحولته على كليلة ودمنة ، والاغاني ، ومقدمة ابن خلدون ونهج البلاغة ورسائل بديع الزمان والدرر لاديب اسحق والمتنبي والبهاء زهير ، والتوراة ... ودرس الطبيعة وطبائع البشر واخلاقهم وعاداتهم والتواريخ .

وكان يأتيني بمقالات من عندياته يستقل بها فارى منها جسما متناسق الاعضاء عليه مسحة من الجمال تحت ثوب من اللفظ لا يشاكل المعنى ، فامشي معه في ثقافته مشية من يرى تلميذه اكبر من تلميذ . وضعت له هذه القاعدة : فكر طويلا ، واكتب قليلا تكتسب كثيراً الى ان تفيض القريحة فيضاً .

ومن اول مقال له ادركت ما هو جبران وقلت له : انك صائر شاعراً مطبوعاً ، وكاتباً خيالياً فاتق الله ، الى الامام .

وكان جبران ينمو في اسلوبه نمو الحورة وينبثق انبثاق الحوض ، ومعه تقوى الروح الوثابة العابثة المتمردة .

وفي اخر السنة تركت المدرسة ولم اعد اذكر اين اتجه الى ان اهدى الي كتابه وعليه العبارة (انت أولى بأولى بواكيري) فكتبت اليه في بعض نقط ، فقطع الحبل .

. . . . . وكل ما اقوله : لا تعجل بنشر نقد جبران قبل ان تلم به من كل ناحية . وجبران كان يحذق فن التصوير وهو في المدرسة .

لا اقدر ان ابدي رأيي في جبران لاني لم اطالع تأليفه كناقد ، ولا جدلي اليوم ، بل اعتقد انك بدرسك له الدقيق تجد الغث والسمين . وعسى نقدك ان يكون نظير عصا موسى وراء عصي سحرة مصر ... ان شاء الله الذي لا توفيق الا منه .

ابن عمتك الخوري

٩ اذار سنة ١٩٣٦

شيء عن مي

يا حبذاه !!

هكذا أجابتني مي اذ دعوتها الى الكلام في حفلة جبران التذكارية . كانت يومئذ مجاورة بالفريكة ، بعد محنتها ، وقد صحبنا الى زيارتها صديقنا وصديقها الريحاني .

تلك اول مرة رأيت فيها وجه مي الذي اطراه الناس نعتاً . رأيتها فخلتني امام كنيسة مهجورة ، في عتمتها روعة وجلال ، وفي شقوق جدرانها رائحة الفن والدهر . من اين جاءت الى ذهني ، في تلك الساعة ، صورة ابن الفارض كما رسمها جبران ؟لست ادري . رايت في محياها ظل الشباب مسفوحاً على الهرم . قعدت على « طرّاحة » كعادتنا اللبنانية ، وجلست هي على كرسي بالقرب مني ، فاعتراني اضطراب القاعد قرب جدار متداع . ادركت فورا انني امام امرأة لبنانية لم تمح مصر ولا مدينة الغرب خطا واحداً من خطوطها الجميلة .

يا حبذاه ! تلك عبارتنا الاقليمية عند الحسرة المزوجة بالالم . فهي بنت قريةمن قرانا المتواضعة وهي ما برحت تحتفظ بلحن عذب تحدث به لبنانياً عتيقاً لا يتمطقولا يلوك لسانه . قابلته ماري زيادة بالمثل ، وهي بنت الجبل مثله ، لا تعرف مضغ الكلام ولا صبغ الاحاجيب كبدويات المتنبي .

كم كنت غليظ القلب في الحاحي عليها ، فواعجباه ثم واعجبا لي ! كيف لم افهم ان هذه الهاء هي هاء السكت والندبة . كيف لم ادرك ما احتوت عليه (يا حبذاه) من تفجع يعتلج في صدر تلك المسكينة ، فرحت ازيد الطين بلة ولا احس. كانت مي في تلك الساعة :

كعصفورة في كف طفل يهينها تناسي عذاب الموت والطفل يلعب

قد ، والله ، كنت اقل من طفل ، واني لاذكر ذلك وضميري يؤنبني . فمغفرة يا روح بنتنا العزيزة .

كنت اتأمل مي وانا في حضرتها ، كانني غيلان اطوف بربعها الخرب . كانت تحدثنا بصوت في قرارته حسرة تحاول اخفاءها فلا تختفي . رايتها تأبى الجلوس بين الصديق الشيخ فؤاد حبيش والسيدة عقيلته ، عملا بتقليدنا اللبناني الذي تلقته في مدرسة البيت . لم تبدر منها بادرة لا عهد لي بها ، فبانت في عيني مثال المرأة اللبنانية ، لا تجود باكثر من ابتسامة لما كنا نتهقه من نكات شاردة حضرتنا في تلك الساعة . اسمعت بقولهم : بنت مقهورة . لقد رايتها تلك الليلة بشخص مي فاستغنيت عن البحث والتفتيش .

قرأت ان الدكتور فهمي ختم خطبته ، وموضوعها (نزعات مي في حياتها) بهذه الكلمة التي يقال انها كتبتها قبل موتها : (هذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف والبسمات ، وفي قلبها الالام والغصات ، لقد عاشت ، واحبت ، وتعذبت ، وجاهدت ثم قضت)

من نكد الحظ ان تبتديء حياة مي بالمقلوب ، فبعدما امست الكاتبة الاولى احبت الكاتب الاول فمضى لسبيله . وكان الكبت وكان الانفجار ، ولم تفز مي بالتصعيد الفرويدي المزعوم لتتسامى بفنها وتستولي على الامد . فلو احبت في فجر طلعتها الادبية لظلت امامها رقعة الامل واسعة ، ولكنها ابتدأت حيث ينتهي الناس فلم تتحول غريزتها الجنسية الى اسمى من الهوى ، الى حب الجمال والشعر والموسيقى فذهبت ضحية (الفكرة الثابتة)

(الفكرة الثابتة) شر من التنين الذي رآه يوحنا ، فاذا احتلت ساحة الشعور سيطرت عليها واستعمرتها ، وكيف لا تفترس حملا وديعا لا حاجب على حظيرته ولا بواب . مات الاب ولحقت به الام ، وامست البنت وحدها ، وجهها والحيط كما يقولون ، وجبرانها امسى عريس البلى .

قد يقال ما هذا الحب وبينهما بحور اقل امواجها جبل . فنجيب ان بشار بن برد

قد انبرى لحل هذه العقدة فاستفتوا شعره . واذا كان علم النفس يعلل الحب العياني زاعماً ان المرء يحب شخصاً حقيقياً ، بل يعشق شخصاً خيالياً فينتزع من نفسه اشياء يسبغها على معشوقه حتى يخال انه اكتشف بذلك اسرار النهاية وحقيقة الوجود ، فكيف بمي المفتونة بسحر جبران حتى ترى فيه شخصاً اسمى من البشر ؟

ان التقاليد التي شن عليها جبران الف غارة هي التي ختمت مأساة من احبته حباً جماً ،هذا الختام الفاجع.ابت البنت ان تخفف رأسها وتذهب الى لقاء الشاب ، فعلى الشاب ان يسعى . وقبل ان يلهما حلا ملاثماً مات جبران وعاشت مي بعده كراحيل لا تريد ان تتعزى . استبدت بها (الفكرة الثابتة) فابغضت الناس وتحامتهم لانهم سعدوا دونها ، حتى ابت ان تستقبل الدكتور طه حسين الذي سعى اليها ، بل انبأته — كما روى — بان ليس بينها وبين غيرها من الناس اتصال ، ولا خطاب ولا حديث الا من طريق الكتابة ، فان كانت لك كتب لم اقرأها فارسلها الي ، واما شخصك فلا اراه ولا يراني .

اقيمت لمي في العالم العربي اعراس تليق بالعروسة الخالدة ، ولا بدع ان كان خيرها عرس مصر فقد اسدت الى الكنانة خير الايادي ، وجددت عهد الاندلس في ذلك الوادي البهيج . فهذا اسمعيل صبري باشا يتلهف بشعره الرصين الى يوم الثلاثاء — يوم صالون مي — ليرى مي والا فلا كان يوم الثلاثاء . وهذا امير المنبر الدكتور نقولا فياض يهتف من على منبر الجامعة الاميركية:

يا مي ، هذي ساعة الميعاد فسلي فؤادك عن خفوق فؤادي

وهذا الدكتور طه حسين يقول في ناديها : (وحسبكم انني استطعت ان اصل اليه حين لم اكن اكثر من طالب بالجامعة القديمة).

وهذا الدكتور شميل يخاطبها بقصيدة لتلين ويفرخ روعها بعد ما دخل خدرها محتشما فافزعها :

اذا ما قمت اطري الحب يوماً الا تدرين انك في خيالي

ومي ترصد هذا الحساب الضخم بما اوتيت من فصاحة ولسن وشدة عارضة. كانت في ذلك المعترك ، معترك العقول الكبيرة لا الاحداق والمهج، كما يقول المثل اللبناني : يا بحر ما يهزك ريح . وظلت شامخة كانها سنديانة الكنيسة حتى اقتلعتها العاصفة الشمالية.

ليس بين يدي من كتب مي الا كتاب واحد عنوانه بين (المد والجزر) كاني به عنوان حياتها، ولكنه لا يكفيني لرسم صورتها كاملة . بيد انني استعين بذاكرتي فاتخيلها وارسمها ببضعة خطوط قد تبدي للاذهان صورتها المصغرة .

مي غربية شرقية في تفكيرها ، تفاعلت في قلمها الثقافتان فكان من نتاجها تعبير رصين لم تظفر بمثلة انثى قبلها . فمي الكاتبة خير انثى عرفها الشرق العربي ، وهي في اسلوبها المتين تبز الكثيرين من الفحول كما قيل في بنت عمها الخنساء .

نفست الخنساء كربتها بما قالته في رثاء اخيها صخر ، واعتصمت مي بالحياء فماتت بدائها . ولها عذرها فالام غير البنت ، والشقيقة غير الحبيبة .

في منثورها رائحة شعر ذكية ، وفي تعبيرها موسيقى بعيدة الاثر . كان ادب المقالة مسيطراً في عهد صباها فتأثرت كغيرها باسلوب الشدياق والحداد واسحق وغيرهم من كتاب القرن التاسع عشر ، ثم ضمت الى قسماتها الفنية بعض ملامح جبرانية ريحانية .

الكثير من ادب مي يؤثر بقارئه لانه ابن الانفعال ، والانفعال كما يقول ريبو ، خميرة الابداع الفني .

يحس قارىء مي انها قرأت كثيراً ، وتمثلت ما قرأته فاخرجته متسما بطابعها الشخصي ، وان لم يكن في هذا الطابع نتوء يدلك عليه فتعرفه أنى وجدته . والذي عندي ان مي ليست ممن يرسلون المقال عفو الخاطر بل تنقح وتحكك ، فاذا كان الحطيئة عبد الشعر ، فمي أمة النثر . اما اثرها في بنات جنسها فبعيد جداً، انها ربة البند والعلم ، وبحق يعتد لها اللواء في ادبنا النسائي الحضر والنابر ، وحسبها هذا .

رحم الله فتاة نابغة هي احدى حلقات سلسلتنا الذهبية ، وفي ذمة الله حياة ضاعت (بين الجزر والمد) « ان الطيرة ظلت وحدها تشيع السفينة ـ سفينة نبي جبران ـ

بنظرها حتى توارت بالضباب .

اشارت اليها المحبة فاتبعتها، فدرستهاعلى بيدرها ، وغربلتهاالتحررها من قشورها، وطحنتها لتجعلها نقية كالثلج ، وعجنتها بدموعها حتى تلين ، واعدتها لنارها المقدسة ، فكانت خبزاً طاهراً ، ومحرقة نقية »

امد الله في حياة اخواتها الكاتبات ، وابقى لهن رداء الشباب .

*

ما بين مي وجبران

رسالة تكشف الغطاء وتزيل الستر
نعيمه و كتابه «جبران خليل جبران»

يا صديقي.

لا تتعجب ان اخاطبك بياصديقي ، فقد كنا وما زلنا اصدقاء وان ضرب الدهر بيننا ، وفرقنا ايدي سبا .

تذكر ايام المدرسة ، وقد شبت وشببا . وحينما ــ تمرون الديار ولم تعوجوا ــ انظر الى حركاتك وسكناتك فأتذكر مارون المرح كالبرذون الفــاره . لا تسعه الارض التي يحلها او يحتلها . وعندما اسمع حديثك او اقرأك اتذكر لواذع نكاتك التي كنت ترمينا بها فنفر نقع عنك بعد تكأكئنا عليك نتحرش بك . اتذكر (عاصي) و (الناكوزي) وغيرهما؟!

تلك ايام (وهيدي بدالها) يا مارون .

سمعت حديثك في راديو الشرق فعرفتك ... ارشدني اليك ما في صوتك من بحة وصحل لا ازال اذكرهما ــ ماركة مسجلة ــ فبقيت اسمع حتى انتهت كلمتك عن مي ــ الله يساعدها ــ واعلن المذيع انك انت هو ، ذلك المارون الذي كنا نحب قوارص كلامه كالنساء اللواتي يستطيبن اللاطم والضرب ... أسمعت بهن ؟ يظهر مما اقرأ لك انك بكل شيء عليم ــ الحمد لله على هذه النعمة ...

قد طال الحديث وأتصورك كعادتك سئمت وقلت : ايش بدّك يا خيّي ! قل

وحلّ عني .

ألومك يا مارون ، لانك نبشت قبر ميّ ، وشرّحت تلك المستورة على قارعة الطريق . أليس الراديو مثل قارعة الطريق واكثر ! ما كنت ألومك لو لم تأت ما نهيت عنه . أما لمت الكاتب الكبير ميخائيل نعيمه حين تحدث عن حب جبران لميشيلين ، وما كان بينهما من علاقات ؟ أليست هذه كتلك !؟ ماذا تهم الادب هذه النواحي ، أليست عيوباً يجب ان تغطّى ، فالانسان ضعيف ، وما خلق آلهاً كاملاً منزهاً عن كل عيب وضعف .

الامضاء ب. ع.

ب. ع. نصف بعبع . من هذا ؟ لست ادري . جمعت قوى ذاكرتي واستعنت بدفاتري ، وانتظرت الفرصة انتظار القارم اللحم والصائم بيضة العيد فقرأت ، كتابي الجوائز لسنتي ٩٠٥و٩٠٦ من الجلد الى الجلد ، فلم اوفق الى شخص عرفته وعرفني في مدرسة الحكمة يتدييء اسمه واسم اسرته بهذين الحرفين .

ذكرني هذا الرفيق بايام (البنوتية) التي لا انساها ، واحس انني أحياها وانا ازاحم الستين . فلم ابلغ بعد الساعة التي اقول فيها مع ابي نواس : واراني اموت عضواً فعضواً . واظنني لا ابلغها .

اسمع ايها الصديق (الحشري) . انا لم ألم الاستاذ مخايل نعيمه لانه قال ان جبران بشري احبّ كما يحب الناس ، ويشرب كما يشرب عبيد الله ، وجمع من حطام الدنيا مثلما يجمع معظم الخلق . وهل انا مجنون لاعتقد ان جبران لا يعيش باللحم والدم كسائر الناس .

لا أشك ابداً في ان دم جبران حار جداً ، وان زعمت غير ذلك فرسومه تكذبني . ان تياراته الفكرية في أدبه وفنه تتجه دائماً صوب الحب الذي يراه الحياة كلها . ومن قرأ اول حرف وآخر حرف مما كتبه جبران ــ حتى يسوع ابن الانسان ــ رأى (الحب) كنجمة القطب واليها تتجه سفينة جبران .

ولست اشك ايضاً في ان حياة الاديب الفيلسوف مخايل نعيمه اقرب الى الصالحين المتعففين ، وان حياة جبران اقرب الى الوثنية اللبنانية العريقة منها الى المسيحية

الطارئة . ولكن كل هذا لا يدعو الى تلك (الزحمة) الكبيرة التي صرف اليها نعيمه همه ، بدلا من ان يدرس ادب جبران درساً جامداً وعلى ضوء لا يترجرج ولا يتذبذب .

انا لم اكتب حرفاً بعد عن كتاب نعيمه في جبران ، وان كان ، في نظري ، على علاته ، خير ما كتب عن جبران. ما ابطأت عن ذلك الا لانني ساتكلم عن مدرسة جبران واثرها في ادبنا الحديث حين تتجمع لدي الوثائق الكافية . اما وقد اثرت الحديث فلا بأس علينا من قول كلمة عابرة .

بين كلامي وكلام نعيمه فرق واضح . ان الاستاذ نعيمه تحدث عن (فضائح) وانا لم اتحدث الا عن حب طاهر اين منه الحب العذري . قد رأى جميل بثينة ، والمجنون ليلى ، اما مي فو الهف قلبي عليها . ان نعيمه يروي حديثاً يعجز عن اثباته بالوثائق التي هي مقطع الحق الاول . اما انا فسأريك — امهلني قليلاً — ما يزيل كل شك يخامرك ولا يمس مي وجبران بضر . ان حبهما كحب ابي وامي ، وابيك وامك يا صديقي ب ع . اما ما ذكره الاستاذ مخايل — ولا استبعد وقوعه اذ ليس جبران اعظم من داود — ففيه جموح وتعد يؤاخذ عليه من قال فيه نابغتنا الدكتور فيليب حتي: ان ملايين الدولارات التي كسبناها في هجرتنا لا تساوي جبران خليل جبران .

ليست (ميشيلين) شخصاً وهميا في حياة جبران ، فهناك صورة لها بريشة جبران محفوظة في متحفه ، واذكر ان تاريخها سنة ١٩٠٨ . ان ميشيلين شخص من لحم ودم مر في طريق جبران ، ولكنه اصبح — كما اظن — تحت قلم الاستاذ نعيمه شخصاً روائياً .

فكتاب نعيمه في جبران وان كان ذا قيمة فنية رفيعة ، فهو كروايات ديماس يختلط فيها حابل التاريخ بنابله . اخرجه الاديب الكبير بشكل رواية بدأها بوع ، وع . وختمها بغر ، غر . اي من المهد الى اللحد . وهدف نعيمه في كتابه إعلامنا ان جبران بشر مثلنا — آمنا وصدقنا .

وما رأيت نعيمه يملك وثيقة تؤيد ما زعم ، ولا هو شاهد عيان ... بل لا يملك اخر مقطع من مقاطع الحق وهو (التواتر) . فاكثر الذين خالطوا جبران ولابسوه ردوا على نعيمه بعنف وقسوة .

خاف نعيمه ، كما ظهر من مقدمة كتابه ، ان يصير صديقه جبران اسطورة او نبيا، فارانا ان جبران انسان لا غير . والا فماهذه الحكايات عن فلانة وفلانة ... الاوربيون يذكرون المرأة التي احبها الاديب ليبينوا اثرها في فنه وادبه ، ولم نرَ شيئا من هذا في كتاب نعيمه . فميشيلين وفلانة اشباح لا علاقة لها قط في الادب الجبراني ، وقد يكون لهن علاقة ولكن شيئاً من هذا لم يذكر . فكأنّ الغاية القصوى من سرد الحوادث بيان ان جبران احب حباً خسيساً واعلان ان جبران (نبأ كاذب).

يقول ذلك نعيمه في (ص ١٧٩) ويروي ان جبران قال ذلك عن نفسه. اراد ان يعترف لصديقه في البرية، ولكن تواضع ميخائيل حال دون سماع ذلك الاعتراف القاسي . (هالني ان يمضي في اعترافه امامي فيجلد نفسه العاتية المتمردة امام عيني ، وينزع عنها دروعها العديدة ، ويتركها عريانة وبلا سلاح . ومن ثمّ فمن انا لاقتبل اعتراف نفس وان تكن اختاً لنفسي ؟! وقد تكون نفسي احوج الى الاعتراف منها) ص ١٩٠

ليته سمع ذلك الاعتراف وحلّ جبران من خطاياه بعد التثبت من توبته وندامته.. وجاءنا بالتفاصيل ولم يتركنا فيما تركنا فيه من حيرة . فانا اجلّ الاستاذ مخايل واحترم اخلاقه النبيلة واصدقه اذا قال سمعت باذني . وبعد فهذا الاعتراف يذكرني باعتراف دوستوفسكي لتورغنيف ، ولكن نعيمه كان ارحب صدراً .

لقد وفق الاستاذ نعيمه كل التوفيق في اخراج قصة جبران ، فهي خير ما كتب، وخير ما اذاع وما اذيع له . شاء الدكتور طه حسين والاستاذ توفيق الحكيم ان يكونا بطلي قصة فكتبا ، في سالنش ، قصة « القصر المسحور » ولكنها قصر اجداً عن الاستاذ نعيمه في كتابه جبران خليل جبران ، الذي هو ابن عم المثل السائر لحقّا . فكثيراً ما يلتقي نعيمه بابن الاثير، فيدّعي ابو الفتح ويتواضع مخايل والمطلوب واحد.

ولنعد الآن الى حب مي المسكينة ، فقد كان له اعظم اثر في توجيه حياتها ، فختمت تلك المأساة ، كما علمنا وعلمت ، ايها القارىء العزيز . فمي بين المحبين كداود بين التائبين . توبة داود متقدة صارمة ومحبة مي مؤلمة عارمة . وفي كلتيهما لذة كالقشعريرة التي تأخذنا عند فجر ايلول في الخيمة . واذا صح مازعم علماء النفس في تولد الهوى كان

الجاني على مي خيالها القوي .

يعلمنا مبحث اللاشعور ان ميول الناس واعتقاداتهم تتبدل ، من حيث لا يدرون ، اذا خابت امالهم وكبت خيول امانيهم في ميادين الحب . والخبر عن مي ، كما روى ادباء مصر الذين خالطوها بعد محنتها وقبل ان يلفها الغسق ، ان عاطفتها الدينية نمت وتضخمت في طورها الاخير . ان طور اليأس والغم والقنوط ، ومنبعه الكبت ، يوجه الضعاف الى هذا الملجأ المنيع . فكل عمود من اعمدة قصر العواطف الدينية يرتكز على قمة هرم قطعت حجارته من مقلع ميول واهواء مكبوتة .

تلك حالة المغلوب اذا كان رجلا فكيف به وهو أمرأة بل بنت (مقطوعة) منبتّة . فكم ادى الفشل الحبي الى ظلمة الديورة ، وما الفرق بين فتاة تدفن حبها المقهور في قرنة ، وبين مي التي جعلت من بيتها ديراً قبرت حبها في زاويته ، وصلت عليه صباح مساء . ان عزلة مي لمفزعة ، فقد عادت طفلة في دنيا الحب والهوى اذا اعتبرنا الحب كما سماه برغسون « طفولة جديدة » . وقد انتهت مي في طفولتها الجديدة الى نسيان (الانا) فصارت ميولها (غيرية) وعالية ، كانها ادركت ان سفينة امالها الانانية قد تحطمت على صخور جزيرة الحب ، فكتمت داءها واستعلت على حبها بينها وبين الناس . اما بينها وبين نفسها فظلت متمسكة بذلك الخيط الواهي تجد لذتها في المها ، وفي الالم لذة لا تخفى على الخبراء ...

ولا بدع في ان تلجأ مي الى دينها في تلك العزلة الموحشة ، فالحياة الدينية ينبوع العواطف العذبة والاحلام اللذيذة : طوبى للحزانى فانهم يعزّون .

والعاطفة الدينية تنمو غالباً في تربة الحرمان ، وتمتد جذورها حتى الطبقة التي يعيش فيها الكبت ، وهي الطبقة القريبة من النار في قلب العالم الاكبر والعالم الاصغر — الانسان —

وكأني اسمعك يا صاحبي بع تقول : قتلتنا يا هو ! هات البرهـــان ودعنا من اللّت والمّط . فاقرأ اذاً يا صاحبي المجهول هذا الكتاب من مي الى جبران .

١٥ يناير سنة ١٩٢٤

مصطفى

« ماذا جرى للبريد! لقد كان يصل سابقاً في ثلاثة اسابيع او اقل احياناً . وها

مكتوبك يصل الآن بعد اربعين يوماً ، ومعه تذكرتا بريد في غلاف خاص تمثلان الوجهين اليونانيين البديعين تناسقاً ومعنى . ما ابطأ الرسائل في انتقالها ! اتراها تجيء من اقاصي الدنيا ، من اميركا ، لتصرف كل هذه الايام في الطريق ؟

عيد ميلاد يسوع ، يوم رأس السنة ، عيد معمودية يسوع وميلاد جبران في يوم واحد . اتتصور كم في هذه المواسم من فراغ ووحشة لاسيما عندما تمر امامنا وجوه ، ثم وجوه ، ثم وجوه الا ذاك الوجـــه الذي نشوق اليه . ونسمع اصواتاً ثم اصواتاً ثم اصواتاً الا ذلك الصوت الذي نطلبه وننـــاديه فيلبي منه الصدى (المفترض) . حتى نسيت ان تعايدني يا كثير النسيان ! في حين ان بعض اصحابنا يغتنمون هذه (الفرصة) ليهنئوني (كثيراً) . او على الاقل ليتحفوني بزركشة كهذه : يا مي عيدك يوم وانت عيد الزمان الخ ..

لقد كنت يوم ٦ يناير بطوله موضوع تفكري . وكنت مـــاثلاً امامي بصورة طفل ، نونو نونو ، تتحرك يداه الصغيرتان في الهواء باشارة الباحث عن ادوات قدّر له ان يحملها ويعالجها . وتيسر لي ان اتفرغ للتفكر والتأمل في المولود النونو ، لاني كنت مصابة بنزلة طفيفة علمت من رسالتك انها جاءتني منك . (كيف ذلك ؟) تستفهم انت ؟ ذلك انك اجتزت كما تقول ، مسافة طويلة ليلاً وفي سيارة مكشوفة فكنت معرضاً نفسك للبرد فظهرت نتيجة ذلك البرد فيّ . مفهوم ؟ فلتوفر علي في المستقبل جميع صنوف النزلات والوافدات وما شاكلهن . لا تعرض نفسك للبرد واتق كل ما يؤذيك . مفهوم ؟ وهل يوافق مصطفى على هذا الاقتراح ؟

كانك تلومني لاني اسألك عن صحتك ! وهل يمكن الا اسأل ؟ انك مدين لي بأن تقول عنها ما قلته في هذه الرسالة ، فتسعدني بعد ان كنت تطعنني في الرســـائل السابقة كلما قلت انك مريض . وبدلا من ان اشكرك على هذه البشرى اراني مسوقة الى العتاب لان في نفسي لك قسطاً وافراً من العتاب ، على ما يلوح .

لماذا لم تخبرني بشفائك قبل اليوم ، قبل ان اسألك ، قبل ان نعود الى التراسل ؟ لماذا لم تقل لي انك شفيت منذ ان شفيت ؟ لست مغرمة بحكاية ابريق الزيت الا الى حد محدود . ولكن كيف استطعت ان تهمل تطميني وانت تعلم ان ليس من يطمني غيرك ؟ كيف استطعت الا تفكر فيّ كل هذه الشهور ولا مرة واحدة ؟

(علامة الاستقلال هذه) ، قد تقول انت . (النسيان بعض اشكال الحرية) قد يكون . وقد يدل كذلك على شيء آخر في بعض الظروف .

(اذا تخاصمنا في المستقبل فيجب الا نفترق مثلما كنا نفعل في الماضي بل ان نبقى تحت سقف بيت واحد حتى نمل الخصام الخ)

سمعاً وطاعة ، يجيب اهل اهدن . ولكن الرجاء الى سيدي الاستاذ ان يذكر انه لا بد من اثنين للخصومة ، فيجعل لاهل بشرّي نصيباً من النصيحة الحكيمة التي نفح بها جيرانهم ومناوئيهم . وان يذكرهم (هم يعني اهل بشري) بأن نصائحه ومشوراته اثمن من ان يفرط فيها كما فعلوا (هم اهل بشري الذين فعلوا) يوم ان نسوا (هم اهل بشري الذين نسوا) صندوق الذهب الحلو المليح الذي كان يصلح الامور ويحل المشاكل . افدني ــ اجارك الله من غضبات اهل بشري ــ ايجوز لجيراننا هؤلاء ان ينسوا ذلك الصندوق الواجب الوجود ؟

اما من جهتي فلدي من خطير المشاغل ما يبعدني حيناً عن كل تنازع وضوضاء . اني عاكفة على تفهم هذه الاعجوبة : اعجوبة ابيضاض الشعر بفودي تلك الجبهة التي اعرفها . يا للتفصيل الحلو الحلو الفتان ! انه يستحق لفرط لطافته ان يدمج في صنف واحد هو والذقن المطبوعة .

وعلى ذكر نقرة الذقن لا تحسب اني سأخاصمك لاجل اللحية التي تهددني بها . بل بكل حصافة وهدوء اتشرف بأن احيط مولانا علماً بأن من الشؤون ما لا شأن فيه لمولانا . وان ذقن مولانا من الشؤون التي لا شأن فيها لمولانا. فليتفضل اذن ــ بلا مؤاخذة ــ فيقف عند حده .

انتهيت من الكلام الرسمي الحصيف . واذا شئت ان اترجمه لك بلغتي العامية قلت : اني لا اريدك بلحية . واذا ابيت الا ان يكون لك لحية توليت انا امر حرقها . ها !

« هذه الابنة ــ يحتد مولانا ــ هذه الابنة تصل منها الجرأة بل الوقاحة الى اخطاري بأنها ستحرق لحيتي المنوي ارسالها ! »

الامر كما تفضلت يا مولانا . سأحرق لحيتك ضاحكة كما اضحك الآن. ولا احتاج للقيام بذلك خير قيام الى اكثر من سيجارة اقدمها لك ، وعود كبريت (اتلطف)

باشعاله . وهناك يكون ما اريد . فتظل الذقن على ما ارادتها الطبيعة تحمل بين هضاب (الجمود والنقمة) صورة مصغرة للوادي المشحون بشتى المعاني ، وصورة من عطف الزهرة التي وضعت عليها علامتها ...

اما (الشروط) التي تعهدبتتميمها بعد الاطلاع عليها فحسبي ان اقول ان هذا كلام يليق بقائله . فاعلم اذن ان البند الاول من هذه الشروط هو ان يهتدي اليها (المغلوب) من تلقاء نفسه . اما البنود الاخرى فتأتي بالتبع . فهات ارنا مثالا جديداً من ذكائك الفريد ! واحذر خصوصاً ان تخطيء في معرفة ذلك البند لئلا تزعج حسن ظني بفراستك وصدق نظرك !

ما احلى رسالتك في قلبي يا مصطفى. ما احلى كلامك بين تافه الكلام وركيكه ! ان الفاظك وسطورك جدول نور وندى وتشعع وحرارة ولطافة وانشاد . ومع ذلك فقل ما اخبرتني بـــه عنك . لم تقل شيئاً عن كتاب (نحو الله) وعن تلك الرسوم الزيتية ، وعمـــا يشغلك الآن من كتابة او تصوير او هجس ، ولا نصف خبر عن الوادي ! أيصدق اني اشعر بأسف كلما فكرت في الرسوم التي تنقشها ولا اراهـــا ؟ فاستعيض عنها بالنظر الى الرسوم المنشورة في كتبك واكتشف فيها كل مرة شيئاً جديداً . هي خاصة فنك الاولى ان يكون زاخراً بالاسرار والمعاني ، متفلتاً من كل تعريف ، هازئاً بكل حصر وتقييد .

جبران . كتبت كل هذه الصفحات ضاحكة لأتحايد قول انك محبوبي . لأتحايد كلمة الحب . ان الذين لا يتـــاجرون بمظاهر الحب ودعواه في السهرات والمراقص والاجتماعات ينمو الحب في اعماقهم قوة ديناميتية رهيبة . قد يغبطون الذين يوزعون عواطفهم في اللألاء السطحي لانهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تتفجر . ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوهـــا لنفوسهم . ويفضلون وحدتهم ، ويفضلون السكوت ، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها والتاهي بما لا علاقة له بالقلب والعاطفة . يفضلون اي غربة واي شقاء (وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب؟) على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة .

ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ اني لا اعرف ماذا اعني به. ولكني اعرف انك محبوبي

واني اخاف الحب . اني انتظر من الحب كثيراً فأخاف ان لا يأتيني بكل ما انتظر . اقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير . ولكن القليل في الحب لا يرضيني . الجفاف والقحط واللاشيء خير من النزر اليسير .

كيف اجسر على الافضاء اليك بهذا وكيف افرّط فيه ! لا ادري . الحمد لله اني اكتبه على الورق ولا اتلفظ به . لانك لو كنتَ الان حاضراً بالجسد لهربت خجلاً بعد هذا الكلام ، ولاختفيت زمناً طويلا فما ادعك تراني الا بعد ان تنسى . حتى الكتابة الوم نفسي عليها احياناً لاني بها حرة كل هذه الحرية . اتذكر قول القدماء من الشرقيين : انه خير للبنت ان لا تقرأ ولا تكتب؟ها قد صح علي ارتيابهم وصدق فيّ سوء ظنهم. لا تقل ان القديس توما يظهر هنا . وليس ما ابدي هنا اثر الوراثة فحسب ، بل هو شيء ابعد من الوراثة . ما هو ؟

قل لي انت ما هو هذا ؟ وقل لي ما اذا كنت على ضلال او على هدى. فاني اثق بك واصدق بالبداهة كل ما تقول . وسواء اكنت مخطئة ام غير مخطئة ، فان قلبي يسير اليك وخير ما فيّ يظل حائماً حواليك يحرسك ويحنو عليك .

غابت الشمس وراء الافق . ومن خلال السحب العجيبة الاشكال والالوان حصحصت نجمه لامعة . نجمة واحدة هي الزهرة ، الاهة الحب . اترى يسكنها كارضنا بشر يحبون ويشوقون ؟ ربما وجد فيها من هي مثلي ، لها واحد جبران ، حلو بعيد بعيد ، هو القريب القريب . تكتب اليه الان والشفق يملأ الفضاء . وتعلم ان الظلام يخلف الشفق . وان النور يتبع الظلام. وان الليل سيخلف النهار ، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة ، قبل ان ترى الذي تحبه . فتتسرب اليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل فتلقي بالقلم جانباً لتحتمي من الوحشة في اسم واحد : جبران ! »

ماري

لم اتناول بحث حب مي لجبران اشفاقاً من ان تصير مي نبية مثل صفورة ، وجبران كموسى او احد الانبياء ، ولكنها نواة درس نبدأ به على ان يتمه غيرنا ان لم نتمه نحن .

عد بنا الى الوراء ، الى اول كتاب مي ففيه كلمة جبران النونو . ان الطفل

يا صديقي يشغل حيزاً كبيراً من دماغ مي . وجبرانها النونو يذكرني باحلام الصبا ، فكم عرس كاذب اقمناه ، وكم بنيّة رأيناها تحتضن دميتها وتحنو عليها حنو المرضعات على الفطيم . اقرأ لمي في (ظلمات واشعة) (انا والطفل) تعرف حب مي للاطفال . طالع اولا قراءتها ما خطته يد الاقدار في كف روبرت من خطوط الحياة والعقل والقلب ، وكيف رأت تلّ المريخ يرتفع في تلك الكف الصغيرة متهدداً متوعداً . (ص ٧)

ان مي انتقلت مع روبرت — اسم هذاك الطفل — (بصارة براجة) وهذا ما يثبت ما يؤكده علم النفس من ان صاحب الميل والهوى يتعلق بحبال الهوا ويصدق السفاسف . واذا بلغت (ص ٣٤) وقعت على مقالة (بكاء الطفل) فتقرأ فيها (فدنوت منه متوسلة ، وضممته الي بذراعي التي لم تضم يوماً اخاً او اختاً صغيرة ، واجلسته على ركبتي حيث لا يجلس سوى اطفال الغرباء .)

(صمت الطفل حائراً لانه شعر بان روحاً تناجي روحه . صمت هنيهة ثم حدق فيّ سائلاً عن اعز عزيز لديه . وقال بصوت هادىء كاصوات الحكماء : ماما ، ماما .)

(صغيرك يناديك فلماذا لا تجيبين ، يا ام الصغير ! لست بالعليلة لاني رايتك منذ حين تمسين بقدك تحت برنيطتك ، والجواهر تطوق العنق منك . انت صحيحة الجسم فلماذا لا تسرعين ؟)

(عودي من نزهاتك الطويلة ، وزياراتك العديدة ، واحاديثك السخيفة ، عودي واركعي امام الصغير واستميحيه عفواً . لقد خلقت امرأة قبل ان تكوني حسناء ، وكيفتك الطبيعة اماً قبل ان يجعلك الاجتماع زائرة .)

(تعالي اسجدي امام السرير ، سرير الصغير . اسجدي امام هذا المهد الذي لعبت بين ستائره طفلة ، وحلمت به فتاة ، وانتظرته زوجة ، فما خجلت ان تهمليه أمّاً)

هذه احلام مي . هذا هو الشوق الكمين في سجاياها ، والحنين الدفين في لاشعورها ، هذه احلام الفتاة الكامنة في كنتها كمون الحياة في البرعم تحت برد كانون ، وعواصف شباط ، وصواعق ادار ، تنتظر نيسان لتبرز . ولكن نيسان مزق سجوف احلام مي ومات جبران فيه ، ولاح لها غدها الاشمط .

ان ادب مي نوعان : ادب منبري ، وادب شعري ، وفي ادبيها كليهما تسود عاطفة الشفقة والحنان والرحمة ، وهذه كلها وليدة الالم . فمي تألمت جداً وانكى الامها الحرمان . حرمت الزوج والامومة وهي ترى ان المرأة ما خلقت الا لتكون اماً .

يلوح من مكتوب مي انها البادئة في اعلان حبها ، وان جبران كان كعادته يطوف حول الموضوع ولا يلجه . ان بين سطور (مكتوبها) مشاهد والاماً وشجونا فيه حب مي واطواره كلها. وفيه ارتياع من مستقبل هذا الحب . وفيه شروط وبنود لا يوضحها لنا الا المفقود من رسائلها ، فرسائل مي لجبران ، ورسائل جبران لمي — الموجودة مسودتها — لم تسعفني على البت في حل عقدة مصير هذا الحب .

قرأت في كتاب (حياة مي) للاستاذ محمد عبد الغني حسن ان مي اعادت رسائل الادباء الى اصحابها ، فالى من اعادت رسائل جبران يا ترى ؟ فهل من يرشدنا اليها وله الشكر .

لسنا نسأل عنها لنتثبت امر هذا الحب ، فهو لا يحتاج الى اثبات ، وقد حالت تقاليدنا الشرقية دون تحقيق هذه الامنية . فجبران لم يستطع المجيء او لم يجيء ، والبنت لا تذهب ، وهذه هي البنود والشروط الموما اليها في رسالة مي .

وان زالت مي من دنيا الحب والهوى فهي باقية في دنيا الادب بقرب حبيبها جبران. وقد تكون صارت اليه اقرب ، اذا اعتقدنا كما يعتقد اصحابنا تلاميذ جبران..

ما اضيق العيش لولا فسحة الامل . بل ما اقل عقل الانسان . ان العقل في المعنويات كالبطنة في الذاتيات اصل كل بلاء . فياويل الانسان من عقله .

الى شكرالله الجر

اخي شكرالله .

يخلق الشعر كل يوم عروسا ... مثلما تخلق الخمور الحبابا
تتجلّى لنا العذارى فنكسو ... عريها من بياننا جلبابا
لاتقولوا شبنا فما الشيب عيب ... ان في الشيب من يزيّ الشبابا
رب شيخ قضى الحياة فتيّا ... وغلام في موعة العمر شابا
رب شيخ يظلّ عارض رمح ... يتصابى لو استحال ترابا
لو اتتنا الحياة تسترزق العزم ... خلعنا على الحياة شبابا

هكذا انا يا عزيزي شكرالله ، فما زلت كما فارقتني على مقعد التدريس في جبيل ، اراني كما كنت تسمع مني من على ذلك المنبر :

يفنى الزمان وصبوتي تتجدّد ... فكأنني في كل يوم أُولَد

لقد صدق الحوراني ، فما يأخذ الدهر مني مثقال ذرة عزماً ، ولم ينل الزمان من همتي قدر (حبة الخردل) ، وفيّ من الايمان بالحياة اكثر من مقدارها ، ولهذا احس انني استطيع ان اقول للجبل انتقل من هنا الى هنالك فينتقل ...

تطلب صورة (معلمك) لترى تلك الكهولة الصالحة ، ولا تقول الشيخوخة لئلا .. فاليك احدث صورة في مكتبه بعاليه ، واليك ايضاً صورة اخرى وهي صورة تلك (الدابّة) التي تتصورني اركبها منتصباً من فوقها كالرمح ، وهي من تحتي تغني الميجانا والعتابا وتدق موسيقى .

لا تسلني اين ذهبت شوارب الزناتي خليفة! فقد سددت بها منذ زمان فم الدهر

ليراني الناس جديداً او اقل سنين ، فاطلب ان يطوّل الله عمري لاؤدي رسالة ندبت نفسي ، او لا ادري من ندبني اليها .. وانني لأتخيل انني استأجرت الدنيا من الذي نفسي بيده ، فآجرنيها عشرين سنة ، وعسى ان نجدد العقد بعد انقضاء مدته...ومن الشروط بيننا وبينه ان يظل (الطابق العالي) عامراً ... فقل : ابشر بطول سلامة يا مربع ، ان لم يجد ما يفسخ الايجار ، والا فاقول انا :

وما مات من عاشت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى و (فحول)

لا اخالك ناسياً ايام جبيل ، مسقط رأس جدك وجدتك لامك ، وملعب صباك ، ولا يوم كنت تجلس قبالتي على مقعد التلمذة ، كانك (الحركة الدائمة) التي اخترعها ابوك وحده ... تدندن كالنحلة في التفير ، وتحاول نظم الشعر الذي افلحت فيـــه ، فكنت تلميذاً طاهراً كبطرس ، وحبيباً كيوحنا .

أي يا بنيّ في الامس ، واخي اليوم ، نثق الكلمة التي تريدها، لا تهب الشيخوخة فتشيخ قبل الاوان . هات اصبعك من وراء الجار والمس فؤادي ان كنت لم تصدقني، وكن مؤمناً لا غير مؤمن ، اسمعت يا توما ؟

اقرأ السلام عني جميع اخوتك،رسل الادب العربي المبشرين بعهده الجديد.وليكن شعاركم ــ وهو كذلك ــ ما قاله سيد الشعراء : ما جئت لاحل الناموس بل لاكمل.

كملوا رسالة التدماء ولا تنقضوها كلها ، ففي ذلك القديم جديد رائع . ان شعر الحياة يبقى جديداً الى الابد ، وهذا ما يجب ان يعلمه الادباء واخص الناشئين منهم .. ان ادبنا كبيت قديم راسخ بنيانه ولكن ابوابه شبابيك ، وشبابيكه نوافذ ، فعلينا ان نوسعها لتدخله الشمس ، ويصح البدن ...

الحياة عندنا ــ عنيت الادبية ولا يعنيني غيرها ــ في نشاط ، والشباب المثقف يسعى الى مقعده وسيجلس عليه او كاد.ويا ويل من لا يماشي الزمان ويظل قاعداً امام دكانه يكنّش الذبان عن (الحلاوي) المحمّضة ...

ان مملكة لبنان الادبية ، كمملكة انكلترة ، لا تغرب الشمس عن ارضها ،والفضل لكم ايها المجاهدون ، وللغزاة الفاتحين وزعيمهم جبران واركان حربه الذين شيدوا واسسوا قبلكم فلا تنسوهم . لا نكن كاولئـــك الملوك الذين كان يمحو الخلف منهم

اسم السلف ويكتب اسمه موضعه . فليضع كل منا مدماكاً في هذا الهيكل العظيم كما يفعل الترويون حين يبنون كنيسة لتمجيد ربهم ، واكتساب رضى قديسهم ..

ان من يفعل هكذا فقد وفى نذره ، اما من يفعـــل كذلك الملك فهو ديوث منافق .

كتبت اليك اليوم من مكتب عاليه ، واوراق تلاميذي امامي تنظر اليّ بالف عين ، وسأكتب اليك غـــداً من (ابرشيتي) الصغيرة ــ عين كفاع ــ صفحة من ذكريات الماضي ، وما اكثرها ، وما احلاها ! اما الان فأعانقك ، واعانق كل اخ لنا بالادب ، وراء البحار في امبراطوريتنا الواسعة ...

عاليه ، الجامعة الوطنية ١٩٣٧/٥/١٧

الشدياق والجاحظ والمتنبي

ضريح الشدياق
الشدياق بين مصر ولبنان
يوبيل مئوي
الشدياق وهيغو
ابو الادب العربي ، الجاحظ
ليلة جاحظية
ابو عثمان وابو علي
زيارة شاعر

ضريح الشدياق

يظهر هذا الكتاب ويكون قد مر على ميلاد احمد فارس الشدياق مئة وخمسون سنة ، فهل يفوز الشدياق اليوم بما لم يفز به في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاته ؟

ايكون لبنان المستقل برّاً بنوابغه العرب اكثر من لبنان الانتداب ؟

اتقوم (جمعية اهل القلم) بهذا القسط وتحيي ذكرى ابي النهضة اللبنانية ، وطليعة ادبائها ؟

قد يقال : اتظل تتحدث عن شدياقك ، اما كتبت كتابا عنه وسميته صقر لبنان ؟

بلى يا اخي ، ولكن لا يزال عندي شيء لا بد منه . لقد احبطوا مساعينا هناك ، فنرجو ان نقوم هنا ببعض ما يجب نحو الرجل . فكثيرون لم يفهموه بعد .

اما عده الاستاذ محمود تيمور ، في محاضرة (القصة العربية) التي القاها في مؤتمر الدراسات العربية ، في الجامعة الاميركية ، بين كتاب المقامات ، وهو لم يكتب الاربع مقامات في (الفارياق) الا ليستهزىء بكاتبيها ويضحك منهم .

وذاك الضريح الذي ثرنا على مكانه الشائن ، حتى قضت هندسة طريق الشام بنقله ، ها هو يغرق اليوم بين البيوت التي احدثت حوله ، حتى خشينـــا على الشدياق ان يفطس .

لقد امست قبور حكام لبنان في غمرة لا تنجلي . ولكن جبار القرن التاسع عشر يظل في قبره الحالي ارفه منه في قبره القديم الذي قلنا في وصفه منذ بضعة عشر عاماً ما يلي :

قبر احمد فارس الشدياق مثل عين كفاع ، بلا درب . يعترضك الشريط الشائك

ان حاولت الدنو منه ، فعليك ان تنط نطاً ، او تحلق ، ان تقدر ، كما حلق شعراؤنا الكبار في (مناسبات)شتى!...اما اذا كنت أكرش مثلي فعليك ان تتوقى الشريط لئلا يعلق بشيء منك ، فيغضب لك الشيخ في قبره ...

القبر في الحازمية عبر طريق الشام ، يمر به الناس غير دارين انه مرقد الذي ملأ مشارق الارض ومغاربها ، وانفتحت لنبوغه ابواب ملوك عصره وسلاطين زمـــانه . شكل الضريح الخارجي مثمّن مقبب كأنه فانوس هرقلي ، او قفص "شك" في رأس قبته هلال ، باهت كالدرويش في مفرق الطرق . داخله افخم من ظاهره وابـــدع ، كالكتب التي ابدعها الراقد فيه .

زرته ، اول مرة ، منذ سنوات ، فرأيت درابزين صفتّه ساجداً ، وبابه مفتوحاً للزائرين من ذوي الحاجات ... والوسخ للزنار ... فتألمت وغضبت للنبوغ الممتهن . لم ادر من اسبّ فالتقطت(الدهر) سبة الضعفاء ، واشبعته سباً وشتما فانفشت كربتي، ومضيت في طريقي . ثم عدت بعد اشهر فرأيت الحال قد تحسنت : القبر مكنوس ، والباب مقفل ، اما الدرابزين فمقلوع ، كانهم استصعبوا اعادته كما كان فحذفوه ، وفي الحذف بلاغة ... سلمت يد من فعل ففي تسكير الباب احسان واي احسان ، وحسبنا استراحة الفقيد من زيارة الاوباش ، واثارهم الظربانية ...

*

ثم انقضت سنوات ولم اعرج عليه حتى جئته منذ ثلاث جمع فكدت انفسخ قبل ان اتخطى الشريط ، وما بلغت القبر حتى طفت حوله اطلع على ما فيه من شبابيكه، فرأيته قد امن غزوات الفاتحين القليلي الحياء ... وبينا انا واقف اذا بعجوز صعلاء ، شمطاء ، هركولة ، تقبل علي متخصّرة فسبقتها الى التحية بقولي : الله معك يا ستي .

فأجابت : الله يجيرك يا عمي .

ظننتها تقول يا ابني ، فقالت يا عمي ، رأتني اعجز منها ، فتألمت جداً وترحمت على الاخطل الاصيل ، واين مصيبته من مصيبتي ، فـــالتي دعتني (عمها) عجوز محطمة . وفيما انا افكر ببقية شباب نعتها الي هذه العجوز الدردبيس،اذا بها تشق الحديث قائلة : الميت من قرايبك ؟

عشر . ادركوا ان منشيء اول واشهر جريدة عربية ـ الجوائب ـ امسى نسياً منسياً ، وان مؤسس الصحافة العربية لم يعرفه الشعب في احتفال وطني .

ففي تشرين اول ستقام ببيروت اعظم حفلة عرفتها تلك البلاد ، يترأسها فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية وتمثل فيها امم الشرق الادنى لتكريم ذكر لبناني كان اجراً واعظم نقادة ، بل اعظم علماء القرن الثامن والتاسع عشر. وسيخلدون ذكراه بتمثال يرفعونه له في بيروت سنة ١٩٣٨ .

فنتمنى للنابغة العظيم الذى دافع طويلاً عن مصر وخديويها في جريدته الشهيرة ان تكون حفلة ذكراه لائقة بمقامه السامي .»

قلت : يا ليت ...

ان حكومتنا تقدر ،لو شاءت ، ان تناصرنا على احياء ذكرى مفخرة من اسمى مفاخرنا ، ودرة نفيسة من درر تاريخنا الخالد .

هذا غوبلز وزير الدعاية الالمانية اعلن ،امس، في (اسبوع الكتاب)فقال : ان السياسة القومية التي تمثل الامة تتجلى في الكتـــاب ، والثورات قامت على اكتاف الخطباء والمفكرين ، والانقلابات تقوم على المباديء لا السلاح .

ثم اعلن في اخر خطابه الذي نقله الينا البرق ان حكومته خصصت مئتي الف مارك لمساعدة الادباء والشعراء الفقراء .

قلنا : اما والميزانية اليوم تحت الدرس فهل تفكر حكومتنـــا بتخصيص شيء لنابغتها الاكبر؟انها تفكر ببث الدعوة للاصطياف، فلماذالا تكون ذكرى الشدياق احدى هذه الدعوات ؟

يا ليت شعري أية ذخيرة تفاخر بها هذه الجمهورية ؟ أهناك غير الادمغة الكبيرة . واذا كانت حكومة المانيا ، وهي من اعظم الدول سلاحاً ، ترى الكتـــاب مبعث قومية ، فلماذا لا نعنى نحن بكتب الشدياق الفريدة ؟

عسى ان يحقق وزير معارفنا الجديد هذه الامال، فقد طال الانتظار وبئس الكمون.

ابو الادب العربي

ابو عثمان ، عمرو بن بحر الكناني، عصامي الادباء ، كان بتياع خبز وسمك بسيحان ثم استحال زعيما اديباً ، بل ابا الكتاب العربي فجعل النثر يقف تجاه الشعر وقفة الندّ امام الند . اراد ، اولاً ، كما فعل المتنبي بعده ، ان يقيد اسمه في التاريخ (إماماً دينياً) فوضع (الجاحظية) وكان نصيبه السجن ، ولكنه ارعوى فصار إمام الادب العربي . قضى التسعين عاماً كاتباً باحثاً فامست كتبه مستودع المعرفة يرجع اليها الناطقون بالضاد حتى عصرنا هذا . وهكذا خلد ذكره في تآليفه التي صورت الحياة في عصره أصدق تصوير وكانت لنا ذخيرة لا تنفد مادتها مهما استطالت المدة .

وظل ذلك الرجل يعالج الكتب ويحشدُها حتى تحينت منه غرّة فانقضت عليه وفطس تحتها كما زعموا . عجز الفالج عن وقف قلمه السيال ، وحار عزرائيل في قبض روحه فحاربه اخيراً بسلاحه ،فحق للجـــاحظ ان يقول : اتق شر من احسنت اليه . مات الجاحظ ،بياع الخبز والسمك ، فاضطرب قصر الخلافة ، وقال المعتز بالله لوزيره : يا يزيد ، ورد الخبر بموت الجـــاحظ ! فاجاب يزيد معزيا الخليفة الكئيب : لامير لمؤمنين البقاء ودوام النعماء .

يقولون : لا يصدر عن القبح شيء مليح ، وانا لم ار أحلى واظرف واجمل مما كتبه هذا الرجل الذي هجاه الشاعر بقوله :

لو يخلق الخنزير خلقا ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

فاذا عدّت الامم كتابها وقيل للعرب بمن تعتدون ، فهل نستطيع ان نقدم احداً

على ابن بحر ؟ لقد كان بحراً حقاً ، وما زلنا على بعد عهدنا به نغرف من خضمه . اذا جلسنا اليه خلنا أننا نعيش معه في ذلك الزمان اذ يعرض علينا رجال عصره من ملوك وامراء وسوقة ، عرضا غريباً عجيباً. فمن منا لا يعرف باب بيته ، ومضيفته وسفرته الممدودة التي (لا تنقشع سماؤها لكثافة غيمها .) لقد شقّ للعرب طريق الثقافة وعبّدها ، ومهد عقاب العلوم فسارت الذرية في شعابها باسمة ضاحكة ، لا تلهث ولا تكلّ . وعى صدره علوم ومعارف البشر اجمع في زمانه ، فكان ، وحده ، جامعة تلقى المباحثُ عن منبره ، فتتلقاها الامصار معجبة ومكبرة .

فمن يقاس بابي عثمان الذي ناقش ارسطو كالاعرابي وجعل عقله حكماً يرشده الى نجمة القطب . فكم فك من عقد ، وكم حلّ من طلاسم أكبرها غشّ النظر ، فزخرت الحياة حيث مرّ قلمه . ارانا عوالم جديدة منها المكتشف ومنها المبتدع . ومن رأى قبل ابن بحر أن في غير القصور حياة ، بل من راز ادب عوامّ الناس قبله فصفّ الامراء والسوقة في معسكره ، فكانوا جميعاً ابطاله الخالدين . ان ادب الدهماء الذي يعارض به ادباء العالم اليوم ادبَ الطبقات العالية ، أنشأه منذ اثني عشر قرناً ، مولانا ابو الكريمتين البيضاويتين . فلئن فخر الفرنج بموليرهم فهذا موليرنا في بخلائه.

هنيئاً لمن تهكّم به الجاحظُ فقد ابقاه ... فما الاصبهاني والهمذانيّ والمعري وابن العميد القائل: كل من جاءوا بعدَ الجاحظ عيال عليه ، الا مقلدون له وآكلون عن طبقه حتى البشم .

قد يعجب من لم يقرأ كتب الجاحظ ان قلنا له : الجاحظ عالِم يدرس طبائع الحيوان والنبات والمعادن ، ولاهوتي يقضي عن الله في الارض فيجعل بعضنا لجهنم وقوداً ، ويجلس البعض على سرر متقابلين . حكم عقله في القضايا السموية ، وعينه في المشاكل الارضية ، فبنى بيته على البصيرة والبصر ، يوم كان الناس لا يفكرون. رحل في سبيل تمحيص العلم الى الاقطار حتى شرفنا بزورة يوم كان يقال : السفر قطعة من العذاب .

لم يعرف العرب قبل هذا الرجل المظلم الملامح ادباً نيراً ضاحكاً ، ادباً يترقرق فيه طيب الحياة فتقرأه كأنك في مجلسه الراقص . كان معلماً صادقاً فأفاد الالباء ، اما

المقلدون فرجعوا من عنده رجعة الحمار من العرس .

ما رأيت لعظيمنا شبيهاً الا فولتير، اديب اوروبا الاعظم، فكأنهما جبلا من طينة واحدة حتى اتفقا في ابن الاخت. صبهما الباري في قالب واحد ثم كسره وهيهات ان يبدع ثالثاً ... من يجعل من الحبة قبة غير الجاحظ ، فالله بشاعته ما احلاها ، وما اكثر خير دمامة خلعت على ادبنا العربي جمالا وظرفاً ، فهل لنا ببشع آخر يملأ عالمنا الادبي حقاً ونوراً بعدما مُلىء مواء وهريراً .

لقد كبر عقل الجاحظ عن السفاسف ، فما هال امتدادُ الظل ذلك الذي يحدق الى الشمس ويراعيها . لقد حطمّ النطّار الذي يُفزع ثعالبَ الحقول ومشى بحرية الفكر خطُوات ... ما عاق رجله القيدُ الذي كسره جدّ الانسانية الطالع ولا خنق عنقَه الغلُ ، فلم يكن ، والحمد لله ، (ثاني اثنتين اذ هما في التنور) ، بل عاش للعلم والحق والحياة والادب الحي . فلولا بقية وجدان في صدر القاضي ابن ابي دؤاد لانحدر النور وطمر كنز الثقافة في القبور الى يوم يبعثون ، وكان العرب بلا جاحظ . قيل ان انكلترة قد تتنازل عن احد مستعمراتها ولا تتنازل عن شكسبير . أفلا يصح هذا في الجاحظ ؟

ليس الجاحظُ الا تلك النبعةُ التي تخيلها الاخطل التغلبي في مدح اصحابه الامويين ، بل تفوقها الشجرةُ الجاحظية سمواً ، ففي كل فرع منها جمال ، وفي كل ثمرة طعمُ خلقه فيها كوثر الجاحظ .

ان إكسير (الحدقي) حقق احلام العرب وحول أتفهَ المعادن ذهباً ابريزاً ، ونفخ من روحه فيما كتب فأرانا في كل كلمة عرقاً ينبُض ، وفي كل جملة دماً حاراً يحترق ويحُرق . ان ذاك المركب الشنيع مستودع جمال لا ينضَب ، ظلّ حتى مضى لسبيله في موعة الشباب . ولا تزال جدّته القديمة تهزأ حتى الساعة بظرف هذه الايام ... اليس بيننا وبينه الفُ ومئةُ عام ؟ أجلس اليه لترى كيفَ انك تحدّث ابن اليوم لساناً ومعرفةً ، وتعلم ان لغة العرب تصلحُ لكل عصر لو احسن القوم التفكير ولكنهم قليلو المروءة .

ابى الجاحظ ان يكونَ تعبيرُ العربي كعباءته ، تصلح لكل شخص ولا تلائم

احداً ، فعبر بلسان فصيح يتصل بالحياة والأحياء ، فحرّك القلوب وانعش النفوس . وابى الا العملَ بكلوا من طيّبات ما رزقناكم فأكل أكل غير محتشم . تمتّع بالحياة استمتاعاً عريضاً ، وشاء بخته فكان طويلا ، وعاش للادب قرنا كاملا كتب في أخرياته بشقٍ واحد ، فحقق اسطورةَ العرب في كاهنيها سطيحٍ وشق أنمار.

ليت شعري ، هل عندنا رجل يُحد من الجهات الاربع غير الجاحظ ! والغريب اننا نرى كيف التفتنا ، رجلاً كاملا متينَ العضلات ، هو البحر من أي النواحي اتيته..

يعجزُ القلم عن تصوير الجاحظ في كتاب ضخم ، واشهد اني ما رسمت لاعظم شخصية ادبية الا صورة شمطاء كلحية الأشيب المحنّاة .

هذا الغرب الذي نقلده في الملبوس والمأكول والمشروب وكل اساليب العيش يكرم كبار ادبائه ويحيي ذكراهم من السنة الى اخر الارقام ، انه يحتفل بميلادهم وبذكرى تصانيفهم الخطيرة . فهل خطر لنا ان نذكر اديبنا الاعظم ولو بعد مرور الف ومئة عام !!

يسمع الناس ان للجاحظ كتاب الحيوان .أما من قرأه فيعلم انه كتاب الانسان، فهو مستودع كل مـــا عرفه الانسان في ذلك الزمان . يسرد الجاحظ كل ذلك باسلوب قصصي واقعي ، وهو لا يلقي سلاح الجدل والمنطق في جميع جولاته . ميزانه منصوب دائماً على منصة العقل ، وهو لا يقبل الا ما يسلم به تفكيره الصحيح .

كان الزمانُ اكبر مثقف لذلك الرجل. فحياته تاريخ قرنٍ كامل ،بل تاريخ زهرة العصور العباسية ، فقد شهدت عيناه الكبيرتان أعظمَ صراع سياسي وفكري ،وخرج هو من ذلك المعترك بنتـــائج باهرة لم يظفر بمثلهـــا اولئك الذين نعدّهم فلاسفة وعلماء .

كان مولانا اقدر الناس حجةً ،تبرز لك شخصيته من وراء كل عبارة خطها قلمه . لا ترتيب ولا نظام عنده ، ولا تبويب لما يكتب . مزج العـــلم بالادب ، والشعر بالفلسفة والحديث ، فهو كَرُخّ الف ليلة وليلة ، ينقلك من واد الى جبل ، ومن جبل الى بطحاء ، ثم يعيدك الى حيث كنت ، ولا تدري الا انك تقرأ الجاحظ . يتخير اجمل الالفاظ واحسن التعابير ويفرّ سريعاً من الاســـلوب العلمي الى مناحي

الادب حيث يتنفس بملء رئتيه .

واذا سألتني تحديداً للاسلوب الجاحظي قلت لك ماقاله ديكارت لخادمه: لا (تخربط) عدم نظام مكتبي ..

ان اسلوب الجاحظ هو عدم الاســـلوب ، فلا تحاول تقليدَهُ الا اذا كنت ذا شخصية كشخصيته .

★

ليلة جاحظية

كنت افكر في احدى امسيات تشرين بموضوع اكتبه بمناسبة انعقاد الاونسكو في لبنان فنمت مهموماً . وكأنما الاحلام بائتة تحت مخدتي ، فما اسندت رأسي اليها حتى سحت في دنيا الله الواسعة ، وبعد طواف اضناني رأيتني في بيتي في عين كفاع انشر على مكتبي كتاباً دهرياً فيه نخاريب وانفاق . وبينما كنت اتبين كلمة اكل اكثرها سمك المكاتب، اذا ببابي يدق دقاً غريباً فقلت : من ؟ فلم يجبني غير قلقلة المفتاح في القفل كأن فاعلها لا عهد له بالاقفال الحديثة .

وطال الدق والقرع ، فنهضت ارجف غضباً ورعباً وفهت بما يدور على لسان كل غضبان . وفتحت الباب بنزق فانشق عن رجل ما رأيت قط أبشع منه وجهاً ، بعينين مثل الكلوتين وشفة كقطعة من طحال ، مربوع بدين، كل ما فيه راعب حتى الابتسامة . فصحت من هلعي : اسم الصليب وذكر الصلبان .

فما راعني الا زائري الجميل يرد علي بقوله : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم .

فصرخت به لما انكشف عن انسي : وانت تبسمل ايضاً يا حلو !

فضحك وقال لي : لامك الهبل ، اوحسبتني شيطاناً ؟ اين الذنب والقرون يا ذكي !..

ولم يمهل حتى ادعوه للجلوس بل استوى على الكرسي ثم قال : اجلس ، جئناك ، قل ما تريد منا . فسكتُ . ثم حاولتُ الاخذ بالحديث فما قدرت ، وفيما انا اتفرس فيه رفع يده وحركها في وجهي قائلاً : لماذا تعوذت باقانيمك الثلاثة ؟

قلت : لأخزيك ، هكذا علمتني امي ، رعبني جمالك الفتان يا شيخ . وانت لماذا بسلمت ؟

فمجمج في حديثه ثم افصح قائلاً : اتراك اجمل مني ؟ احقاً خلتني شيطانا ؟

قلت : نعم ، ومن يدريني ...

قال : لعن الله تلك اليهودية .

قلت : مَن الشيخ ، ومن اين مقدمه السعيد ؟

قال : لولا عرفتني لانفرج شدقاك ، وامتلأ فمك فرحاً .

فقلت : هلا تقول وتريحني ؟

فاجاب بعد قليل : إنا نبلوك ليكشفك الامتحان ، كيف لا تعرف من تمنيت زورته ، وقلت ليته يعود الينا ساعة فنراه ، قد ادرك مالك شهوتك هذه فأشّر لي آذناً بالمجيء اليك .

فاستغربت حديثه وقلت له : منو مالك ؟

فاجاب بلا اكتراث : خازن النار .

قلت : اذن لا بد من جواز سفر حتى في مملكة جهنم ...

قال : لا يكون شيء الا من بعد اذنه .

ورأى ارتباكي وتعسر معرفته علي فاشار بمداره وقال : انك لا تفلح ، وما في الناس عبقري كشيخ النار ...

فعرفته بها وعلمت انه الجاحظ لا شك فيه ، فتمت اليه اصافحه قائلا : اهلا برجل ينوب عن الجحيم بنفسه . ليتك اسقطت عن نفسك هذه المؤونة . كنت امرت فذهبت اليك .

فكركر في الضحك قائلا :

كل آت قريب ... طرقتك زائراً الليلة وستردّها لي ، ان بي لشوقاً الى رؤية جهنمكم ، وتقبيل وجنتيك .

قلت : ابهاتين الشفتين القرمزيتين الرقيقتين ؟

فقال مشيراً الي : ليس اليق منهما بهذا الجمال الساحر ، والشباب الغضّ ، والجسم

البض" ... وكان يعض على الضاد فتخرج من فمه عريضه ضخمة كأنه لم يبرأ من الفالج كل البرء .

وامتد بنا السخر والتهكم والمزاح حتى تجرأت عليه ، وقمت اعلق في جيبه منديلا يقي صدره من اللعاب السائل . فضحك وقال : ذاك كان في دنياكم ، أوما تراني غير ما سمعت بي ؟ فضحكنا وقعدت استعط . فما رأى علبتي حتى انقض عليها بمخالبه الخمس كأنه يأخذ ملحاً لقدر هريسة ، ثم غيّب العاطوس في انفه ولم يعطس ولكنه تجلى وفرح ، ثم فرك انفه وقال ان عاطوسنا افعل من هذا وستفرح كثيراً يوم تصير الى جنتنا ذات اللهب ، فنظراؤك كثر هناك ، ان حفرتهم الذهبية ملأى من العاطوس الروماني ... انه اطيب من هذا .

قلت : ويحك ما امر نكتتك ، الا تتركها حتى في النار ، فكيف حال من فارقت ؟

قال : بخير يسلمون عليك .

قلت . بحياتك تقول لي اين موقع جهنم ؟

فأجاب : في الدرجة الثالثة والثلاثين من عقلك ... وما يهمك هذا الامر ، ان طريقها معلمة ، والمجاز غير قلق .

قلت : والزبانية اهم على كيدهم لنا ؟ وكيف حال لوسيفورس ؟

قال : نعم ، ولكنهم سيحتفلون بمقدمك احتفالاً لا تنساه .

قلت : ما بال هؤلاء الشياطين حاقدين علينا ؟ أنحن من وسدهم تلك المهاد ، ونحن وقفناهم على النار ؟ عليهم بميخائيل وجنوده من كل ذي جناح في الجنة ..

قال: هو كذلك في دين النصارى ، اما في ديننا فلولا سجدوا لآدم دخلوها.

وسكت بغتة ثم قال: قريتني كلاماً يا هذا .

قلت : عفواً يا عمرو ، الفرح ينسي ، ناهيك بأني تائق لاخباركم .

فاستبشر لما دعوته بأحب الاسماء عليه وقال اني لم اطعم منذ يوم وليلة ، فقدّ الزاد في الطريق ، ونفضت الجراب على رصافة هشام قدام كنيسة مار جرجس ...

قلت : وهل رأيت الاخطل هناك ؟

قال : لا اخطل ولا مخطل ، اين العشاء ؟

قلت : ليتك نفضت جرابك على هذا المكتب فكنت ارى طعامكم .

قال : سوف تراه وتشبع منه ان شاء الله ...

وسكت وسرت لاقول على عادتنا : اهلاً وسهلاً بالضيف ، شرفتني بأن جعلت راحتك عندي الليلة .

فصاح : اف ، اف ، حقاً انك بليد ، حطّ الطبق ثم ثوثر ما شئت .

قلت : حقاً انك جوعان و ...

فقال : هفوان ، اين العشاء وما هو ؟

قلت : هو مضيرة وسمك ، ورزّ بارد ...

فضحك وقال : يمسخك الله مثل رزك ، هات السمك والمضيرة ومرحباً بالفالج ..

فقلت : وكيف حـــال ابن ماسويه ، فقال : رفعه الله الى اسفل ، فصار طبيب خازن النار الذي سميته انت ... ماذا سميته يا ربي .

قلت : لوسيفوروس .

قال : اي نعم . ورأى الطبق مقبلاً فتحرك ليحكم قعدته فسقط بضعة مجلدات عن الرف فاجفل وانتصب .

فقلت : لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين. فأجاب وعيناه في الطبق: ولا كافر مثلك..

قلت : لولا تموت بها يا شيخ مرة ثانية فترتاح من عذاب النـار . فتبسم وقال بعد ان بلع اللقمة : اصدقت هذه الرواية ، فلو اهوى علي جبل عبّود، واطبق فوقي أحد لما فطست ...

وانقض على الطعام بالسكين والشوكة فقلت : كأنك ابن زماننا يا ابا عثمان !

قال : نعم ولا فخر ، قد علمني فولتير آداب سفرتكم .

وتذاكرنا الشعراء على الطعام فأثنيت على جديد بشار، فغص الجاحظ ومصمص لسانه ، فغمزت الخادمة فصبت له الخمر في كأس نواسية وتمثلت :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس

فانسته حلاوة ابي نواس مرارة بشار . فاستزاد من الخمرة المعتقة حتى كرع ثلاثاً اخطليات وقال : ان شرابك المفلفل لخليق بذاك الظريف الديّوث...

فقلت له : لقد اجدت يا استاذ العرب وسيد الادباء .

قال : وبماذا ؟

قلت : بقولك في ابياته هذه بلسان احدهم وهو جرّار: هذا شعر لو نقر لطن...

قال : حزرت ، وماذا يجس في صدر الدجاجة ...

وجاءت الجارية لترفع الطبق ، فصوب الجاحظ نظره فيها وصعده فقلت له : لا تخف ان عدت الينا مرة اخرى،فهي ليست سندية فتقول(الجاحد) او (الحلقي) بالباب. فبدهني بقوله : ولكنها تقول المسيو جاهز ، او المستر هدكي ...

وادركت حقارتي ازاءه فتوقيته ، ورفعت الحديث وقلت : ما ادري كيف اغفلك ابو الفرج الاصفهاني ولم يترجم لك .

قال : لانه مثلكم يعني بالشعر والشعراء ، ويبخس الكتاب اشياءهم .

قلت: الحق معك يا استاذنا الاعظم، ان العرب ليباهون بك،وما هذا الا نسيان، وان انا ذكرتك دونهم فلانني اتدارسك مع تلاميذي فانت احد الثلاثين (الخالدين) في منهاج البكالوريا اللبنانية .

وردد كلمة بكالوريا حتى استقام له لفظها وسألني: ما البكالوريا ؟ فخبرته فاستضحك واثنى ثم قال: وهل سألوهم عني ؟ قلت: نعم وكنت ميمون الطالع عليهم يا ابا عثمان.

اما الاحتفال بذكراك فهذا مجد للعرب، بل هو قسط من دين لك عندهم مستحق منذ الف ومئة عام ، اما هززت (العصا) في بيانك وتبيينك دفاعاً عنهم ، فالله انت من ابن بار ...

فتناول الكلام وقال : ولله انت ، ولله ابوك، ولله جدك ، يا اديب الادباء وسيد البلغاء ، وامام الفصاحة واللسن ، ونبراس الزمن و...

فصحت : وي وي وي وي ، ايش هذا ، حقاً انك ابن بحر . أخرفت يا شيخ ؟

فقال : لا والله ، عشت مئة وخمس سنين بعقل كامل ، ولكنك سررتني بكلام ففرحتك بمثله . اتريدني على الصمت وقد اطريتني حتى فلقتني .

قلت : انا لم اعد القيام بالواجب لك .

قال : ومن قال لك اني لئيم ؟ فأنا رجل لي بصر بالكلام وانشاؤه صناعتي .

قلت : لقد صدق ابن ابي دؤاد اذ وثق بظرفك ولم يثق بدينك .

قال : عليه لعنة الله ؛ فهو كسفود النابغة في سقر ...

قلت : انتشفى ، وانت كيف ؟

قال : في نعيم ، في نعيم مقيم ، ثم مسح فمه بكمه وقال : قم بنا فنزور الاونسكو ونرى ما عندكم من علم وادب .

فقلت : اما وقعت على غيري .

فأجاب : ان الطيور على اشكالها تقع . ان سيري معك أستر لي. مجنون انا حتى انتقي غيرك خرّيتاً .

فصحت : يا ويلاه . اما وجدت غير كلمة خرّيت يا ابا عثمان ؟!

فضحك وقال : لكل مقام مقال ...

وبلغنا بوابة مدينة الاونسكو فرأى الاعلام منصوبة على الركائز فعدّها وقال وهو يقهقه : ام اربع واربعين ... وما دخلنا قاعة المحاضرات حتى سمعته يقول : كأنها دارة جلجل .

فقلت : أتراها صالحة لاحدى اللذات الاربع المنقوصة . فأجاب: لو كان فيها ماء .

وشاع الاستغراب والرعب في وجوه النظارة والهيئات حين دخولنا . ظنونا من عالم آخر ، اما المحاضر فكان يتحدث بحرارة عن السلام والمحبة . وافاض في الكلام فمال علي الجاحظ وقال : دعنا من سحر الكلام ، فهو ألهيّة لا غير .

ودق جرس التلفون فانقطع الحلم . كان المتكلم الاستاذ بهيج عثمان يطلب مقالا للاونسكو فقلت له : الليلة يكون عندك ، ولكني كتبت موضوعاً آخر يطابق مقتضى الحال ...

ابو عثمان وابو علي

هذا رغيف عتيق جداً ، من كعب الجراب ، بالغ من العمر سبعة عشر ربيعاً . العمر كلّه ان شاء الله ، وهذا غير بعيد ما دام الادب عندنا عنوان بؤس ، وحسبك برهانا على هذا ، كلمتنا المرددة منذ ايام ابن المعتز : ادركته حرفة الادب .

سبحان مقسم الحظوظ ! فبينما نرى العراق يدعو رجال الفكر في اقطار المسكونة ليحتفل بذكرى ابي علي ابن سينا اذا بايران تدعيه ، وكذلك تركيا .

اما الجاحظ الاديب ، العالم العربي الاصيل، فرجونا بشأن ذكراه الالفية وزيرين عراقيين السيدين صادق البصّام ويوسف عز الدين وما عملا له شيئاً .

كان ذلك عام ١٩٣٦ فجاء جواب البصام كما تقرأ : نشكركم جداً على ما ابديتم من عواطف سامية في كتابكم المؤرخ ١٩٣٦/٦/٢١ . راجين لكم اضطراد التقدم والنجاح في خدمة العلم والادب. وفقكم الله لما فيه خير البلاد وصلاح الامة .ودمتم بخير.

صادق البصام

وزير المعارف

وراح البصام بعد اشهر وجاء عز الدين ، فكتبت اليه فكان اكثر اهتماماً من سلفه وذهب الجاحظ بلا ذكرى ، وان كان الخالد بدونها .

ان ما حدث اليوم بين دولتي العراق وفارس ، هو وفق لما يحدث في كل بلد . يختلف (ملاّكان) على شبر ارض ويهملان املاكهما الواسعة ، ويتركانها بوراً بلا حرث ولا غرس .

قرأت في جريدة تلغراف : « ان الايرانيين يعتبرون ابن سينا مواطناً لهم بسبب

ولادته في احدى مناطق بلاد العجم . » هذا ما ظهر اليوم ، اما الحقيقة فهي ان الايرانيين لا يعتبرون ابن سينا ، وحده ، عجمياً ، بل يحصون في تاريخ الادب الفارسي الكثيرين من كبار رجالات الادب العربي كابن المقفع ، وبشار بن برد ، وبديع الزمان ، وغيرهم . لقد طالعت هذا المؤلف منذ اعوام فقلت في نفسي لم يبق لنا غير ابي عثمان ، ولما وقع حول ابي علي هذا التنافس تذكرت هذه الصفحة مطوية ، فبعثتها من مرقدها .

ان الشيخ الرئيس ابن سينا عظيم حقاً ولكن هذا لا ينسي العراق ابنها الاصيل . ان الرجل الذي دق اسفيناً في كل صخرة من صخور الفلسفات والمذاهب ، ولم يسلم من غمزاته احد حتى ارسطو ، ليستحق ان يحتفل وطنه ولسانه بذكراه .

ليت شعري ، ايفاخر العرب الموالي ، فخراً لا غبار عليه ، بغير الجاحظ والمتنبي والمعري ؟ لقد قضت الشام واجب الاثنين وما بقي غير هذا ، فهل تهتم العراق بابنها العبقري ، ولو بعد فوات الاوان ؟

التقى الجاحظ وابن سينا في حرم العقل ، واحب كلاهما الحياة وملاذها . واذا كان الشيخ الرئيس ابن سينا قد عالج الجسد ، فالجاحظ هو اول من طبب العقل وفك عقاله . واني لاستطيع القول ، ولا ينكر علي احد ما اقول : ان الجاحظ هو اول عربي دق باب الايمان المصفح بيد الفكر الحر ، ففتح امام الفارابي وابن سينا والمتنبي والمعري وغيرهم باب الشك في (جاحظيته) ثم في كتبه ، فجرّأ ابن سينا على القول فيما بعد:

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في امر الخروج

كانت حياة ابن سينا (عريضة قصيرة) كما كان يقول انه يريدها ، وكانت حياة الجاحظ طويلة عريضة ، وكلاهما خلف لنا تراثاً ضادياً خالداً ، فمن الانصاف ان يسوّي العراق بينهما في التكريم والاجلال .

أليس الاقربون اولى بالمعروف !

زيارة شاعر

صافحته مرحبا ونفسي تقول لي انه المتنبي ، فصعدت نظري فيه وصوبته ، وقلت له : كن ابا محسّد ، فاجاب : انا ذاك . واجـــال نظره في مكتبي ثم استوى على امثل كرسي .

قلت : منذ شهر وانا اتلفن الى الجنة ثلاثا ، كل يوم ، فلم يجبني احد لا رضوان ولا بطرس . وتلفنت الى الجحيم فاجاب مالك ليس عندنا مَن اسمـه ابو الطيب ولا المتنبي ، ولا احمد بن الحسين ، فضربت لك الكائنات كلها ولم يأتني نبأك ، فمن اين هبيت ؟ بحياتك تقول لي ؟!

فاجاب بصوت يكاد لا يسمع :

وهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه

قلت : اذن لا جحيم ولا نعيم ، وانت بين بين ..

فبسم كالساخر وقال : اما فرغتم بعد من هذه المعضلة ؟ عدّ عن ذا...

فقلت بعد صمت يسير : كيف نجدك بعد الف عام ؟

قال لا احمد الله على شيء.

قلت : ولا تقول ان شاء الله..

ففطن لها واستضحك قائلا : وكيف انتم ؟

قلت : كما وصفتنا منذ عشرة اجيال بقصيدتك : أحق عاف بدمعك الهمم..وجعلت انشدها حتى اتيت على خامس بيت ، فزفر ، وامسكت . وخفت ان يبرح بغتة فقلت له : من غرائب الاتفاق ان تحتفل بيروت وباريس بيوم واحد في ذكرى شاعرين

كلاهما شغل الناس .

فكشر عن اسنانه واجاب : ولا فرق بين الذكرين ، ذاك تحت قبة المجد ، وانا تحت المصابيح الحمراء ...

فظننته يهزل فقلت : واين تريد ان يضعوك وانت القائل :

كم قتيل كما قتلت شهيـــد لبياض الطلى وورد الخدود
يترشفن من فمي رشفـــات هن فيه أحلى من التوحيـــد
كل خمصـــانة ارق من الخمر بقلـــب أقسى من الجـــلمود

أوتطمع بعد هذا ان تكون بين الكنيسة والجامع !

فنظر الي نظرة كادت تقتلني .. وكان سكوت .

وحضرت القهوة فحساها بعد امتناع ، فاستعطاف. ورأيت الاجمل ان انكب عن هذا الحديث فقلت : أترى اعمى المعرة في جوكم ؟

فاجاب : نحن الشعراء لا نعرف الا من تقدم ، اما من تأخر فيعرفنا ولا نعرفه .

قلت : تعني ان المعري استضاء بنورك ، وفصّل ما أجملت .

قال : واقول اني لا ازال نهباً مقسما للشاعر والشويعر والشعرورمنكم.

قلت : ان في لسانك اثراً من كل مصر.

قال : الا تذكر قولي : ابداً اقطع البلاد ...

قلت : واليوم ، اين بيتك ازرك في ديوانك ؟

قال : اما منزلي فكما علمت ، واما ديواني ففي دواوين شعرائكم .

قلت : ما عنيت هذا يا احمد.

فامتعض لانني لم اكنه ، الا انه ابتلعها وقال : بلى واكثر من هذا انت تعني .

فانجر الحديث وقلت له : حقا يا ابا الطيب لقد نهجت نهجاً جديداً في الشعر العربي وقلت كلمات لا تفنى ، ابصرها العميان واسمعت الصم .

فانتفش وطابت نفسه ، فقلت : ولكن . ــ وحدقت اليه فاذا الغـــمامة تنشر مطارفهـــا ــ ولكن لو ... لو نظمت لنا ملحمة عربية كشاهنامة الفردوسي لتم ادبنا كما يزعمون .

فحك صلعته واتسعت حدقته ، وانتظرت الجواب فقال بعد اطراق : ما عرفت شاعراً اسمه الفردوسي .

قلت : ولا ابا القاسم ؟

قال : اعرف كثيرين ولكن بلا شاهنامه . ثم زحزح كرسيه واقبل علي وتوكأ على الطاولة حتى واجهني وقال :الشعر يا اخا العرب، عسجد يضرب نقوداً على السكة الرائجة ، فلو قامت لكم سوقنا فعلتم فعلنا .

قلت : ولكنها دنانير تفر من البنان .

فتعالى وقال : اقرأتها جيداً ؟

قلت : مرات.

قال : اذن انت تدرك اننا نبز الشعراء لو قلنا مثلهم .

قلت : نعم يا سيد المتقدمين والمتأخرين ، ويا عظيم شعراء الارض قاطبة .

قال : كنت تحدثنا بهذه اللهجة ، من قبل ، فتطيب نفسنا،فومن نفسي بيده كنت ظننتك الصاحب بن عباد.

قلت : لا أحكم فيه شططاً ، فوالله العظيم لولا انك تستحقها لما سمعتها مني وانت المتنبي .

قال : انك تغيظ الناس وتحفظهم عليك ، يريدون الثناءمن فم قربة وانت تقطره تقطيراً .

فقطعت عليه الكلام وقلت : اما سمعت حسين هيكل يغفر لك بلسان مصر هجوك اللاذع ؟

فانتفض وقال : وما ذنب الامة فاهجوها ، فوالله ما كنت الا محرضاً لها على ذاك العبد المخصي .

قلت : فلندع ذا ، أعرفت لبنان قبل العام ؟

قال : عهدي به بعيد ، وكان ذلك في الشتاء .

قلت : اذن انت تستحق شكر لبنان .

قال : وعلى ماذا ؟

قلت : على هذا ، اما ذكرته ؟ وحقك لو دروا بوجودك لمنحوك وسام الاستحقاق اللبناني الاسمى .

قال : وما الوسام ؟

قلت : سبيكة صغيرة من النحاس او الفضة او الذهب .

فهش ، يا سبحان الله ، عندما ذكر الذهب .

وكركر في الضحك اذ درى ان الوسام يشك في الصدر .

وخرج التلاميذ للتنفس ربع ساعة ، وكان من دروس يومهم : لا افتخار الا لمن لا يضام ... احدى فاتنات المتنبي ، معشوقة الملك فيصل رحمه الله ، فاخذوا ينشدونها اجواقاً ، بصوت جهوري لتعلق في اذهانهم ، فانتهض المتنبي فجأة وبرز لهم من الشرفة.

فما ابصرنا التلاميذ حتى صاحوا بملء افواههم: يعيش الشاعر العربي ، يعيش يعيش يعيش ، وهم يظنونه معروفا الرصافي ، كما صورته الصحف في عباءته وكوفيته وعقاله .

اما المتنبي فاخذ يختفي — كظل صموئيل من وجه شاول بعد ما احضرته عرافة عين دور — وسمعناه يردد في الفضاء :

وتركك في الدنيا دويا كانما تداول سمع المرء انمله العشر

قادة ذهبوا

الاب هنري لامنس
عمر فاخوري
عمر في يومه الاسود
في ذكرى عمر
المونسنيور فغالي
ابو شبكة الكاتب
فؤاد سليمان الاديب والشاعر
خمسة في عام واحد
ابراهيم عبد القادر المازني
المنفلوطي ورسالة الغفران
ابو الفضل الوليد (الياس طعمه)

الاب هنري لامنس

المستشرق البلجكي اليسوعي

« لا حاجة الى ان نبين لقرائنا مـا ينجم من الفوائد الجمة من تشكيل جمعية تاريخية في سورية كما وصفها الاب لامنس ، بـل يأخذنا العجب من عدم انشائها حتى الآن ، لاسيا ان بلاد الشام من الاقطار التي توفرت فيها الآثار التاريخية . ونحن الاوربيون نبني امالاً طيبة على جمعية تاريخية يكون اعضاؤها شرقيين لان ابناء البلاد ينالون بزمن قليل مـا لم ينله الغرباء بعد الجهد الجهيد ، واذا تشكلت هذه الجمعية بادرت الجمعيات الاوربية الى مكاتبتها فتقوى بذلك على اتمام مشروعات علمية ذات شأن خطير . »

الدكتور ج. كمبفماير
متمشرق الماني

توارى وجه الاب هنري لامنس في ظلمة القبر فانطوت صفحة مجيدة من محققي تاريخنا المجيد ، واثارنا الدالة على من سلكوا هذه الطرق قبلنا .

كان لامنس لا يصيح ولا يماحك ولا يطفي سراجاً مشعلاً ، حياة كلها عمل لا تعرف الملل ، وعزم لا يفله الكلل. لقد ترك فيما كتبه هذا العلامة المفكر منارة للتائهين في مجاهل التاريخ ، يقرأون على ضوئها الوهاج سطور المعضلات المبهمة ، ويفكون اختام الامس . عاش الرجل مجرداً عن الاهواء ، وكتب منزهاً عن الغرض لا يتعثر

علمه بدينه ، فمات بريء الذمة .

حرث كرم ربه من الصبح الى المساء ، واشتغل من الفجر الى العتمة ، فاستحق دينار ربه حلالا زلالا . لقد ترك آثاراً تدل عليه فلننظر اليها باحترام واجلال.

لقد احيا الاب لامنس آثار لبنان ، فعلى لبنان ان يمجده .

لقد احيا لامنس ملوك بني امية ، فعلى وريثة ذلك المجد النبيل ان تكرمه .

لقد احيا لامنس صفحات مجيدة من تاريخنا العربي فلنكتب اسمه في امثل صفحة من هذا التاريخ .

كان لامنس ضيفنا، ولكنه ضيف فعل ما عجز عنه رب البيت ، فلنتعاون على تكريم ذكرى هذا الضيف الذي لم يحسب قط انه غريب . فمنذ اربعين عاماً كتب (هيّا بنا على درس تاريخنا .) ثم درسه فأحياه .

ارأيت هذه (النا) في تاريخنا ما اعذبها واحلاها في ذلك الفم الطاهر . لقد انطق لامنس خرائب لبنان المبعثرة ، وخلق من صخورنا الارملة لساناً فصيحاً يخبر بأعمال السلف ، وجعل من قلمه دعامة تقيها الانهيار ، ولكن يد الجهل محت كثيراً مما ابقت يد الدهر منها ، اذ لم تتحقق فكرة الاب لامنس بتأسيس جمعية وطنية تصونها .(راجع كلمة الدكتور كمبفماير)

ان لبنان يا لامنس ، بتلاعه وحصونه ، ومعاقله وكهوفه ، بكنائسه المسيحية ، وهياكله الوثنية ، من قرن رأسه الى كعب رجليه ، من الشمال الى الجنوب ، يذكر وجهك الصابر على معارجه واوديته ، وجباله وقممه ، وهو يقف اليوم حيال قبرك يرثي ذلك الجهاد الصامت والثبات الباش .

حدثتنا في ما كتبت عن اثارنا كأنك ابن عمنا ، وواحد منا ، وقمت تحثنا على حفظ اثارنا ، وتقرئنا سطور امجادنا بالمدلّ ، فليشاركنا اليوم في تمجيد ذكرك من أرخت معابدهم ، وانتزعت ذكراهم من فم العوادي .

ان ابنَي بلدي، ادونيس والزهرة، يمشيان معي في موكب مجدك فهل تقبل تمجيدهما لك ؟ لست اشك في ذلك ، فانت عشت للتاريخ ، والتاريخ لا دين له ، وهما من ابطاله الخالدين. هما بطلا الاساطير اللبنانية العالمية ، انعشت سيرتهما الحياة العقلية زمناً

في هذا الجبل الذي سرحت بصرك في اثاره ، ثم شاء ربك ان تنام على ساحله الضحوك تناجيك نجومه الساهرة وشمسه المتجردة ، فنم بأمان الله يا لامنس .

لو مات لامنس في غير لبنان لتولت الحكومة دفنه ، ولو كان راهباً . ما كان لامنس للاباء اليسوعيين ، وحدهم ، بل كان للبنان ، وللعرب اجمعين . فمن لنا بأمة تعيده تمثالا يذكرنا بأياديه البيضاء على تاريخها المجيد . ان لامنس احيا الامة واثارها فلتحتفل الامة على الاقل بذكراه .

اين انتم يا هواة الادب ! ألم تعينوا بعد تلك الساعة التي نجتمع فيها لتعظيم رجل خلق العظمة من صخورنا ، والمجد مما نمر به ولا نشعر بفخامته ! ففي مفرق كل قمة من قممكم تاريخ شعب هداكم اليه لامنس .

لست ادرس الآن ما تركه هذا الكاهن من اثار ، ولست انقد واحلل ، فانا لم اقرأ من اثاره الا ما نشر في بيروت ، ولكن هذا يكفيني لاكتب مقرّظاً بفضل رجل على امة منثورة تحت سماء الله الواسعة . فهل يضيع فضل رجل في امة شيمتها عرفان الجميل ؟ اللهم لا .

اننا لا ننصف الاب لامنس اذا لم نعرب عن شعورنا نحوه بأثر فخم يذكرنا بفضله علينا ، وهذا اقل ما يجب نحو هذا الراحل الجبار . فهلموا يا اصحابنا الى احياء ذكرى علامة جليل . أيموت رخيصاً من انفق اغلى ما يملك على درس بلادنا دراسة عميقة هي ذخيرة لنا !! فهذا الفقيد العظيم متمشرق فاهم ، وليجز الله عنا العلماء الفهماء ، فهم سرج الازمنة .

عرفت لامنس في وادي عين كفاع الرهيب . عرفته يوم كان نشيطاً يفر مثل الطوير ، ويتسلق جبلنا (العاصي) ليصعد الى الكهف الاشدق ، ليكتب عن (دير القطين) ويصف (سيدة البزاز) (تسريح الابصار ج١ ص ٩٢ .)

كنت يومذاك فتى لا اعرف عن لامنس الا انه (بادري) كما قال لي معاز الضيعة ، ولامنس لم يلتفت اليّ الا مرة ليأخذ عني اسم الدير والكنيسة كما يعرفان . وانا ما كنت اطمع منه الا (بصليب وايقونة ومسبحة) ولكنني لم اظفر بشيء ، غير تخزق ثيابي ، فعدت الى الضيعة ليضحك مني رفاقي ، وانعت انا هذا البادري بالبخل .

ومنذ تلك الساعة لم ار َوجهه قط ، ولم اعرفـــه فيما بعد الا من صورته المطبوعة لا اذكر اين .

وجاء بعده بادري يحمل مطرقة يكسر بهـــا الصخور فلم اذهب اليه بعد خيبتي الاولى ، واظنه زمّوفن الجيولوجي .

فهل حمل لامنس على صعود جبالنا ودخول كهوفنا المخيفة غير خدمة العلم ؟ فلننهض اذاً جميعنا لتكريم العلم ، والعلماء المخلصين بشخص هذا الفقيد الغالي .

انني اوجه كلمتي الى الذين عرفوا لامنس ، ومن منا لم يعرفه ! من منا لم يقرأ شيئاً من فصوله الرصينة ، وكتبه الثمينة التي تلقي الاشعة الثاقبة على ظلمات تاريخنا . انني اوجه كلمتي خصوصاً الى ادباء الشباب الذين سيرون معيناً اصفى من عين الديك في آثار لامنس ، فقد عبّد لنا الطرق القلقة المجاز ، فلنتذكر جميعاً هذا الغريب الذي احب بلادنا حباً جماً ، ومات تحت سمائها . فلنجعل ذكره ممجداً .

انا عالم ان شعار لامنس كشعار رهبانيته (لمجد الله الاعظم) فالله نسأل اولاً ان يجزي من عمل لمجده ، ثم نسأل الناس ان يحملوا قسطهم من الجزاء (الفاني) تشجيعاً للاحياء واعترافاً بفضل المحسنين .

*

عمر فاخوري

عمر فاخوري اديب حسن السمت . في وجهه حيرة مقعدة ، وابتسامة مغلقة لا تدل على صاحبها اكثر من دلالة بعض الاعشاب على ينبوع مكبوت في حشا امه . حديثه متقطع مفردات وجملا ، لا يكر في حديثه ، ولا يكر كر في ضحكه ، فأخونا في الامرين مكره لا بطل . ليس بالكهاكه ولا بالجهم ، وهو على سلامة البشر من يده ولسانه ، عقدة يصعب فكها .

اقوى سلاحه ، وادل ما فيه عليه ، تلك الابتسامة التي نوه بها عمر في (اديب في السوق) فقال: لكني، لحسن الحظ، ابتسمت، فغاظته ابتسامتي الخفيفة كشيء ايجابي.

افلا ترى مثلي كم في قوله (لحسن الحظ) من عرفان لقدر تلك الابتسامة الخرساء!

وقد ذرّ قرن هذه الابتسامة في الصبا فكلمت الناس في المهد ، اذ (اضاءت عتمة الصف ، فكسر الحساب عصا الجغرافيا على ظهر عمر ، كما حدثنا في (لاهوادة .)

ان كيد ابتسامته لعظيم ، فهي شكته ، اديباً ناقداً ، في (الباب المرصود) و (الفصول الاربعة) وهي عتاده ، كاتبَ نضالٍ في (اديب في السوق)و(الحقيقة اللبنانية) و (لا هوادة .) انها لفي كل مكان ، تتحدث بنعمة رب عمر على الادب. وان آسف ، فما اسف الا على الحوار الذي جرى بينه وبين منكر ونكير ... اترى فعلت ابتسامة عمر فعلها هناك فأضاءت تلك العتمة الضيقة ... عتمة القبر .

من الخير ان نفي هذه الابتسامة الشاحبة حقها من التصوير ، فقد كانت تشع في العينين والجفون والانف والفم ، حتى تخالها تطل عليك من شرفات الحاجبين . انها موزعة في جميع قسمات الوجه ، ولكنها في كل مكان ابرز منها في مكانها ، اي الفم ،

فقلما كان ينشق انشقاق القمر !

الباب المرصود والفصول الاربعة أحلّا عمر مقاماً رفيعاً في الادب . بصيرة نقادة تنفذ الى الاعماق ، وعينان كأشعة رنتجن ، واسلوب ملك صاحبه ولا غبـــار على عروبته ، متأثر بلغة الكتاب العزيز والسلف الصالح ، وفي جعبته، دائماً ، لقاح جديد، فيغرز ابرته الدقيقة برفق في الشرايين المتصلبة . واسع وعميق في الفصول الاربعة ، يشبع الفن تمحيصاً ، ويجول مع (ألنْ) صاحب نظام الفنون الجميلة ، كما سمّاه ، جولات جد موفقة .

يمزج ادب العرب بأدب الغرب ، فيزاوج ويقارن بين الادمغة المختلفـة . يجسها جميعاً كأنه يقلب رؤوس بطيخ لينتقي منها الانضج والاذكى . فبينا تكون في حضرة المتنبي اذا بك تصطدم بأبي نواس والجاحظ والجرجاني والبحتري الخ ، وهيجل وفرانس ورنان ودوستوفسكي وبلزاك وفلوبير وديكنز . وكذلك شأنه في كتبه الاخرى فينقلك من عند كبلنغ شاعر الانكليز، الى مارك توين فـكاهي الاميركان ، الى هينـّقة نابغة العرب في الحمق ، ولا ينسى غاليلو .

نعى عمر على الادباء ترفعهم عن (الواقع) فسماهم ادباء من حبر وورق ، لا من لحم ودم . ثم هجر البرج العاجي الذى تعود الادباء ان يكنكنوا فيه مجترين.. ونزل الى الساحة عارضاً رمحه ، فأرانا كيف يسمن الادب على الواقع . وهكذا اصبح عمر كاتب نضال ، ورجل عمل ، ولكنه ظل اديباً لم يتخل عن اسلوبه ولا عن خياله ، ولا عن الاخراج الفني لمقاله النضالي. فهو في النضال كرخ الف ليلة وليلة،ينهضك من اعماق الاودية ليحط بك على شماريخ الذرى . ان فحص القلب ضروري لقاريء عمر ، والا فمن يكفل سلامته اذا رافقه صُعُداً وقدماً ، وانقضاضاً .

يبدأ عمر مقاله النضالي فلا تدري الى اين يذهب بك حتى تصل . تخاله يحدثك عن الادب المحض ، فاذا هو نضالي بكل ما بالنضال من شدة وقوة،قوة يخلقها الاسلوب، وشدة تولدها العاطفة الوثابة ، وفن تبدعه المخيلة ، فتخلق اشياء من لا شيء .

ان عمر في مقالاته النضالية كفحول شعرائنا الاقدمين ، كان اولئك يتغزلون ويتخلصون الى الممدوح ، وعمر يبتدىء بغرائب عجائب ، تارة من عند ابن خلدون ،

وطوراً من عند ابن بطوطه . اسهم حادة تمده بها ثقافته الواسعة فيصوبها فكره الثاقب الى غرضه بزخم رائع ، فيهاجم الفاشستية او يمدح السوفيات والحلفاء . فاذا كان للشعراء المداحين تخلصات غير حسنة ، فاشهد اني ما وجدت لعمر تخلصاً غير ساحر .

يعجبني مزجه النضال بالادب ، ونفخه الروح الفنية في هذه المواضيع التي تلوكها الاقلام في كل ساعة . انها لتخرج من معرض جمال هذا المزين اللبق باحسن توالت .. حلي ، وغلائل فتانة تستر العورة ولا تخفي الجمال ، ولا تعفّي على الفتنة .

لا يفارق عمود الادب والفن في احرج ساعات النضال ، فهو السياسي الاديب ، والمدافع عن قضايا (الحمر) بتلب لو عمر بمثل هذا الايمان لأمسى في الجنة ، وهو في حلل خضر !! لا يقف عند الحوض ، ولا يروعه عبور الصراط .

قالوا : ما دخلت السياسة شيئاً الا افسدته . اما انا فأقول : حاشا ادب عمر . قد وطدت كتبه ايماني بان الاديب الاصيل لا يتخلى عن خاصياته حتى في قاع جهنم ، حيث تسيل النار انهاراً ،وتصطخب امواجاً . اقرأ فصله (البرج العاجي) في اديب في السوق ، تعلم انك من الادب في نقطة البيكار ، وان هناك درة ثمينة التقطها عمر من السوق . اقرأ كلمته عن لبنان في (الحقيقة اللبنانية) تعلم ان هناك مصوراً وشاعراً يحدثك عن هذا الميليمتر من خريطة المسكونة .

قال الرسام الفرنسي النابغة دومه : يجب ان نكون من زماننا . فقال عمر :يجب ان نكون من زماننا ، وفي زماننا ، ولزماننا . ثم كان كما شاء ، وظل اديباً كبيراً .

يتكلم عن رسالة الاديب فيقول :«كان للانبياء ، وحدهم ، رسالة . فاذا كل من عليها له رسالة: الطبيب، والمعلم ، والصحافي ، والمحامي، ويتبعهم الاديب ، حلة مبهرجة لستر الفاقة . حبذا لو ان هؤلاء يقلون من التبجح برسالتهم اقل كثيراً ، ويكثرون من اداء وظائفهم اكثر قليلاً »

ويتحدث عن لبناننا فيقول باسلوبه المعهود :«لقد اتى علينا زمن في لبنان وبين الطائفة والاخرى ، او بين ابناء دين وابناء الدين الاخر كالحدود التي تفصل وطناً عن وطن . كدنا نحتاج الى جوازات سفر بين الطوائف والاديان » .

اجل يا اخي عمر ، وبكل أسف اقول لك : قلما نجد ، حتى اليوم، من يؤشر على

هذه الجوازات ، ولاقل نسمة ترفع الطائفية اذنيها ، ولاقل بادرة تقفل الحدود .. كما كنت ترى بعينيك .

ان اسلوب عمر النضالي يحمل ابداً سمة الادب الرفيع . اسمع كلمة من فصل عنوانه : كلّ شيء يتغير .

« كل شيء يتغير ، حتى النازية التي كان لها لبدة الاسد ، تغيرت . ها قد نبت لها في الصقيع الروسي صوف حمل للدفء ، وفي القيظ الافريقي ساقا نعامة للهرب .. اما الجيش الايطالي فقد لبس باديء بدء جلد الحمار لعدم الفهم » .

وبعد ، فمالي والتعجب ، ان عبقرية الكاتب الكبير تقوده في جميع الافاق والدرك. في مصنع يخرج منه كل ما يدخله مطبوعاً بطابع الفن ، من ذبّان الجاحظ الى الانتخاب في لبنان عند عمر .

ليهنأ الاتحاد السوفياتي ، فله في اللسان الروسي كاتبه العظيم الحي ايليا اهرنبورغ، وله في لسان العرب عمر فاخوري ،اديب العرب، الذي مات . كلاهما نضالي اديب ، والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر ، كما قال شاعر بني امية ، النضالي الأسبق .

عمر في يومه الاسود

لا اظنني امنح عمر فاخوري وساما بعدالموت اذ اكتب عنه هذه الكلمة المغمومة. لقد تناولت عمر في ما مضى جملةً وتفاريقَ ، والعهد بآخر كلمة غير بعيد . كنت فيها مصوّراً ومقارناً وباحثاً جهد الطاقة .

لست آسف على سنوات عجاف يعيشها عمر ويمشي فيها ادبه مشية السرطان في بدنه . لقد احسن القضاء صنعاً اذ جذب ثنيَي الطوَل المرخى وأراح عمر من بقاء هو فيه .

عليل في مكانين من الاسقام والدَين

كما قال الجاحظ عن نفسه في آخر العمر .

عدت عمر اول مرة فخلتني امام موميا‌ء تحدثني ، فارتعت ثم تجلدت لئلا أريعه ، ولعله قد رأى ذلك في وجهي حتى قال لي : وجهك اصفر !!

فاجبته : الدرب طويل ، والسلم عال ، وانا ابن ستين ، فاصبر عليّ قليلا يعد جمالي الهارب !

فابتسم ابتسامة دميمة جداً وقال : تتهكم عليك اذا لم تجد واحداً غيرك ...

فقلت : ما وجدت ترياقا لسمّ الحياة أشفى من الهزء بها وبناسها ...

*

رأيت اليرقان قد خلع على عمر كل ما عنده من زعفران ، فسألته عما به ،فاجاب بعد سكوت لا اجد له نعتاً : قلة العافية ، وعناء الحمية . الغمرة انجلت ، ولكن ...

قلت : دعنا من لكن . السلامة غنيمة يا اخي .

فاطرق ولم يجب ، واطرقت مثله ألوم نفسي . وطال السكوت فقلت له : متى تعود الى عشك ؟

فاجاب بهزّ شفتيه ، فعلمت ان للبرقان احلافاً تشد ازره في حرب عمر . ثم مشى بيننا حديث متقطع ، موجع ، انصرفت على اثره بامل قصير الخطى .

وبلغني ان عمر عاد من عند امه ، فهرعت لاهنئه بالسلامة فقالت لي الخادمة : معلمي في السبيتال .

فقلت : والست ؟

فاجابت : معه . فكملت طريقي الى المستشفى الاميركي فلم استطع مقابلته . وتلفنت مراراً اسأل عن صحته ، فكان الجواب برداً وسلاماً .

ثم فصل بيني وبينه الصيف ، فما ضيعت اللبن فيه . وعاد عمر الى بيته فجئته مستكشفاً ، فرأيته لا حيّا يرجى ولا ميتاً فيسلى . وتسقطت رأيه في نفسه فوجدته عريض الامل ، كبير الرجاء . وقعدنا حيث اعتدنا ان نجلس فلم يشك عمر الداء بل شكا سوء الحال وقلة الوفاء .

رجونا ان يكون سفيراً احمر فاذا به يمسي شهيداً اخضر ... وتباحثنا الغد ، فاذا بصاحبي متبرم ساخط . تعاون عسره ومرضه على هيكله الواهي . عاف عمله في الاذاعة انتصاراً لوطنه فذاعت القلة في كيسه ، وخسر موردين : الاذاعة وكلية الاداب ، واثقل دينه ظهره . لم يبق له غير جراية وظيفته الحكومية وهي لا تسد ثغرة العقاقير ، فاضطر الى بيع اعز المقتنى ، وكانت مكتبته كبش المحرقه .

قال لي : غداً — وغداً بمعناها اللبناني الواسع — ادع كل هذا وانصرف الى العمل حراً .

فقلت : وما نويت ان تعمل ؟

قال : اعود الى المحاماة ، واعلم معك اذا اقتضت الحال .

وحدقت اليه لعلي ادرك عمق يأسه المريح ، ومدى المه ، فرأيت بريق زجاجتيه قد تضاءل ، وزيت قنديله قد شحّ فقلت له : يا قليل العقل ، تعود الى المحاماة والتعليم بعدما خيمت في الشاطيء يا ابا منذر !

فانفرجت شفتاه زهاء ميليمتر ولم يجب ... فقلت له : كفاك الله شرهما يا عزيزي، فالذي لم يسهل عليك عمله شابا يعتاص عليك كهلا . اما سمعت قول المثل اللبناني :بعد ما كبر وشاب حطّوه في الكتاب ؟

قال : ولم لا تقول شيخاً ؟

قلت : لكيلا اصير انا هرماً .

فضحك ضحكة فزعتني ... ليس بينها وبين ضحكة الهيكل العظمي فرق كبير.

كان عمر قليل الكلام معافي ، فكيف به وقد هدّ حيله اليرقان ، وله كبد مقروحة لا يبيعه احد بها ، كبداً ليست بذات قروح . كان يعاني مرضاً كالنعاس يهدّ ولا يؤلم .

وثنيت عنان الحديث صوب النوادر والفكاهة فوجدته لا ينشط لها ، فعدت الى دار المكشوف احدث صديقنا الشيخ فؤاد حبيش عن الخطر العتيد .

*

وفي خطرة ثانية سألت الشيخ الحبيشي عن حال عمر فقال لي : بخير ، كان هنا .

فقلت في قلبي : اذن ما ابعد الموت عنك يا مارون ، ان صح عمر وسلم .

وذهبت اليه لاهنئة بالسلامة فوجدتني اقول له عفواً : لا تخدع نفسك ، توق ما استطعت . ما اراك كما اشتهي .

فاجاب ، ما كنت يوماً في حياتي كما تروم انت...احس انني اتحسن ، ولا ادري اذا كنت ابلغ المرتبة التي اجلس فيها امام قدح من عرقك المثلّث ، وخمرتك الدهرية .

فقلت : الله كريم ...

ونظرت اليه فخلتني ارى ملامح رجل من وراء برقع ، وانني امام شبح يمثل عمر.

وقرأت ان احدهم حمل الى عمر وسام الاستحقاق اللبناني فقلت : ولم هذه العجلة . خامرني ريب فيها فسألت أصحابنا فقالوا لا ، ولكنني رجعت الى نفسي وقلت : انه فأل غير مليح ...

وعدت من (فرصة الربيع) ومعي لاخي عمر شيء من تلك التي شبه بها سليمان

حب الشولمية في نشيد انشاده . وما وضعت الاثقال لافعل ، كما قال الاخطل عن قطار فلسطين ، حتى حمل الي الأثير صوت الاستاذ رئيف خوري يؤبن صديقنا عمر . فضربت المكتب بجمع يدي وهجم الدمع الى الحدود ، ولكنـــه لم يتجاوزها ، كعادته في المصائب الجلّى .

ان حصة عمر محفوظة وستبقى مختومة عـــلى (السدة) ولا ترى النور الا حين نشربها في عين كفاع مع اخوان عمر واصدقائه ، صانعين هذا لذكر كاتب عظيم مات...

سنصنع هذا لذكر ركن من اركان هذه النهضة ، لذكر موظف عـاش نظيف اليد والجيب . ما مدّ يده قط ، ولا اشتهى مقتنى غيره . عـاش لا يفصل بينه وبين الناس ذاك التعنفص الذي يتنكر به بعض الادباء والمتأدبين لاصحابهم متى وظفوا .

كان لاطائفياً ، ولكنه لم يتشدق يوماً بذم الطائفية كأصحابنـا الاشد تعصباً من الكهان ، ثم يتفانون غيرة على الاوطان . كان عمر لا يصيح ولا يمـاحك ولا يداهن ولا يصانع ، فظل حيث هو لانه لا يحسن المداجاة والمصانعة والمداهنة ، لانه ابي ثابت يزدري المنافقين والزنادقة الذين يكرون مع كل خيل مغيرة .

ترك ما ترك من موارد رزق تعصباً لبلاده ، وانتصاراً لها ، ولم يشعر احد بمـــا صنع ، ولو فعل ذلك غيره لاقام الدنيا واقعدها .

عاف موارد رزقه وعاش مكثوراً عليه ليتضامن مع بلاده . فعل كل ذلك صامتا لانه ليس من الذين يجعلون من الحبة قبة ، ومن القباء جبة .. لانه من غير الذين يجمزون كالقبابيط في حقل المراتب ، ويدعسون على جثث اصدقائهم ليرتقوا درجة ويكسبوا ليرة ورقاً .

ان هـــذا الاستطراد يجرني الى الكلام عن شخصيته . لم يكن عمر حسوداً ولا حقوداً ، كان على ما فيه من شمم واباء لا يزهى ولا يتكبر . كان محباً واذا ابغض اعرض وازدرى ، وخرج بالصمت عن لا ونعم كصاحبة بشار .

كان فمه نظيفاً لا يتبذل حتى في المجالس الخاصة التي كنا نعطي فيها المرح حقه . فكان يقابل تلك النكات الصارخة بربع ابتسامة ، ويشارك بكلمات كان يستعد لتأديتها استعداد طالب غير واثق من ذاكرته .

ولم يكن عمر عدواً في ثياب صديق ، ولم يكن من الذين يقتلون الرجل ويمشون في جنازته شاقين الجيوب حزناً على الفقيد الغالي . اما في الادب فكان مؤمناً ولكنه غير ممارس الطقوس المنظمة . يصلي لآلهة الفن بما يدور على لسانه ... لم يكن اديباً محترفاً بل كان اديباً هاوياً . كان كسميه عمر ، غفر الله لهما ، موكلاً بالجمال يتبعه . كان لعمر ابن ابي ربيعة ، لذة النظر ، كما زعم ، وكانت لعمر فاخوري لذة العمل الفني ، وما معشوقاته غير الكلمات اللواتي يؤلف بينهن ولا يجعلهن ضرائر ... اولع بالجديد ولم يتنكر للقديم فكان من خير من كتبوا بلسان العرب من المحدثين .

واخيراً مات هذا النسر وعينه الى القمة ، لم ينظر قط الى الاوحال التي يتمرغ بها بعض زرازير الادب .

لا اقول ان خسارة الادب العربي لا تقدر او لا تعوض ، فحسب الذرية ما تركه لها عمر من نماذج ، وقد لا يصنع اجمل منها لو عمر كتوشالح ...

في ذكرى عمر [1]

لقد اشبعت عمر درساً في حياته وبعد مماته . اما الان فساتحدث اليكم كما يطيب لي ان اتحدث ، ولعله يطيب لكم .

أفلا يعنينا من الاديب غير تعبيره وتفكيره ؟ فاين نحن من اخلاقه ؟ألسنا احوج الى هذا منا الى غيره من الخصال ؟!

مساكين اهل (الفن) حتى قبورهم عليها تراب الذل دون الخلائق .

اسرجوا الخيول ، واقرعوا الطبول. اي خيول يا سادة ؟ خيول الفكر لتجلي في ميادين الورق ، وطبول الخطب لتقرع في حفلات التكريم والذكرى . مسكين الاديب . يعيش على الكلام ويموت على الكلام . فكل ما يُعمل للادباء عندنا هو من بضاعتهم تلك . (حكي بحكي) والذي مات بداء الحكي غماً نحاول نحن ان نحييه بالحكي، ثم نعد هذا خلوداً .

خلود ، نعم خلود . قال جبران : يقولون لن تعرف قدرك حتى تموت . لقد اصابوا . فمن يا ترى يعرف طبيعة البذور التي تطرح في الارض قبل ان تنبت ؟

هذي غير تلك يا جبران ، وانا لست على رأيك في هذا القول . لا اريد ان اموت ليعرف الناس قدري . فيوم حلو جميل،وامسية او عشية نتمتع بها بمثل هذا الاجتماع بكم يا سادة ، يسوى الف خلود ادبي بعد الموت . وما هذه الامال والاماني الا تعلة البائسين ، وجلهم من الادباء .

هذه علكة كالتي يلهون بها الاولاد عن اكل لباب اللوز حين يستأجرونهم لتكسيره . ما لنا ولهذا الخلود الكاذب . أنعيش فقراء منكوبين بجيوبنا ، أينعم سوانا

---

١ – القيت هذه الكلمة في دار المكتبة الوطنية ببيروت .

بخيرات الارض لننعم نحن فيما بعد بحفلة تكريم ؟أليس كل راحل عظيماً ؟ أليس كل ميت عبقرياً ؟

انا لا اقول ما قاله الحجاج : والله ما احب ان ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه. يظهر انعمامته تلك كانت ارثٌ واعتق من عمامة نقولا الترك التي سأل الامير بشيراً ان يعتقها مع ذلك الشروال ...

وبعد فلنفرض ان اديباً عظيماً مات ، فمن يشعر بموت هذا الاديب غير المصابين مثله بداء الكلام ؟ يموت رجل وارم الكيس، منتفخ الصندوق،فتهتز الارض بالطول والعرض، حكومةً وشعباً . ويموت الاديب الانمي فلا يشيعه غير جيرانه واخوانه.

وبعدهذا، ماذا ؟ اسمعوا . علينا ان نقيم لنوابغنا اثاراً مشهودة لنحث شبابنا على اقتفاء اثارهم ، فقد كادت لحية لبنان ان تنصل . علينا ان نعزز الاديب حياً ليقتدي به النشء ويكون للوطن غيره ، والا انقطع النسل الادبي . فهذا الاديب العظيم الذي اجتمعنا لاحياء ذكراه الليلة ، أتعرفون ماذا حل به قبل ان لفظ روحه ؟ لقد مات معوزاً وكفى ، وما يوم حليمة بسرٍّ. فلننتقل الى ادبه.

قرأت ، بعد موته صفحة من انشائه فكدت انكرها لو لم يثبت لي ذلك خطه . تسمعون ، ولا شك بالعملية القيصرية ... هكذا كان عمر يضع مواليده .

اثنان كانا مقلين مجيدين : جبران وعمر ، وكلاهما كانٌ صائغاً متأنقاً ، وقد عرفت ذلك اثناء اطلاعي على مخلفاتهما التي لم تبع كمخلفات الجيش .

كان عمر صريحاً لا يواري ولا يوارب ، وحسبك منه قوله : « فاذا بما يفيض من عبقرية جبران يروي بطاح المستقبل ، بينما عبقرية شوقي مسفوحة على هضاب الماضي . شوقي من الشرق وجبران من الغرب ، فلا يلتقيان الى يوم القيامة . ويغلب على الظن ان الشرق سيظل كامرأة لوط، في موكب الزمان، ناظراً الى وراء فيمسخه الله صنماً من ملح ،اي من دموع جوامد ، على حد قول اندره جيد الذي يزعم ان لوط ضاجع ابنتيه في احدى منعطفات التاريخ ، وهو ناظر الى المستقبل ... »

اجل ، كان لعمر فصول ولكنها روائع حقاً لانها ملك صاحبها ، وعليها مار كته المسجلة .

اما وقد انتهيت من عمر ، فلا بد من كلمة دعت اليها الحال . أمـــا حان للادباء ان يدعوا الشكوى ؟ فاصحاب ارميا كفّوا البكاء ...

الادباء من المواطنين ، ولهم على الدولة ما يطالب به كل مواطن منكوب بزلزال ، ولهم اسوة بمن ذهبت الثلوج والعواصف بموزه وليمونه ...

الادباء دعاة الامة ولهم على الدولة ما له عليها كل رجل من رجالها . فاناشد الله مَن يعنيهم الامر ان لا يتركوا الاديب حتى يموت ليتبرعوا بتجهيزه ...

ان يوماً هانئاً على وجه الارض لخير من كل ما يعمل له وهو في بطنهـــا . اذا ذهبت النفس فلا أسف على الجيفة .

وانتم ايها المحتفون ، بذكرى عمر ، هلموا بنا نعمل اثراً يحيي ذكرى عمر في غير هذه القاعة ايضاً . اخرجوا (الاديب الى السوق) فينعم بمشاهدة ابطاله . لقد كثرت ضيوف المكتبة الوطنية ، واني لأخاف ان تضيق صدورهم يوماً فتعلو صيحتهم ، ويتكلم كل منهم على هواه ، فما يفهم الحداث الا التراجم . فهيوا بنا نخرج الخـــالدين الى الهواء الطلق .

رحم الله من سمع ووعى ، والسلام عليكم .

★

المونسنيور فغالي

في مدرسة اكثر من متواضعة، نشأ المونسنيور مخايل الفغالي حيث نشأ قبله،اخوه المطران بطرس . تلك المدرسة الصغيرة الجاثمة على كتف جسر المدفون ، في مزرعة اسمها كفرشخي ، كانت ملعب صبانا . كان نخله يوسف ــ اي المونسنيور فغالي ــ اكبر مني قليلاً ، فكنا صديقين صغيرين ، وعشنا كذلك كبيرين،والرأي مختلف ...

لا تبارح مخيلتي صورة صديريته الديما ــ من حياكة فغـــال ــ ذات صفين من الازرار الزجاجية الرخيصة . ولست انسى شراويلنا البيض المصنوعة من المقصور ، وكانت بذلة الاحد والعيد غنباز اً من الجوخ الرصاصي شتاء ، ومن الحرير المحـاك في بيت شباب او الستي كروزا صيفاً . اما اللباس الفرنجي فلم يكن له أثر .

كان يرعانا ويعلمنا كاهن جليل اسمه الخوري مارون شكور ، وهو ابن كفر عبيدا ، ضيعة نخله يوسف. كان معلمنا، رحمه الله ، عارفاً باصول العربية معرفة دقيقة، وبارعاً في (الليشيـــات) اي لماذا رفعوا اسم كان ، ونصبوا اسم ان ، مثلاً . فكان يحملنا من تلك الاثقال ما استطاع لا ما نستطيع .

وكان نخله يوسف في الصف الاعلى ، فكنت استفتيه فيما يشكل عليّ من مسائل ، وما يفوتني من (درر) الليشيات . وكان صديقي كريم الاخلاق لا يستثقل ان يجيب على اسئلة طالب في الثالثة عشرة . لم اكن في ذلك العهد أحسن درس الاخلاق ومع ذلك كنت اعجب بهدوء نخله يوسف ورزانته ، واحاول ان اترصن مثله ولا اقدر .

كانت ابتسامته حائرة ولكنها صافية خالية من كل معنى الا معنى المحبة .

وكان قدوتنا في اجتهاده ، فلا يخلو من كتاب ، ان لم يكن في يده ، فهو تحت ابطه او في جيبه.

ومات في تلك السنة ــ ١٨٩٩ ــ البطرك يوحنا الحاج فهب شعراء المدرسة يرثونه ويتفجعون عليه، خائفين على الطائفة بعده ... وانتخب المطران الياس الحويك بطركاً ، وكان هوى رئيس المدرسة ــ الخوري بطرس بو صعب ــ مع المطران ابي نجم فغمرت المدرسة موجة يأس وخسرنا (الفادوس) . ثم كان الرضى والتسليم فاقترح معلمنا وراعينا على الشعراء من كبار التلامذة ان يهنئوا صاحب الغبطة الجديد، فقال الكثيرون منهم شعراً. قال معلمي الاول طنوس حنا الياس من عين كفاع :

قد سدت يا بدر السعادة والهدى وبدا ضياك لكل مغوٍ فاهتدى

وقال الخوري مارون شكور ، مدرس البيان في مدرسة مار ساسين فغال :

احن الى النظم الرقيق تودداً وقلبي بحب الغيد لن يتقيدا

وقال نخله يوسف كفر عبيدا :

الا ايها النشوان من خمرة الذعر افق لا تخف أُمّنت من نوب الدهر[1]

هذا هو المونسنيور فغالي في مار ساسين فغال . وافترقنا سنة ، ثم اجتمعنا في مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية . وهناك في الغابة التي تلف دير كفر حي التاريخي جددت مع صديقي نخله يوسف ذكرى سنديانات مدرسة مار ساسين فغال . كنت كبرت قليلاً واصبحت اقدر على ادراك معاني الحياة فصارت عشرتي ألذ . كانت لنا حركات تستفز الاساتذة وتضحك التلامذة ، فكان المرحوم نخله يفوز من حركاتي بالغنم وافوز انا بالغرم .

لم اكن ابالي بما عند جبابرة الاساتذة من بطش في سبيل توطيد عرشهم ... خاطروني مرة في مدرسه مار ساسين على التدخين في قاعة الدرس فدخّنت . وكان الجالس سعيداً على عرش (المناظرة) حنا الخوري حاقل ــ الخوري مخايل الخوري، كاهن رعية مار مارون ، في بيروت سابقاً ــ فانزلوا بي عقاباً شديداً . أُطعمت

---

(١) لهجة الحق ص ٢١٠

الخبز اليابس راكعاً في المائدة ، مدة اسبوعين فقط ، ومع ذلك لم أنب فتركت في مار يوحنا مارون قصصاً خالدة ...

واخيراً صح الصحيح ولبى صديقي نخله دعوة نعمة روح القدس التي لم تحل عليّ ... فبعثوه الى فرنسا حيث اتمّ دروسه الاكليريكية . وهكذا حدتُ عن ذلك الدرب وافترقنا . ثم اجتمعت به بعد الكهنوت اكثر من مرة ، وتبادلنا (النظريات) في حياتنا ، وكان اخر اجتماع في مكتبي بعاليه . جلسنا ساعات نتذاكر الماضي ونستعرض شريط حياتنا الماضية ، فعشنا بها هنيهة .

كان صديقي غير مغرور ، فرأيته بحلاه الذهبية من سلسلة وصليب وخاتم ، وازرار حمراء ، اكثر منه تواضعاً في صديرية الديما ، وشروال المقصور . لم يتغير فيه شيء غير علمه العميق ، وثقافته الواسعة . قد زودتُ طلاباً كثيرين أمّوا فرنسا بطاقات توصية فكان يحسن استقبالهم في باريس ، ويمد لهم يد المعونة غير مدخر شيئاً من وسعه ، فيمهد العقبات التي تقف في وجوههم . كان يقابل كل لبناني وسوري ، على اختلاف الملل والنحل ، ببشاشة وعناية ، فكان كما قال مار بولس : صرت للكل حتى اربح الكل.

لندع الآن نخله يوسف ولنقل كلمتنا في المونسنيور فغالي. كان هذا الكاهن الفاضل نموذج البساطة اللبنانية في حركاته وسكناته ، وفي اساليب حياته . لم ينصل لونه اللبناني في الغرب ، فرغماً عن تزييه بالسمت الاوروبي كنت ترى سيماء كهنة لبنان في القرن التاسع عشر بادية على وجهه النقي . هو احد الذين شرفوا لبنان في الغرب ، وبنوا مدماكاً بارزاً في صرحنا العلمي العالمي . فالمونسنيور فغالي ظل لبنانياً حتى في لهجته وحديثه . رأى منه الغرب لوناً لبنانياً لم يعرفه من قبل. عرّفهم بلغتنا اللبنانية العامية الفصيحة ، المنفوخة فيها الروح اللبنانية ، وحسبك كتابه المعنون (لهجة كفرعبيدا)

كان رحمه الله عالماً بالاداب الشرقية والمغربية ، عارفاً لها كل المعرفة . علّم لغة العرب وادابها في كلية الاداب ببوردو ، وفي مدرسة باريز الوطنية للغات الشرقية الحية ، فاحيا ذكر نوابغنا الذين كانوا اساتذة لغة الضاد ينشرونها في اربعة اقطار المسكونة .

قد أريتك في مطلع كلمتي انه قال الشعر عربياً ، لتعلم انه رجل خدم وطنه ولغته.

فاذا ذكر القروم منا كالسمعاني والتولاوي والحاقـــلاني وغانم وغيرهم حق لنا ان نضيف الخوري مخايل الى ذلك الفهرست الطويل . والى عمله في حقل العلم ، يمكننا ان نضيف عمله الخصيب في القضية اللبنانية ، فقد عهد اليه بامور جسام فحل معضلاتها .

قلت له في عاليه : اعرفك يا خوري مخايل رجل علم واخلاق وفضيلة ، فأريتنا انك تصلح ايضاً للسياسة . فاجاب بالتفاته الى فوق ، وكثيراً ما كان يعبر بهذه الالتفاتة البليغة ، ويستغني عن الكلام الفارغ .

لست اعدد ما كتبه المونسنيور فغالي من تآليف فهذا لا يعنيني الآن . فالذي يهمني ان اتحدث عنه هو ما قلته ، واني اختمه بقولي : كان صديقي ، رحمه الله ، على علمه الواسع ، كما قال الانجيل عن يوحنا : قصبة مرضوضة ، لا يصيح ولا يماحك ولا يطفي سراجاً مشعلاً ...



ابو شبكه الكاتب

اذا رأيته يمشي وشعره كالصوف المنفوش ، يهرول موقعاً خطاه على نقرات عصاه، او يسير الهوينا عارضاً عصاه السوداء ، معلقاً نظره باذيال السحب كأنه يومي اليها لتنزل اليه ، حسبته عرّافاً يهيم مع الارواح في الابراج العليـــا لا شاعراً يعيش في برجه العاجي.

ان بين انفه وانف ابن حرب اقرب النسب ،وعيناه ترقصان كأنهما محاجر مسك رُكبت فوق زئبق. اما لونه فنحاسي او كما قال ابو تمام في وصف عمورية المحروقة :

ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب

شحوب واي شحوب . ولماذا لا ، ما دامت الحرب قائمة على قدم وساق في ذلك الجسد النحيل الذي كان اضحية العين والقلب ... معركة دائمة بين الكريات البيض والحمر كان محرقتها ذلك الهيكل الذي عرفه الناس باسم الشاعر الياس ابو شبكه .

رأيت نهايته بعيني حيث ألقى عصا المغامرات والتمرد في مستشفى خندق الغميق . كنا نواسيه واذا بالكاهن يدخل الغرفة وفي عنقه البطرشيل . القى على المريض نظرة معناها : كن مستعداً ، فنسي الياس آهاته وآخاته . وانتصب في فراشه كجزع اعتصرت ماويته ، فتمثلت لي صورة فارلين على فراش الموت .

حوط الياس جسده باشارة الصليب من الجهات الاربع وراح يتلو مع مرشده ، بشير الموت (الابانا والسلام) بخشوع وحرارة . اما انا فوجمت . ولما مرت الزوبعة بسلام قلت له . الموت نعس يا الياس !

فقال: يا ليت . الحياة امل ، والامل يموت على مهل .

وبعد قليل ودعته وقلت لعقيلته التي رافقتني الى الخـــارج : قولي للخوري يقلل زياراته للياس، فقالت : انه يحب ذلك. فقلت لها: لا تصدقي . اذا كانت زيارة الكاهن العادية ثقيلة على المريض فكيف بها اذا كانت ذات طابع رسمي .

لم تطل مدة هذا الاديب ولكنها كانت مملوءة بالروائع التي يزدهي بها تاريخ ادبنا. لقد احدث شيئاً يذكر بتاريخ ادبنا . ذرّ نجمه على مقعد المدرسة فكان ذلك التلميذ المزعج الطماح، وكُتب له منذ تلك الساعة شقاء من تدركه حرفة الادب، واين اليسر لمن يكتب في مذكراته بلهفة انه قبض يوماً ثلاث ليرات لبنانية، وان احدى الصحف شاهرته بخمسين ليره ، وهلم جرا.

كان شاعرنا ربيب بيت لبناني مستور . تدخل ذلك البيت ، وهو ما زال كما تركه المورّث، فتراه حارة تدل على يسر صاحبها، فحيطانها مدهونة، وارضها مفروشة بالبلاط الرخامي ، وغرفها واسعة وعالية، و (الدار) فسيحة ، وهذا هو طراز البناء البورجوازي اللبناني . كأنما اعد ذاك البيت الرفيع العماد ليأوى اليه شاعر ثائر شقي، بائس تأبى عليه انفته ان يظهر امامك في مباذله، فاستطاب شقاءه ، والشقاء هو الحياة بل لا لذة للحياة اذا لم يكن الشقاء .

سعى الياس الى الوظيفة ليعيش مكتفياً ولكن الوظيفة لم تستقبله ببشاشة ، فلجأ الى احد النافذين من رجال الدين ، وبعد الف رح وتعال، كانت خيبة الامل. فقال له ذاك الوسيط متهكماً : (اعمل خوري ياالياس) فجن جنونه وكتب على اثر تلـــك المزحة السمجة مقالة داوية بهذا العنوان ، ولما بلغ الثامنة والعشرين كان في اوج سخطه على البشر ، فكتب مقالة عنوانها (انا) مبديا اسباب سخطه وحنقه على البشرية واشار الى هذه الحادثة ، قال :

«اقنعني احد المسوّدين بقبول وظيفة فرضيت بعد ان اشترطت عليه ألا يكلفني حفظ الجميل لجيش من الناس اذ لا طاقة لي على ذلك. فرضي ورضيت وبدأت المهزلة. جعل هذا المسود العظيم يحملني رسالات وبطاقات مقفلة الى المراجع حتى عيل صبري اخيراً ودفعني التطفل الحكيم الى فض رسالة فاذا فيها :

تظاهر امامه باللطف وعده خيراً لانه (زاحني) بطلباته وزياراته المتكررة . ماذا

جدّ بمسألة فلان.. اني اعلق اهمية كبيرة على نجاحه لانه يستحق الالتفات ولا تنس انه خدمنا ايام الانتخابات ولا نزال بحاجة اليه .»

أجل هذا ما كان في تلك البطاقة ، ومثل هذا الحدث المخزي الدال على رياء البشر ومراوغتهم واستهزائهم بأباة النفوس هو الذي اسخط الشاعر الذي قال فيما بعد:«هذا هو احد الاسباب التي تدفعني اليوم وغداً الى الثورة على البشر . أمحق انا ام مخطىء . أيجوز ان اصبح ساعي بريد مضحكا بعد ان كنت بلبلا و كناراً اغرد لأطرب الناس.»

واخيراً ينصح كل من تحدثه نفسه ان يطلب بطاقة توصية ان يفضهـــا قبل ان يكلف جيبه دفع اجرة سيارات .

قلت : ولعل ركض الياس وراء الوظيفة واخفاقه هو الذي احنقه حتى كتب خير كتبه في النثر . ذاك الكتاب الذي عنوانه (رسوم) واظنه خير ما كتب في فترة عصبة العشرة . لقد صوّر فيه الكثيرين من الرجـــالات اللبنانيين من رؤساء جمهورية وحكومة ، ومن وزراء وادباء . احدث هذا الكتاب ضجة كبرى في ذلك الزمان ولكنه لم يوصـــل صاحبه الى وظيفة دخلها اعطنا خبزنا كفاف يومنا . فظل طول حياته القصيرة يذرع الارض بين الزوق وبيروت مغنياً على ليلاه .. اما كيف خلق ابو شبكه تلك الصور والرسوم الرائعة فهو يحدثنـــا عن تلك العملية القيصرية بقوله : «لست من الكتبة الذين يستطيعون ان يخلقوا شخصية من غير ان يكون هناك موديل لها . فعندما افكر في موضوعي استعرض في مخيلتي شخصاً خبرته عن قرب ، واجعل اشرحه كما اريد انا لا كما يريد هو . قد اضع في فمه كلاماً لم ينطق به في حياته ولا عهد له بمثله . و كثيراً ما سخرت لاجل ذلك عدداً من اصدقائي وصديقاتي وهو لا يشعر. فغضبوا علي وتجنبوني، ولكني اعلم اني اذا عدلت عن هذه الخطة تجف مخيلتي وينضب قلمي او اصبح متقلداً مهذاراً .»

هذا هو الياس ابو شبكه النثر الذي كان يكتب محنقاً و كأنه يلعب بالحكم . ضربة على الرأس ، نكزة في الخاصرة ، وطعنة يطير لها القلب ولكنها لا تقتل ، بل لا تؤذي . اما الياس الشاعر الرومنطيقي الثائر في افاعي الفردوس وغلواء والشاعر الهادىء الناعم في الى الابد والمريض الصامت ، فمـــا اكثر من عرفوه ويعرفونه من

الناطقين بالضاد ، وقد نقدت دواوينه سابقاً .

فاذا ركع فارلين حافياً في غرفته وصرخ : رباه ، هب لي البساطة ، فالياس كان يركع حتى في اشد ازمات مرضه هاتفاً : يا رب لا تجز عني كاس حبها. بل دعني اشربها حتى الثمالة ، الى الابد .

بقي عندنا الشاعر اللبناني الراعوي، صاحب الالحـــان التي يضارع فيها فرنسيس جيمس . فهذه الالحان تنزل في هوة اذنيك لتستقر في اعماقك . ان هذا الشعر اوحى به المحيط الذي نشأ فيه ، محيط الزوق وبكركي وحريصا ، وذلك الجبل الذي لا يقلع ثوبه الاخضر ، ومحيط جرود كسروان حيث الفلاح اللبناني الاسمر يأكل خبزه بعرق جبينه ، فاذا تغنى الياس برنين الاجراس وأثرت به فهو ربيب القباب القائمة حوله وحواليه. وكم تعلق بحبال اجراسها صغيراً، وكم فرّ كالفراشات في تلك الحقول بين المعاصر وعلى البيادر ، وهاهو يردد صدى الحداثة والفتوة ويتغنى بذكرياتها .

كان الياس يحب الحياة ويهيم بها ، ولذلك عبد الجمال في الجسد الانساني الذي هو مستودع الحياة والجمال الاسمى ، ومن تعلق بمحيطه الرائع تعلق الياس لا بد له من ان يقول في وطنه كله ما قاله الياس في ختام (الالحان)

يا بلادي لك قلبي لك آمالي وحبي
وجهادي يا بلادي

الى ان يختم هذا النشيد بهذه الصرخة الدامية:

طهري اليوم دمي وغداً كوني فمي
يسترح فيك رمادي
يا بلادي

اجل لقد استراح ذلك الرماد، ولكن اشعاعه يزداد مع الايام ، فلا سراج يضيء وينير بعدما ينطفي إلا الاديب والشاعر .

والذي يكبر بعد الموت هو الاديب الحق ، والشاعر المبدع .

والخسارة التي لا تعوض على بلد هي ان يبكر ادباؤه في الرحيل ، ويبارحوا الديار قبل الموعد .

مات ابو شبكه شاعر الحب والالم حين نضج . مات حين رجونا ان يضيف الى كتاب ادبه الحي صفحات جديدة باقية. فللشباب طعم، وللكهولة دسامة، وللشيخوخة حلاوة ان ظل العقل في الرأس .

فيا اخي الياس ، لا اعزي فيك احداً غير لبنان الذي تغنيت بكل ما فيه من جمال ازلي ، وحسن ابدي .

اما نحن يا اخي فماذا فعلنا لك ؟ آه واأسفاه ، اننا نرى مجدنا في آثارنا المتهدمة ، وقد اصبحت انت واحداً منها .

نم هانئاً وانعم بهذا الذكر فقبلك تمناه شاعرنا الاعظم فقال :

ذكرُ الفتى عمره الثاني ، وحاجته ما قاته ، وفضول العيش اشغال

لقد مت فقير الجيب، غني النفس، ولكنك باق . هذا هو (الترمس) الذي نتسلى به عن اللوز ، كان الله في عوننا .

فؤاد سليمان الاديب والشاعر

فؤاد سليمان ، في نظري ، وحدة شعرية لا تتجزأ . هو شاعر في كل ما خطه قلمه من منظوم ومنثور . قد يكون شعره كشعر غيره ، اما نثره فذو طابع خاص ، وكتابه درب القمر ديوان شعر له مقوماته وخواصه التي لا تجدها عند غيره . وربما كان هذا الكتاب على صغره ،خير ماانتجه شبابنا في الفترةالتي عاش فيها فؤاد سليمان . كأني بهذا الاديب الشاعر نظام مستقل في كون الادب . له شمسه ، وكواكبه ، ونجومه ، وكل في فلك يسبحون . فحيثما تصادفه تنبئك عنه خصلتان : عاطفة من نار آكلة ، وكلمة من حديد محمى .

هو شاعر الالم وكاتبه ، فكل ما نراه على موائد الالام يتجسد في جمل كتبها قلمه الناري . ما رأيته مرة الا تخيلت الزئبق الرجراج . لا يستقر على حال من القلق ، هو دائماً متحفز للقفز ، فكأن في داخله لولباً يدور افقياً . نصف ابتسامة ، بل ابتسامة كالجهشة ، وضحكة لا تفتح لك بابا للانطلاق . ما نسيت يوم عرفته فيدار المكشوف فقلت له : كيف يكون سوط النار الذي يسوق ابو شبكه به الشعراء كما قلت ؟

فاطرق اطراقة من يتهيأ للوثوب ثم قال : مثل السوط الذي تستعمله انت في نقدك لهم .

ما اسرعَ ما امسى فؤاد سليمان ، واأسفاه، كلمات نرددها ، واكبر هم الاديب هو ان يستحيل في الغد كلمات تجد لها رواة ومرددين. اجل هذا هو ملكوت الادب الذي يموت العباقرة على رجائه ويعدون به انفسهم . كان فؤاد من المؤمنين بالوهة الحرف ، وكان يقول الصحيح ولو حرقت الكلمة فمه ، كما يقول المثل اللبناني .والكلمة

دعامة الحياة وركيزة صرح الانسانية ، بل هي قوة غير منظورة تلقنها الحيـــاة من يستطيعون تأدية رسالة الحق .

ان تلك الكتلة البشرية التي كان اسمها فؤاد سليمان قد كانت ثورة قائمة برأسها . كانت عاصفة تخبيء تحت جناحيها ابتسامة البرق وقهقهة الرعـــد . فهو وصاحبه ابو شبكة توأمان ، وان ابتعدا نسباً يجمع بينهما الشكل والمزاج والعاطفة . كلاهما غنيا قلبيهما أولا ، وهذه المنعطفات والقمم ثانياً . كلاهما ربيبا القرية اللبنانية فكان لها من شعرهما ونثرهما نصيب . انفتحت اذنا فؤاد سليمان على رنين الجرس المترجح في القبة ، وكان ملعب صباه تلك البيادر المنبسطة حد بيته في فيع ، تلك البلدة الجاثمة على صلعة الجبل . لعب الشاعر ومرح في تلك المطارح الحلوة فانطبعت صورها في نفسه لتستحيل فيما بعد شعراً طلياً ، كما تستحيل قبلات النحلة لثغور الزهر شهداً .

لفؤاد سليمان ثلاثة آثار : ديوان شعر ، ودرب القمر ، وما كتبه بتوقيع تموز . وهذه الآثار ، وان اختلفت موضوعاً ، هي واحدة من حيث الروح والمحبة والبغض . لقد بكّر فؤاد في الحنين الى ايام الطفولة ، ومراتع الصبا ، فكأنه كان شاعراً بقرب وفود ذلك الضيف الثقيل عليه .

كان هذا الاديب مناضلا في درب القمر وفي تموزياته . كان يغضبه كل شذوذ حتى شذوذه هو ، فيحتدم غيظه وتخرج الكلمة من تحت قلمه كأنها حديدة خارجـــة من الكير تقطر دماً وتشع نوراً وناراً . فاذا تصفحنا ديوانه رأيناه يبكر في التوبة . ففي عام واحد ، عام ١٩٣٤ ، نشر اولى قصائده (الى اين) وختمها بهذا البيت :

يصفق الوادي لاعراسنـــا اذ يسمع الوادي صدى القلمتين

وفي العام نفسه نظم (مزمور الخلاص) الذي يقول فيه :

اتوب عن الماضي المجمر باللظى واغسل ادراني بقارورة العطر

فكأنه ما شبّ حتى شاب ، ولكنه رغم توبته في شعره ظل حاد الشهوات فتخيل الزنبق ، وهو رمز الطهر عند البشر ، كأنه يحس ما نحس من شهوات لحمية ، فقال في ابتسامة الزنابق البريئة :

ما للزنابق فوق النبع خالعة عذارها وشباب النبع يغويها

اظنها صورة لم تمر في خاطر شاعر ، وما اكثر مواليد قرائح الشعراء .

اما الفاظ فؤاد وصوره الشعرية فارى الكثير منها منتزعاً من محيطه ، وهذا اثر المربى فينا ، فاسمع كيف يخاطب واحدة في قصيدة (عابرة طريق) :

لست من عجنتي ولا من خميري فاتركيني اسر وحيداً وسيري

اما الموت ، ابعده الله ، فكنت اراه في شعره انيّ اتجهت في ديوانه ، كقوله :

اذا تلقيْن في عينيّ همّا وفي وجهي اصفراراتِ المغيب

وكما يقول في قصيدة عنوانها (مقبرة)

انا وجه القبر تلقين على جبهتي الصفراء اشباح المنايا
غلغلت في كل ضلع غصة وجنازات تهادت في الحنايا

أرأيت هذا الشعر الزوالي ، حقاً ان خاطر الانسان دليله .

وبعد فلنطو صفحة الفناء لنرى بعض نماذج من الوان الحب الجارف . ففي قصيدة (الهوى المكتوم) يخاطب حبيبة بشأن ثغر لها خاف ان تجعلة وقف ذرية ، فقال لها :

خليه لي وحدي على طهره ، انا اللظى ، والناس ماء وطين .

وفي قصيدة (عذراء) يقول :

ان في صوتك الحنون جراحا الف آه تموج فيـــه وآه
انا أهوى على شفاهك شيئـــاً غلّ في فتحة الشفـــاه وتاه

انظرت الى الفاظه؟ فلفظة غلّ ، وفتحة ، وعجيني ، وخميري قروية لبنانية مئة بالمئة ، وما اكثر الفصيح في لهجتنا ، فليته لم يستعمل الا الفصيح الخالص .

ليس شعر فؤاد سليمان الفاظاً منمقة مرصوفة ، ولكنه كلام يحيا بما في قلب قائله من حرارة محييه . ليس هو من اصحاب الرموز وان قال في قصيدة (العرس الاسود):

يا حلمي الاشقر يا رفةً طافت بقلب اخرس معتم

واذا ما تصفحنا درب القمر رأينا ان نثره فيه كديوانه شاعريةً . ولذلك عددته ديوان شعر ، فاذا واجهت (مرايا لم تعد تضيء) اقشعر بدنك لتلك التعابير التي تصف البيت في غياب ربه . لقد اظلم كل شيء في عيني الابن البرّ ثم ما لبث ذلك الظلام ان انقشع حين عاد الوالد الى عشه وملأت الخيرات البيت .

اما مقال (طفولتي) فاقول ، ولا احسب أني اغالي ، انه اروع مقال قرأته في هذا الموضوع . فهذا التجريد الذي ونق اليه فؤاد جعل الطفولة كائناً حياً و كأنه من لحم ودم .

قلت ان فؤاد سليمان ابن برّ بوالديه ، وهل يعبر كما عبر الاّ من كانت له محبته ؟ اسمع ما يقول في وصف وجه امه : « امي ... من الوان عود الصليب وجه امي. و كأن الذي حاكه مرة ، حاكه وقطع يده لئلا يحوك مثله . »

وفي (مطارف من ارجوان) منتهى حرية الفكر ، وقد استحال فيها فؤاد الاديب ، عالماً نفسانياً حين حلّل نفسية الشاعر وحاجاتها .

اما مقال (درب القمر) فنشيد اناشيد شوليته القرية اللبنانية. وفي (مرايا لم تعد تضيء) نفحة طاغورية .

اقرأ تصويره فيها للبيت والام المهجورين . هناك تجد صورة البيت اللبناني العتيق تامة الخطوط ، فكأنك ترى بعينيك ما يحدثك عنه هذا الاديب الشاعر .

واقرأ (حبة رمل) وقابل بين ما قاله في النبي محمد ، الرسول الاعظم ، وبين ما كتبه غوت شاعر المانيا العظيم ، لترى ان الموت يقطع الأوتار ولا يرحم . انها (حبة رمل) ولكنها جبل من شعر .

وفي مقال (في موكب التائهين) نسمع شاعراً بوهيميا يقول : « انا هنا في سكرة معربدة محمومة طائشة ، حيوان يمشي مع حيوانات ، بهيمة تعيش مع بهائم ، ملعون من ملاعين الدنيا . اجر جناحي المنتف ورائي على الدروب وفي الشوارع . انا هنا لم اطلق بعد ... متى اتمكن يا صديقي من ان انفلت من قيود المرأة والتراب ، واوهام اللحم والدم ، ومقاييس الزمن ، فاصبح انساناً كاملاً . »

لقد اخطأت يا فؤاد ، فلو صار كما تمنيت لكنت لا شيء . فلولا اللحم والدم ، وما على هذه المائدة من مغريات ومقبلات ، ما كان لنا فؤاد سليمان .

وبكلمة عابرة اقول : ان درب القمر انشودة لبنانية اصيلة ، كتب الله لها الخلود . وشاعرها يجلي حين يصوب قلمه نحو الينابيع والكروم وكل ما يمت الى القرية بصلة .

اما ما كتبه هذا الاديب بتوقيع تموز فقد تصفحته من اوله الى اخره ، حتى

وصلت الى اوراق بيضاء لم يمهل الموت تموز ليسوّدها ويبيّض وجه الادب. لا ادري لماذا عرتني رعشة عندما وقعت عيني على تلك الوريقات البيضاء. احسست ان دمعة رقصت بين اهدابي مع ان دمعي في الحوادث غال.

اجل، لم يبق لنا من فؤاد سليمان غير هذه الجزازات من تلك الصحيفة وهاتيك المجلة، ولكنها جزازات تتضمن روحاً كانت تتردد في لحم فؤاد ودمه، فابقت للذرية هذا التراث الحي.

ففي (التموزيات) يثور فؤاد على كل اعوجاج وقع تحت عينيه. يثور للانسانية المعذبة كما في الكلمة التي عنوانها (انسان مدوّد.) وهو في كل ما كتب في الواقع ما تخلى عن بيانه ولا تجرد من خياله. يخاطب الناس من عل مهما علوا، ويقذفهم بكلام كأنه التنابل، ويزدريهم ولا يبالي. وقد يتفق له تهكم مر يأتيه عفواً، فيبدو جميلاً كقوله:

«صرنا نخشى على البيت اللبناني ان ينهار، فالمرأة مشغولة بقضيتها، اعطوها حقها وخلصونا. جربوها، فقد تصلح ما افسدناه نحن.»

وما ابلغ كلمته، بل ما اصدق قائلها حين تحدث عن لص سرق الشاعر ميشال طراد صاحب جلنار. قال: «ما كنا نعلم ان الشاعر الجميل ميشال طراد عنده شيء ثمين يستحق السرقة، غير هذا الشعر الجميل الذي لم يبق شاعر في لبنان الا وسرق منه لفظاً وطيباً ولوناً.»

انها كلمة لها ما بعدها، ذكرتها قصداً، وموعدنا في التفصيل حين ندرس الشعر العامي اللبناني.

واخيراً هذه صورة الشاعر والاديب الذي كانت النار تندلع من عينيه، والكهرباء ترعد اعصابه. هذه صورة ذاك الذي كنا ندعوه فؤاد سليمان يوم كان بيننا، اما اليوم فلا اجد له لقباً لان الاسماء والالقاب مبتذلة كلها. فعلى بنات الشعر اللبنانيات ان يجددن عهد النواح على (تموز)...

خمسة في عام واحد

الحداد ، المطران ، المازني ، محمود طه ،البعيني .

لم يفجع الادب العربي في تاريخه المديد كما فجع ، في عام واحد ، بجمهرة خيّرة من ادبائه وشعرائه و كتابه . فبعد موت جرير والفرزدق ثم شوقي وحافظ في عام واحد ، لم يصب الادب العربي بما اصيب به هذا العام — ١٩٥٠ — قد توارت خمسة وجوه من دنيا الادب : خليل مطران ، عبد القادر المازني ، محمود علي طه ، يوسف البعيني ، والخوري يوسف الحداد . عمل كل من هؤلاء الخمسة جهده بل فوق مجهوده ، فازدادت اللغة العربية ثروة ضمت الى تراثها القديم .

الخوري يوسف الحداد

مشى الخوري يوسف الحداد في طليعة موكب الابد ، كما عاش اربعة وثمانين عاماً معلماً ومربياً عظيماً . لم يسأم الحياة كزهير ، فظل يكتب وينظم رغم ما كفّ الدهر من بصره . ترك مئات من رجال هذا الزمان الذين علّمهم وهذّبهم ، وترك مسرحيات منها المترجم ومنها الموضوع ، و كتب قصة طويلة — المروءة — وحبّر مقالات رائعة في كتابيه : اللبنانية ، والنجوى .

كان هذا الكاهن وقفاً على امرين : ثوبه وعلمه . كان ثوبه يزجيه دائماً نحو الكمال ، وكان علمه يحثه دائماً على بلوغ المدى الابعد ، ، والعلم من توابع وزوابع الاكليريكي الحق. لايعني هذا ان الخورأسقف يوسف الحداد تبتّل فعاف كل مسؤولية عيليّة ، فكان كراهب امريء القيس لا شغل له الا امالة السليط بالذبال المفتل .

كان الرجل معلماً واباً ومربياً . حملته الاقدار عبء وصاية بني اخيه ، فربّى وعلّم كما يفعل الاب المستطيع . فهذا الكاتب الذي نراه في كتاب النجوى يحث على الادخار كان عدو كيسه . وعظ الآخرين وما اتعظ هو . لم يجعل مخزنه عبّه بل جعله في العقول والقلوب . كان في القول معلم اقتصاد من الطراز الاول ، اما في العمل فاتكل على قول معلمه ... لا تهتموا بما للغد ... وكان ربه عند ظنه فمات مكفيا كما عاش عزيزاً.

لا يعرف الخوري يوسف الحداد الأب الا أقرب الناس اليه . ضحى بكل ما يملك ولم يترك خلفه غير فضله وتلاميذه . كان مربياً حقاً ، كان للمعارف والتربية يوم لم تكن لهما وزارة في لبنان .

قالوا عن الاخطل ضيّق عليه دينه ، وابن عمتي هذا ضيّق عليه ثوبه في دنياه وأدبه ، فعسى ان يوسّع عليه في آخرته . وعلى ذكر الآخرة أقول : كنت أجده ، لما بلغ الثمانين ، خائفاً من الرحلة العتيدة ، على قلة الزاد لها ، كما كان يقول تواضعاً . قلت له مرة . شد حيلك يا بِبيهْ ... انت قادم على كريم ، ولسانك طيّب ، وقلبك نقي . والله لا يحب غير هذين .

كثيراً ما كنا نتفلسف ضاحكين لنخفي الذعر ، وكنت اشجعه كلما التقينا حتى قلت له مرة : تتذكر هذا البيت ؟

كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت : بعد غد

فأجاب : وكيف ! أتظنني خرفت ؟ هذا لعُمَر .

فقلت له : هذا لسان حال الدنيا معك . لا تخف .

فضحك ضحكته المعهودة . وكنا كلما التقينا بعد ذلك ، يقول لي : كيف حال هند من صوبك ؟

واجيبه : ما زالت تضحك وتقول بعد غد .

وتطيب نفسه ويقول : سبحان مقسم الارزاق ! الذي لم يوافق عمر وافقنا نحن.

خليل مطران

هذا هو الكاهن الاديب الذي سبق القافلة المجيدة الى واحة الموت ، وتلاه في هذا المضمار ، غير المرغوب فيه ، الشاعر العظيم خليل مطران الذي أعدّه كما عدّ الدماء

بشار بن برد ، جسراً يصل القديم بالحديث . فمطران مجدد في تصوره وتفكيره وخطته الشعرية . تلد مخيلته الصور الرائعة الطريفة التي قلما خلت منهـا قصيدة من روائعه المشهورة . فمطران احد اقانيم الثالوث الشعري في القرن العشرين . كان هؤلاء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران يتباريان عند كل حدث خطير يحدث في الشرق ، وان توسعنا قلنا عند كل نكبة عالمية ، فكان حافظ يأتي ثالثاً ، الا في عهد شبابه ، فقد جلّى مرات . اما مطران فاستطيع ان اعدّه مجلياً ــ عند الخاصة ــ في شبابه وكهولته ، وقد سكت في شيخوخته ، بينما ظل اخوه شوقي يرسل الصرخة اثر الصرخة حتى قضى ، وقضي له بالزعامة ولم ينازعه فيها منازع .

ولمطران أيد بيضاء ليس على الشعر وتجديده بل عـلى النثر ايضاً ، وخصوصاً المترجم منه . فقد عمل الرجل كثيراً ، وأفاد كثيراً ، وصلى خلفه في هيكل الشعر خلق كثير ، فهو ، حقاً ، فجر مدرسة جديدة . انه الشاعر الابداعي كما عدّه الدكتور اسمعيل ادهم . ولئن قصر عن شوقي في التعبير فقد فاته في التصوير والتفكير .

عبد القادر المازني

ثم كانت الخسارة الجلّى بالمازني الاديب الكبير المحبوب ، البعيد عن العنجهيـة والادعاء . كان هذا الاديب الظريف يعمل ساكتاً ، ويكتب صامتاً .

حاول في فجر شبابه ان يكون شاعراً فما اعجبه شعره ، فانصرف اولا الى دراسات في الشعراء القدماء ، فكان اول من اهتدى الى ابن الرومي ، فكتب عنه فصـولا رائعة شائقة دلت على ذوق فني رفيع ، ثم تناول بشاراً فكان الاسبق الى دراسـة هذين الشاعرين دراسة اصولية .

واخيراً اهتدى المازني الى نفسه ، وعثر حين طوّف في دنيا الثقافة على اسـلوبه الذي عرف به ، فكان اسلوبا خاصاً نقرأه مسرورين مغتبطين . قلما مر اسبوع لم يكتب فيه المازني فصولا مختلفة ، ولكن بدون ضجة وقعقعة . فهو بمقدار كاتب نضال ، لانه كتب ليعيش ، فكان يجلي في الميدان ولا يترك خلفه غباراً يؤذي العيون ، ولا صهيلا وصليلا يصم الآذان ، بل كانت طعناته صامتة . لا اجد اصدق وصفاً لها من قول عنترة:

برحيبة الفرغين يهدي جرسها بالليل معتس الذئاب الضرم

مسكين المازني ، اذا صدق الخبر الذي قرأت ، أن اولاده في حاجة بعد ان أُلقي كاسبهم في قعر مظلمة كما قال الحطيئة مسترحماً عمر بن الخطاب ... ولكن اين ظلمة البئر من ظلمة القبر !! ان هذا حيف ، فعلى الامم ان تراعي ادباءها كما تراعي جنودها الذين يموتون في ساحة الجهاد ...أليس هذا جهاداً ؟ أليس حامل القلم اخا حامل السيف في ساحة النضال عن الامم ؟

اذكر انني قرأت بعد موت ولي الدين ، أن ابنه كان يلمّ أعقاب السكاير في شوارع العاصمة وسككها وليس من يأبه له ويذكر فضل ابيه . رحم الله عبد القادر المازني وجَبَرخاطر الامة المكسورة واعاضها مازنياً آخر . ولعل مازنينا لو بعث ساعة لقال لنا : لو كنتُ من مازن ...

محمود علي طه

اما الفقيد الرابع ، وهو المهندس محمود علي طه ، فشاعر مجدد ينحو نحو شعراء الوقت في لبنان ، وله قصائد غراء . يحق لنا ان نقول في هذا الشاعر ما قيل في ابي تمام : انه مات ولم يستمتع بخاطره .

كان له شعر رائق طريف يطبع على غرار الشعر الحديث ، وان لم تنقطع الصلة كل الانقطاع بينه وبين القديم ، وان نهج نهج شعراء الفرنجة في اساليب الكلام . لقد انطفأ خبر هذا الشاعر كأنه لم ينظم دواوينه (الملاّح التائه) و (اشباح وارواح) و(ليالي الملاح) . فما ارخص موت الادباء والشعراء .

يوسف البعيني

اما الخامس فهو الاديب يوسف البعيني احد اعضاء العصبة الاندلسية في البرازيل. شاء هذا الكاتب الاديب اخيراً ان يكون ناقد العصبة فكتب في النقد فصولا ، ولكن الموت عجّل عليه قبل ان نستطيع الحكم على ما كان يرجى منه من خير ادبي، بيد ان ناقد العصبة كفّى ووفّى على قلة ما كتب .

انني انظر الى الغد نظرة خشية ، فعسى ان يحل ادباء الشباب محل هؤلاء الجهابذة الذين تواروا في عام واحد ، والحبل على الجرار . ارجو ان يقدر الشباب المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، فهم خلفاء هؤلاء الادباء الذين ذهبوا ، فليعدوا العدة .

على الجيل الطالع ان يتعمق في دراسة الاصول ، وان يتبحر في متون اللغة و هوامشها ، وان يعبّ من ينابيع الثقافة الحديثة ، واذا لم يجد دلواً فليعبّ بيديه من نهر العلوم والاداب العالية ، والا فاني اخشى ان يصح فينا قول الحجاج في احدى خطبه : ما لي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ؟ ان العلم اوشك ان يُرفع ، ورفعه ذهاب العلماء ... اما انا فلا ازعم زعم الحجاج المتشائم ، بل اتجلد واقول مع السموأل :

وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى و كهول.

*

ابراهيم عبدالقادر المازني

المازني كاتب متفرد ، هام حينا في اودية الشعر ، ثم اهتدى الى شخصيته فعرف ذاته . ادرك انه لن يصير شاعراً محلقاً فمال عن القول المنظوم الى الكلام المنثور فخلد بنثره في دنيا الادب . انفصل المازني عن اقرانه ــ حسين والعقاد والرافعي والزيات وهيكل ــ باسلوبه الشخصي المستملح ، فكان نسيج وحده ، كما عبر اسلافنا القدماء . تعرفه حين تقرأ مقالا له ، وان كان غير مسهور ، وتلك سمة الكاتب الفذ .

ليست معرفتي به على قدر اعجابي بما تفرد به من حلو الكلام ومره ، فأنا لم أره غير مرة في الحياة . التقينا عند المصور الشهير اسعد دقوني ، وكان مرافقه الخاص يوم جاء لبنان الصحافي العصامي المرحوم جبران التويني ، فتعارفنا على يده ، وكان تسليمنا وداعاً كما قال الشاعر .

رأيت فيه يومئذ رجلا اعرج قليل الظل ، ذا عينين كأنهما محاجر مسك ركبت فوق زئبق . ثم كنت اقرأه بامعان واستقري اخلاقه من خلال ما يكتب ، فاذا بي اراه جباراً ولا ذا عنجهية وان كان ذا عاهة ... فهو ، في نظري ، ان صدقت تلك اللحظة العابرة ، حمل كتاب عصره الوديع ، لا يتنفش ولا يتفرعن . لم يغرق في السياسة لأذنيه ، ولم يكن اهوج الحزبية ، فظل حيث هو . لم يته في مجاهل السياسة ، فعاش اديبا ومات اديباً .

كان (امن) عبدالقادر ، كما كان يسميه ذاك الناظر الأخنّ ، مثال الاديب العربي المثقف ، وان زعم لنا انه لم يعرف من النحو غير اسمه . لم يقطع المازني الصرة بينه وبين القديم ، ولم يتنكر للجديد ، فجاءت عبارته حلوة ذات الوان طريفة حديثة ،

ليست بالقديمة الغريبة ولا هي بالجديدة المبتذلة. تلمع شخصيته في خلال سطوره، حتى في المواضيع الجافة التي لا تجد فيها الشخصية منفذاً تبرز منه.

لم يرفض المازني الالفاظ العامية الفصيحة، ثم استكفى بروحه الفنية عن الالتجاء الى الفصاحة والبلاغة، فكان له من ظرفه وخفة روحه اكبر عون على نفخ الحياة في كتابته التي تستحلى وتستملح. ناهيك بأنه الكاتب اللبق الذي لا يتعالى ولا يطرق المواضيع التي تظهره بمظهر العلماء الكبار، بل يعالج، وخصوصاً حين شيّخ، المواضيع المتصلة بالحياة اليومية. قلما عناه ان يناقش فيلسوفاً كبيراً عالمياً ليريك انه من اقرانه او اعظم منه، كما يهم من يخطىء بالاقلام الحسابية الاربعة ان يناقش انشتين، وقد يخطئه ولا يستحي. ان المازني يفعل غير ذلك فاسمع كيف يحدثنا عن نفسه في مقال عنوانه: (في الكتب):

«وتمنيت وانا ادير عيني في كتبي على رفوفها، لو ان هؤلاء الالمان الذين يتفلسفون علينا بما لا نفهم، بينوا لنا، او لي انا على الاقل، ماذا يريدون ان يقولوا. عجيب امرهم والله! قرأت مرة لاحدهم، واظنه (هجل) كتاباً في فلسفة التاريخ فخرجت منه كما دخلت، وقلت لنفسي: اما اني حمار، واما ان هذا الرجل لا يحسن العبارة عما في رأسه، ولكنني افهم عن غيره فلماذا اراني لا افهم عنه!

ودارت الايام ووقع في يدي كتاب لرجل امريكي اسمه دريبر، يكتب كما كتب خلق الله، لا الالمان، فاذا فيه فصل طويل عن العرب يعد تطبيقاً لنظرية هجل التي لم افهمها. فسألت نفسي: لماذا لم يكتب (هجل) كما يكتب هذا الرجل؟ ثم عدت اسألها واتعجب: لماذا فهم (دريبر) عن (هجل) ولم افهم انا عنه؟

واسأت الظن بنفسي، واعتقدت ان بي نقصاً في التدريب العقلي. وراجعت هجل وكررت الى هؤلاء الالمان المعوصين كرة المصمم المستميت، ولكن مضغ الجلاميد اعياني، فنفضت يدي منهم، ومن نفسي يائساً، وقلت: يا هذا، لقد صدق القائل: كل ميسر لما خلق له، وانت لم تخلق لتقرأ فلاسفة الالمان، فارجع عنهم وانج بنفسك منهم.»

ألا ترى معي ان استاذاً غير المازني لا يعترف هذا الاعتراف، بل يعد الف

هجل حماراً ...

والمازني قرض الشعر اولا ، كما سبق القول ، ولكنه لم يصر على النظم مغالطا نفسه ، بل ادرك ما في شعره من سماجة ، فعدى عن النظم الذي كان يجيء فيه بالغث ، ويحسب انه صنع شيئاً . ولم يكتف المازني بارشاد نفسه ، بل كثيراً ما نصح غيره ليعدي عما لا يجيد فيه . تراه ، مثلاً ، في آخر عبارة من كتابه (قبض الريح) ينصح احد رفاقه في الشوط الادبي الاول ، قائلا له: «ان (الاستاذ) ــ اي الدكتور طه حسين ــ ليحسن جداً الى نفسه اذا تحاشى الخروج من النقد العـــام الذي يسهل مع التحصيل ، الى النقد التطبيقي او الدراسات الفردية .»

اجل لم تطب نفس المازني بشعره فارعوى حين ضل ، وانصرف الى النثر فاحسن صنعاً ، لانه لم يُبلِ الادب العربي بمنظومه بل اسكره بمنثوره ، فكان نثره هـذا مرقاة له فعرج الى سموات الفن . فهو ، ولا شك ، واحد من اعاظم كتابنا الفكهين الساخرين .

لست احدثك عن كتبه المشهورة لانك تعرفها . (فحصاد الهشيم) وهو اشهر ما يقرأ من كتبه ، يقبل عليه النشء لما فيه من دراسات ادبية دقيقة لابن الرومي وبشار . فالمازني كان اسبق ادباء جيله الى التعرف الى هذين الشاعرين الكبيرين ، فكتب عنهما فصولا تغني من شاء التعرف اليهما ، عن المجلدات الضخمة . وقد يكون حبه العبث باللحى الكبيرة صغيراً هو الذي هداه الى شاعرية ابن الرومي الفـذة فكتب عنها دراسته القيمة .

فابراهيم المازني ، كما يعترف في مذكراته (قصة حياة) يقول : « لا اعرف ما سر حبي للحنّى في وجوه الناس ، ولكني اعترف اني ما رأيت قط لحية طويلة تتدلى كالمخلاة الا نازعتني نفسي ان اجعل لها من اصابعي مشطاً . وقلما ارى الآن لحية تستحق ان اعبث بها . فان الناس في زمننا يحلقونها او يقصرونها ، ولا يرسلونها ، اكتفاء بالمظهر ، واستغناء به عن الحقيقة الخشنة او الشائكة .»

ولا احدثك عن كتابه (صندوق الدنيا) فهذا ايضاً في متناول الناس ، وقد اقبلوا عليه ايما اقبال . ولا عن كتابه (قبض الريح) الذي مر ذكره سابقاً . فهذه

الكتب اشتهر بها المازني ، وهي معروفة من دنيا القلم ، ولم يسوّد وجهه من كتبه الاولى غير قصته (ابراهيم الكاتب) . شاء اديبنا الكبير ان يكتب قصة فكتبها ، فكانت قصتها قصة تطول ، كما عبر قبلنا صاحبه ابن الرومي ...

اخالك ادركت ما في عناوين كتب المازني من طرافة وغرابة ، وهذه سجية الناقد الاصيل . فالمازني ناقد في جميع ما يكتب ، وقصصي في كل فصل حبره ، واكثر قصصه طرافة واحلاها هي تلك الاقاصيص التي تتصل بذاته اتصالا وثيقاً ، وخصوصاً في الفصول التي كتبها في مجلة (الرسالة) وغيرها بعد ظهور تلك الكتب . ففي مقاله : (عجوة ببيض) وغيرها ، يذكرني بقصص الجاحظ واخباره ، وان كانت هذه من نوع آخر .

لقد حلت بالاستاذ نكبة البرامكة حين صبّحه اولاده وزوجه بطاب الفلوس . ولكن (العجوة بالبيض) هونت عليه الكارثة التي حلت به ، وتعزى الكاتب الفارغ الجيب بالكلمة المأثورة التي خاطب بها زوجه مسلياً نفسه: « انفقي ما في الجيب يأتِ ما في الغيب . لا بأس ، لا بأس ، سيرزقنا الله » .

بيد ان الكاتب لم يرزق ، فعاش غير ميسور ، ومات مكثوراً عليه ، ولولا صرخة رفيق الرحلة الاولى لتاه بنوه في الازقة كما تاه من قبل ابن ولي الدين لاماً اعقاب السكاير عن ارصفة شوارع القاهرة ...

قلت لك فيما مر ان المازني (كاتب جامع) ولكنه متئد السير في كل ما يكتب ، يهز هزاً لا يلوي ، ولا يفرض اراءه وافكاره على الناس فرضاً . اسمعه يحدثنا في عام ١٩٣٥ عما اسميناه منذ اعوام (الجامعة العربية) وقد سماه هو في ذلك الوقت (القومية العربية) ومما قال فيها : « لقد احطنا قوميتنا بمثل سور الصين . ولو ان هذه القومية العربية لم تكن الا وهماً لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب ان نخلقها خلقاً . فما للامم الصغيرة امل في حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس ، مثلاً ؟ ان اية دولة تتاح لها الفرصة ، تستطيع ان تثب عليهم وتأكلهم اكلاً بلحمهم وعظمهم . ولكن مليون فلسطين اذا اضيف اليه مليونا الشام ، وملايين مصر والعراق ، مثلاً يصبحون شيئاً له بأس يتقى » .

قد يقال: ولكن هذا ليس الا حلماً ، فنقول: نعم انه الآن حلم لا اكثر ، ولعله

لا يتراءى الا لاحاد يعدون على الاصابع في كل بلد . ولكنه ، على كونه حلما ، ليس اعز ولا ابعد منالا مما تحلم به امم اخرى في هذا العصر ، وبالامم حاجة الى احلام . والاحلام ضرورة من ضرورات الحياة للافراد والجماعات ، ومن لا حلم له لا امل له ولا مستقبل ، فلماذا يعيش اذن ؟!

هذه بعض خطوط من صورة اديبنا المازني ، واذا اردنا ان نرسم لكاتب عظيم مثله صورة تامة الخطوط ، فمثل هذا الاطار لا يتسع لمثل هذه المادة الغزيرة . فكتاب بكامله يكاد لا يفي بالمازني ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . فشكراً لمحطة الشرق الادنى التي تذكرنا في كل مناسبة باخواننا الذين طواهم الموت ، وكم في التذكر من منافع وعبر .

رحم الله المازني ، وما احوج الادب العربي الى بضعة كتاب من طرازه ، فينتعش لسان الضاد وتدب الحياة في كتبه . فالرجل كان غني النفس على بؤسه ، كريماً معطاء على خصاصته ، وربما كان البؤس مصدر هذه الثروة الادبية .

من يدري !

المنفلوطي ورسالة الغفران

ليتك تترك الاموات يرقدون في قبورهم مطمئنين ، فذلك ولهم ، الخ ...

من رسالة كاهن.

ابتِ واستاذي.

لا أخالك ناسياً ما كنت تقوله لنا ،ونحن صغار لم تطرر شواربنا بعد ، عن وقفتنا امام ربنا حفاة عراة ، حين لا يشفع بنا غير اعمالنا الصالحة ، وسيدتنا مريم العذراء... ولست انسى تغنيك بهذا النشيد : ان قلبي في هوى مريم ... من كان للعذراء عبداً فلن يدركه الهلاك ابداً ...

اما الاديب فيدان مرتين : مرة بحسب ناموس دينه ، واخرى بحسب ناموس الادب . فلاتجزع ولا تخف، فقبور الادباء معرضة للنبش كل ساعة ، ولا يقام على نابشها حد زياد في (البتراء) . فهنيئاً لمن ينبش النقاد قبره وينقل اثاره الثمينة الى متحف الفن ، ويا ويله اذا لم يكن فيه غير عظام نخرة ...

وبعد ، فان معضلة الاسلوب او القالب او المنوال قد شغلت العقل العربي اجيالا، فاحتال لها جماعة في كل عصر باخذ الحبل من طرفيه . لم يعافوا التديم جملة انقاء ثورة غوغاء الادب وهم اكثر من السوقة واشد خطراً ، واخذوا من الجديد بمقدار ارضاء لنفوسهم الظامئة الى ورد غير الحياض المطحلبة ... اما المجددون الذين تمردوا وخاطبوا الناس بلسانهم فانكرهم جيلهم وكان كاورشليم، قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ،

فعاشوا في امتهم كالدجاجة الغريبة لا تصادف الا مناقير من فولاذ تغرز في رقبتها .

امامي الآن مقدمة ابن خلدون فاسمع ما يقول في هذا الشأن :

« فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب ــ اي اساليب القدماء ــ فلا يكون شعراً ، وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ، لانهما لم يجريا على اسلوب العرب »

فهل من حرج علي ان وقفت من هذه الشهادة التي ينقلها الينا ابن خلدون موقف المرتاب الشاك ! فاما انه يشهد بالزور ، او ان شيوخه هؤلاء شيوخ حقا لم تبق منهم الايام قوة تميز بين شعر المتنبي والمعري . ومهما يكن من امر هذه الشهادة فهي دليل على تمسك العرب بالقالب حتى صيروا التعابير العربية كحصى (الدومنو) وحجارة النرد يسوقها الزهر ، وينزلها منازل لا يشتهيها اللاعب . اما الفنان فينظر الى الفاظه ككائن حي يستمد الحياة مما حوله ، وان كان للصينيين قوالب حديدية يحصرون فيها ارجل بناتهم فلا تنمو ولا تكبر ، فالقالب العربي فعل اكثر من هذا بعقولنا . فما افقر اديباً لا اداة له من الكلام الا ما قاله اباؤه وجدوده ، وان لم يعبر كما عبروا فقد كفر .

اننا نعجز عن خلق تعبير جديد فنحتج لضعفنا بتقديس الاسلوب ، ومن استعرض اثار العرب رأى ثورات الزعماء في كل جيل ، ونحاة وبلغاء يقمعونها . اما الجبار الذي خرج على اساليب القدماء واغراضهم وتعابيرهم فهو المتنبي وقد سمعت ما يقوله فيه ابن خلدون ويسنده الى شيوخه .

ولكن ما نعاه فيلسوف المؤرخين على ابي الطيب اصبح اليوم دعامة خلوده . فكأن هذا الشاعر الاعظم قد نظم شعره لهذا الجيل الكفاحي ، ففيه مرعى لكل نفس غير بلهاء كاشياخ ابن خلدون الذين يجاريهم طه حسين . فقد سمعته يختتم كلمته في حفلة الجامعة المصرية للمتنبي بقوله : ان فن المتنبي لا يعجبه ، وهذا ما توقعته من طه بك فلا بد للدكتور من مخالفة ليقال : قال . وطه ، كما أراه ، يعتق شيئاً فشيئاً ، ولا يبعد ان تستهويه الماوية والسجنجل ، فهو يمشي الوراب كالسرطان ولا نعلم اي وكر يملأ .

مسكين ادبنا المريض بسل الاسلوب وسرطان القالب . انه لا يؤمن الا بتعازيم الكهان ورقى الحواة ، ولا يعرف من الطب الا الكيّ ، وهو خير دواء لكثيرين من هواته . يخدعك طلاء هذا الادب حتى اذا رزته عرفت انه دنانير ولكنها من (شوكلاته)!

سقنا هذه الكلمة لحديثنا عن المنفلوطي ، والمنفلوطي جدول يخرخر ونهر ثرثار تقطعه غير خالع نعليك ولا تشمر بكرم فضاح كالتي حدثنا عنها الريحاني في ملوك العرب . المنفلوطي من مناجذ الادب الذين لا يهنأ لهم عيش الا في قرض الجذور ، ونحن الى من يغرس جديدا احوج منا الى من يقرض ، فالقارضون عندنا لا يحصون ، وقلما ينامون قبل ان يكبسوا بيتاً .

لا ادري لماذا صرت ارى المنفلوطي رخواً مترهلاً كالمرأة الهركولة التي تعتمد على يديها ورجليها ، لتنهض وتكاد تقعد لولا التشدد كهريرة الاعشى . فادب المنفلوطي ادب مفلطح متنفش اغترت الصحف بخرزاته وودعاته فلقبته (امير البيان) فتطوح في حقول الاقدمين كلاقطي السنابل (العفّارين) وتاه في الجادات كجامعي لفافات التبغ ، ولن اعدل عن رأيي هذا فيه حتى تستبدل مقاييس الادب وعياراته بغيرها فيصير الرطل كيلوا والذراع متراً ...

ماخدع المنفلوطي عن نفسه حتى جاء بهذه المفرقعات الا كذب بعضنا على بعض ، واننا ما فتئنا نفعل هكذا بالاحياء الذين يبعطون في جهلهم ولا يتأدبون حاسبين النبوغ في اجترار التعابير كالعنزة القائلة .

لقد فتشت اثار المنفلوطي كلها فما عثرت بتعبير شخصي لهذا النابغة . فهل بين الناطقين بالضاد من يدلني على واحد ، ثم لا يثنيه هذا الضعف ان يجتريء على المعري ويلخص رسالة الغفران باسلوب منفلوطي ، فتنكرت لنا كالذين يتلبسون بقبع المرفع والبرباره .. ولو لم يقل لنا المنفلوطي انها رسالة الغفران لجهلناها ، فقد استحال فيها ادب المعري معرة ، واستناب المنفلوطي نفسه عن علي بن منصور .

رحم الله ع . م . احد رساميننا القدماء ، فقد خبرونا انه كان يصور الغزال ويكتب اسمه تحته ليعرف الناظر انه يرى صورة غزال لا صورة ضبع . ان ع . م . في الرسامين كالمنفلوطي في المنشئين ، ولم تعدم البلاد ممن يعدون ع . م . مصوراً بارعاً ..

وكاني بمنفلوطينا قد استضعف خيال المعري فبدأ رسالة الغفران ــ غفر الله له ــ حيث اراد، واخذ يروح فيها ويجيء كسيارة يدورها سائق عكش في كوع ضيق .

قد بدأها كما شاء هو فرأى نفسه في صحراء مد البصر، وما اكثر ما يرى المنفلوطي نفسه في الصحارى ، حيث لا حارس ولا ناطور ، بل ما اكثر احلام هذا الرجل واقرب اغفاءته ، وما اطول نومه فكأنه اليربوع او الغرير . عفواً اين الغرير منه وقد نام الف سنة في رسالة الغفران .. تحرش المنفلوطي بالمعري، ثم بجبران في قصة (صراخ القبور) فكان كولد يخربش على الحيطان قبالة فنانين حاذقين . وجاء عمله في رسالة الغفران كعمل صيقل ابله يذهب بجوهر السيف ليجعله لماعاً ابيض، وان شئت فقل ليعيده حديدة .. او كحراث عثر وهو ينقب ارضه على قطعة اثرية فجلاها بسحوق كسر الجرار ليزيل زنجارها ، فخمشها وعراها من هيبة الدهور وجلال الاجيال . وهكذا فات البصير، امير البيان، ما ادركه الاعمى الذي لم يعجب شعره ابن خلدون واشياخه .

لقد مسخ المنفلوطي رسالة الغفران مسخاً لا يغتفر لصبية الكتاب ، فكان كالقصاص بل من اين للمنفلوطي براعة ذاك . فالقصاص لا يهمل الخطوط التي تريك ملامح ابطاله ، اما المنفلوطي ففاته هذا . اقرأ تركيف غاب عنه ما فيها من جمال فبدل التعابير الاثرية بكلام مزيف مصقول ، ولم يعجبه ، يا سبحان الله ، من كلام المعري الا (فعلت بالامر) التي لا تدل الا على ذوق المنفلوطي ، فأبقاها .

هل من معترض اذا سمينا المنفلوطي محيي المؤودات ، فقد احيا لنا الكثيرات منهن مثل : فثأته عنه ، والفينة بعد الفينة ، وعين ثرّة ثجاجة ، وقليب اي بئر الخ . عدا عن الصحراء التي حل فيها محل ابن القارح ، ثم خلق ايضاً في الجنة دهليزاً ــ كالذي كان يأكل فيه المعري ــ وهذا شيء غريب عجيب لا يلهمني الا ان المنفلوطي كان يسكن بيتاً ذا دهليز . فالمعري الذي عاش في دهليز ابدي ما خطر بباله قط ان يجعل في جنة الله حتى ولا في الجحيم دهليزاً كهذا الذي خلقه المنفلوطي.

قال المتمشرق جيب في مجلة الدروس الشرقية الانكليزية :(ص ٣١٦ سطر ٢٢ مجلد ٥) ان المنفلوطي كان متأثراً بالادباء السوريين ، وايد كلامه بتلخيصه رسالة

الغفران التي لخصها زيدان قبله ، ولم يتعرض الاستاذ جيب لهـذا التلخيص المشوه بكلمة . نعم ان المنفلوطي حذا حذو زيدان كما قال جيب ، ولكن زيدان لخص هذه الرسالة تلخيصاً امينا ، ولم يستضعف المعري ، فقدم لنا خلاصة ترينا هيكل رسالة الغفران فقرة فقرة وعظما عظما . اما تلخيص المنفلوطي فلا نظفر منه الا بفقاعات منفلوطية كالتي يعجب بها بعضنا ويخالها الادب كله . اما صاحبهم ففشل فشلاً مخزياً في تلخيص رسالة الغفران ، وفي قصة العقاب التي كتبها على نسق قصة (صراخ القبور) كما سنرى ، فكان فيها ، كما هو في كل ما كتب ، رصاف الفاظ يلهو بها لهو الوليد بالقطع الخشبية ، يبني منها قصراً او قبة ، حتى اذا وفق الى رصف تلك القطع في مواقعها صفق له ابوه ، وقبلته امه بين عينيه اعجاباً بذكائه واكباراً لنبوغه .

ان تعابير المنفلوطي في كل ما يكتب هي هي بعينها ، شاحبة صفراء كقوس الشنفرى ، او كبني يربوع الاخطل . اما سياق تفكيره فواحد . كل ليلة غدافية الاهاب ، وكل حتل مدّ البصر ، وكل وقت يمضي الا اقله ، وكل رؤيا يبدأها بقوله : رأيت فيما يرى النائم ... وقد يكتب صفحات فلا تدري ماذا يريد ، فتأتي معانيه كحبة قمح في عدل تبن . ولا اتخيله الا كاولئك الواعظين الذين يعيدون مواعظهم على الناس بشحمها ولحمها وعجرها وبعرها .

فكرت كثيراً بما اشبه به اثار المنفلوطي واسلوبه وتعابيره وطلبت فلم اجد له مثلاً الا الروبل الروسي ، والمارك الالماني .. وان اردت مثلاً تراه بعينيك ، فانظر الى الظرف والزكرة المنفوخين وترحم على نحاة العرب ، فلحكمة سامية خلقوا حرف التنفيس ... واذكر بالخير صاحبنا بشاراً وقل لعشيقته عبدة : عجلي فقد كاد صاحبك ينفزر ...

لقد ضاق التفكير بالمنفلوطي فلجأ الى قوالبه المعلومة واخذ يرجعها كساعة (الكوكو) التي تقلقك زمناً ، قبل ان تعد الثانية عشرة . اليس عجيباً ان نسعى الى التجديد بكل ما فينا من قوة ورغبة ثم ننصر هذا العتيق ونسميه جسراً ، وهو قنطرة نافرة الغلق .

واخيراً ان شئت ادراك فهم المنفلوطي لرسالة الغفران فاقرأ كلام ابليس وبشار

في الرسالة وقابله بتلخيص المنفلوطي ، ثم قل سبحان من يخلق لكل جيـــل عبقريا كالمنفلوطي .

اني افرح كثيراً بما اقرأ من محاولات شبابنا في التجديد ، وساجعل همي الاخلاص لهم وللفن فاعرض عليهم ما افهم وادرك ، ولا غرض لي الا تحسين نسل الادب . واسعد ايامي يوم ازيل فيه من ادمغتهم عقيدة الاسلوب والقالب لينظروا الى التعبير ككائن حي ينفخ فيه الاديب الفنان من روحه . ففي قوالب العرب ما بطل ، وفيها الصالح لهذا الزمان ، فلنميّز بين الاثنين . اذا كان النـــاس يحسّنون نسل القطط ، والسكاف يجدد قوالبه كل عام ، فكيف بالاديب وهو الخالق المبدع !

اني لا احترم ولا اقدس الا الادب الصحيح ، وسيان عندي قديمة وجـديدة ، وسواء عندي اجاء من غلام مغرور ، ام صدر عن شيخ وقور .

انا نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ، فان استمرأتم زادنا زدناكم منه ، والا فارفعوا ايديكم عن قدورنا ، فلا بد لهذا الفول من كيّال .

ابو الفضل الوليد

كان اسمه الياس طعمه حين كنا في مدرسة الحكمة رفيقين في الصف العربي ، يعلمنا بيانها وقواعدها الخوري يوسف بو صعب . ثم انقضى ذلك العام الدراسي ، عام ١٩٠٥ ، فترك الياس المدرسة الى غير رجعة وكان آخر عهدي به .

قضى في بيته ثلاثة اعوام كانت من اطيب العمر كما قال . ألّف خلالها مسرحيات عديدة ، شعرية ونثرية ، منها ما وضعها ، ومنها ما عربها ، حتى انه نظم نشيد الاناشيد وصدره بمقدمة . ويزعم الياس انه لما هاجر عام ١٩٠٨ اضاع تلك الدفاتر في احدى رحلاته ، ولذلك لم نضع نحن الوقت في سرد اسمائهـــا . وفي ١٥ نيسان سنة ١٩١٣ اصدر في المهجر جريدته (الحمراء) تيمناً باسم حمراء الاندلس ، وقريته اللبنانية (قرنة الحمرا) ، فعاشت تلك الجريدة اربع سنوات خلقت في اثنائها روحاً قومية عربية قلما تجدها ، واذا وجدتها فلا تجد تلك الحماسة والعصبية حتى الهوس .

قلت : كان اسمه الياس طعمه ، ولكنه « في تشرين الاول من عام ١٩١٦ اتخذ كنية ابي الفضل واسم الوليد ، وقيدهما في سجل الحكومة البرازيلية فأصبحا رسميين شرعيين يعرف ويعامل بهما . »

يقول ابو الفضل الوليد « انه لم يغير اسمه لانه غير عربي ، بل لانه ابتذل وقصد به علم النبي اليهودي . فهذا الاسم حمله احد اجداد العرب وهو الياس بن مضر بن نزار . »

ان جنون الياس بحب العروبة وكرهه اليهودية أنساه ان الكتاب المنزل الذي تدين به العروبة التي يقدسها قد جـــاء فيه : وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ، (سورة الانعام ٨٥) وان الياس لمن المرسلين (الصافات ١٢٣) .

ومن الصدف الغريبة ان يهاجر الياس في نيسان ، وان ينشيء جريدته (الحمراء) في نيسان ، وان يعود الى وطنه في نيسان ، وان تبارحنا نفسه الكبيرة في ٢٩ نيسان يوم الثلثاء سنة ١٩٤١ .

اما هدف هذا الاديب الشاعر في الحياة فقد عبر عنه بما يلي :« لولا بياض امله لما شهد الملأ سواد ورقه ، ولولا حبه لقومه ووطنه لما اضاع في الكتابة احسن العمر . فليس هو الا صاحب دعوة له عقيدة مليـــة وطريقة سياسية . حمل القلم لاظفارهما ولاظهارهما فكتب للعزم والعمل لا للعب والكسل . فكان نثره ونظمه مبديين لشعوره وايمانه ورجائه .

انه مجاهد قديم ، حارب حتى تكسر سلاحه . وبعد ما قام بالفرض ووفى بالعهد هجر الدواة وسائر الادوات . ولم يعتزل الا لتيقنه انه لم يبق للقدم مفزع ،وللسهم منزع . فحكى قائداً رومانياً كان يعود من نقاع الحرب الى بقاع الحرث . وما كان ناثراً وناظماً ليعد كاتباً وشاعراً ، وما اتخذ الادب حرفة ليداومه لكن بلاغاً ورسالة. فلا يصح الا به وبامثاله قول الرسول في حديثه الشريف : يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة فلا يفضل احدهما الآخر .»

وينتقل ابو الفضل الوليد الى وصف خلقه ليعرفه الآتون بعده. فكأنه،رحمه الله، قد ادرك انه سيهمل وينسى، فدوّن بقلمه تذكرة نفوسه فقال :« انه طويل القامة ، قوي البنية ، متناسب الاعضاء ، حنطي اللون ، كبير الرأس، كثيف الشعر ، واسع الجبهة ، أزجّ الحاجبين ، انجل العينين ، عسلي الحدقتين ، ضخم الانف ، غليظ الفم ، عريض الذقن والصدر ، طلق المحيا ، حسن المقابلة ، لين الجانب ، حلو الحديث ، لطيف الحس ، شديد الطرب ، صبور جليد ، محب للحلم والرحمة والاحسان ، ذو انفة وعفة ، ونزاهة وشهامة ، مترفع في العزلة ، متواضع في العشرة ، حافظ لعهد وفي بالوعد ، غضوب للحق، ولوع بالعدل .»

اما في وصف ادبه فيقول : «ما كان التهـــاب فكري الا من اضطراب نفسي واضطرام قلبي. فالفضل في الهامي لروح العروبة التي لاحت لي من ورائها روح علمين. اني اموت كما عشت عربياً آملا مشوقاً ، واود ان تضم جثماني تربة دمشق الطيبة.

هناك تهيم روحي في البادية ، وتنشق نفحاتها الطاهرة ، وتطرب لهدير الوادي .
تلك رقدة اشتهيها واعلل نفسي بها ، واراها خير مكافأة لي اذا كنت مستحقاً . »

ومشى الياس الخطى التي كتبت عليه حتى استولى على امد العروبة فقال : « واذا لم تكن عروبة الا بالاسلام فانني عربي مسلم مؤمن ، اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله . »

هذا ما كتبه ابو الفضل الوليد معرفاً الذرية بشخصيته ونفسيته . اما ما ذيل به اكثر كتبه فهاك بعضه ، آملا ان تصدق ما تقرأ . فرفيقي وصديقي الياس كان غريب الاطوار كما ستعلم حين اتحدث انا عنه كما اعرفه . اما الآن فانر رأيه هو في نفسه . قال تحت عنوان (شهادة عدل وكلمة حق) :

« ابو الفضل الوليد عبقري نابغة متفرد مندر ، اشهر من ان يعرف واكبر من ان ينعت ويوصف ، ان هو الا الحكيم الاعظم والشاعر الانظم . وكل ما كتبه يعد من نفائس الادب العالي ، وعليه طابع ممتاز من الاجـــادة والابتكار . ألف في اللغة والتاريخ والادب والشعر والتمثيل والغناء والنقد والاجتماع والرواية والسياسة والفلسفة ، فكان عقله من العقول المحيطة التي لا يخفى عنها شيء ، ولا يفوتها امر . فأصبح رب الصناعتين وحامل الرايتين ، الحكيم الاخبر والفيلسوف الاكبر ، وشاعر العرب الامثل ونجي الملأ الاعلى .

انه الشاعر الملي ، والفيلسوف ذو البصيرة النيرة والسياسي المطلع الخبير . كل بيت من شعره قصيدة ، وكل جملة من نثره مقالة ، وله في الانشاء ميزة يفطن لها الاريب فيقر بأنها معجزة .

لقد برز بما ابتكره واحتكره على المتقدمين والمتأخرين . ما كان النهاب فكره وقلبه ونفسه الا من شعلة سماوية . وليس لهذا الجيل بل للاجيال الآتية ان تفيه حقه وتعرف فضله وقدره . فقد كان ظهوره قبل اوانه ، وعلى غير استعداد من اهل زمانه . »

ان هذه الشهادة تقرأها في آخر كتبه جميعها ، ما عدا (رياحين الارواح) (واحاديث المجد والوجد) ، وعندما طبع اول ديوان كتب على جلده ما يلي :

« رياحين الارواح . الرقين الاول من قصائد الملهم الذي نظم الشعر عقوداً ، والحكيم

الذي ضرب النثر نقوداً ، صاحب الطرب الاعلى ، والوطر الامدى ، اشعر من شعر ، واكتب من كتب ، ملك النثر والنظم ، المبداع المجواد السيد ابي الفضل الوليد.»

اما جلود دواوين شعره الاخرى فاكتفى لها بوشم شاعر العرب فقط .

لقد انتهى بعض ما قاله ابو الفضل الوليد ، وجاء دوري الآن ، لاقول انا فيه ما اعرفه . رافقته في مدرسة الحكمة فتصادقنا . ولكني كنت ارى فيه صديقاً تخشى بوادره . كان ذا عنجهية ، ارستقراطي الطاعة في غنبازه الحريري الذي كان يتفرد بلبسه دوننا ، فكأن العروبية فيه طبع لا تطبع . كان استاذنا الخوري يوسف بو صعب يداوره ولا يجابهه ، حتى قال مرة على اثر خروج الياس من الصف غاضباً : ابوه من بيت طعمه ، وامه من بيت طوبيا ، وجدها الشنتيري وكيف تريده لينا مطيعا .

كان يجلس وحيداً لا يأخذ ولا يعطي ، فكأنه صف مستقل عن الصف . وكذلك كان في الخارج ، فكأنه لا يعنيه من المدرسة شيء كما يريد ان لا يعنيها منه شيء ، ولهذا تركها دون ان يتم دروسه .

كان مستبداً برأيه حتى في التعليم ، فاذا سيره الاستاذ على غير هواه تنفش كالهر وتأهب للنزال . لم يكن يهمه من الدروس الا نظم الشعر . ينظمه في الصف ، وفي قاعة الدرس ، وفي الكنيسة حتى ... ورآه المناظر الخوري يوسف الخوري يخربش على ورقة في الكنيسة ، وقت القداس فقال له : هذا بيت الله !

فأجابه الياس : وانا انظم له ترنيمة ليس فيها ركاكة ترانيم حنا بو صعب .

وبلغت الكلمة استاذنا الصعبي ، وكان يحب الياس ويراعيه كثيراً ، فسأله : اية قصيدة تعني من قصائد حنا بك بو صعب ؟

فأجابه الياس : اعني يا خالق الاكوان يا باري الورى .

فقال الخوري : وما الذي لا يعجبك فيها ؟

فقال الياس : انه يخاطب الله بلغة النحاة فيقول فيها : يا عالماً هل ان حنا ينصرف .

فقال الخوري : هذا حلو ، كيف لم يعجبك !

فقال الياس : لم يعجبني لان الله وعبيده لا يستعملون مثل هذه اللغة في الابتهال .

واخيراً سكت الخوري ، وكانت دائماً الكلمة الاخيرة لتلميذه الظاهر الياس .

كانت ذاكرة الياس قوية جداً ، وكان شديد الميـــل الى الغريب من المفردات فيحفظ منها الكثير ، وكان يترنح طرباً حين يسمع الوحشي منها في الشعر الجاهلي وغيره ، فتلتقطه ذاكرته فلا يفلت منها فيما بعد .

وكان الياس يعيش على هواه ، يركب رأسه ساعة يشاء فيجمح ثم يثوب ويسلس قياده لمعلميه ورفاقه . تراه وديعاً كالحمل ، وفي جلسة واحدة يلبس جلد النمر وينقلب شموساً لا يؤتى من قبل ولا من دبر . بدوي في ثوب حضري ، غريب الاطوار ، ولعل هذه الغرابة كانت من اول اسباب هجرته ، التي كان في غنى عنها . اما حبه السياسة فكان فيه ككل ابن بيت لبناني عتيق . ان الفريكة التي شهرها الريحاني لا تخوم بينها وبين قرنة الحمرا ، وبين الريحاني وابي الفضـــل الوئيد قرابة لعل للنسب والمكان يداً فيها . فأم امين من بنات عم الياس طعمه ، وهكذا كانت العروبة عندهما فوق الجميع ، ولاجلها فاه الياس بكلمة الشهادتين ، وهذا لم يفعله امين .

هذه هي الفكرة الجارفة فيما خطته يد ابي الفضل ، ولا اعد ما نقلته عنه في مدح نفسه الا من غرور العبقرية ، ولا بدع ، فالعبقرية والجنون يمشيان في صعيد واحد .

لم يُمدح الياس كما يشتهي فتولى هو بنفسه مدح نفسه ، فاطنب وغالى واغرق . كان ابياً لا يستجدي التقريظ من احد ، ورأى انه مغموط الحق فحك جلده بظفره ، والى هذا اشار في كتابه (التسريح والتصريح) فقال : « اعرف كثيرين من الشعراء والكتاب يكتبون بأيديهم تراجمهم وتقاريظهم فينشرها لهم اصحاب الجرائد على علاتها لصداقة او قرابة او شفاعة او طماعة . وبعض صحافتنا اتخذها محترفوها مهنة للخداع والكذب . فقد تحيي بالريحان من يرجمه الناس ، وتجعل الجاهل عالماً والسارق محسناً . فرب صحافي برشوة او اكلة او سكرة صيرّ الفدم فريد عصره والفسل وحيد مصره . وبورقة عملة يملأ ورقة جريدة من صورة الراشي وشماريخ الالقاب والنعوت . فالذي يشاء يصبح امير البلاد وزعيم العباد ، وعميد الكتاب وسيد الشعراء . »

وكأني بالياس قد اخذ حقه بيده بعد ما رأى ما لحق به من حيف . فما كان كغيره ــ كما قال ــ شاعر نهر ولا بحر ، ولا شعب ولا قطر ، ولا فيلسوف شرق

ولا علامة غرب ، ولا امير شعراء ولا رئيس كتاب ، بل نصب نفسه ملك الشعر والنثر وكفى .

ابو الفضل الشاعر

شاعر مطبوع ، خلق ليقول شعراً ، كان يحكي شعراً اذا شاء ، وظل يقول الشعر حكيا معرباً ، فهو في هذا ضريب عبد المحسن الكاظمي وان لم تكن له الديباجة الكاظمية . يعني ابو الفضل الوليد ان يؤدي فكرة لا ان يبدع فناً ، وان ادعى الخلق والابداع . فقلما تقع في دواوينه الاربعة على صورة بيانية ، ولكن نفسه تحن كثيراً الى الخلق الذي يزعم انه سبق اليه المتقدمين والمتأخرين. فهو في ديوانه الأول (رياحين الارواح) يناجي (العصفور) سائلاً اياه ان يجود عليه بشيء من ابداعه :

ايها العصفور قل لي ... أتغني أم تصلي
هذه تغريدة قد ... طيرت قلبي وعقلي
انت بالانشاد فوقي ... ان تكن بالنظم مثلي
زادك الله جمالاً ... في التغني والتمثلي
اعطني وزناً جديداً ... لم يكن للشعر قبلي

أرأيت هذا التوق وهذا الوجد ! فهو يتمنى ان تكون له لغة العصافير واناشيدها. أدرك ابو الفضل المدرسة الجديدة ولم يتأثر بها ، بل نستطيع القول انه ازدراها . كان يزرع حقله بعقله كما يقولون ، ولهذا يقول لنا :« في شعري هذا لهجة صادقة ، وطريقة جديدة . وقد فتحت فيه ابواباً لم تطرق ، ومهدت للشعراء سبلاً ، فما نظمت قط مسترزقاً او متملقاً ، وما طمعت بنظم ذليل في مال قليل ، فما اسقطه متاعاً اذا طرح في الاعدام على الاقدام . وشر البلية من ذي راس خفيف وكيس ثقيل .»

ان صدق اللهجة والاباء وعزة النفس ملء دواوينه الاربعة . اما الطريقة الجديدة والابواب التي فتحها فما هبت عليّ منها نسمة ، الا اذا كان التجديد فيما قال:«واحببت الشعر مصفّى منقّى لا جوازات فيه ، ولا قواف مكررة ، ولم استعمل كلمة اعجمية ولو راسخة في التعريب غيرة على الاصيل من الدخيل .»

اشهد انه في هذا صادق ، وصادق ايضاً حين يقول :« كثيراً ما لا يكون الشعر لصاحبه،اما انا فصاحب شعري . تناثر من قلبي زهراً عن غصن وريشاً من جناح ، فعلى طريق الحياة نثرت شعوري ثم نظمته في شعري . فما شعري الا تذكار لمروري في هذه الدنيا . وكنت اود ان لا اترك اثراً ولا ابقي خبراً ، فأكون كعصفور يلقي غردة ويمر وهو غير مكترث لما تردد في الفضاء .»

ان في هذا المنثور شعراً كثيراً لا نجد مثله في منظوم الوليد الذي يرى الشعر سليقة وفطرة ، لا صناعة وفكرة . فأبو الفضل سليقي يقول فيعرب ، كما قال ذاك الشاعر عن نفسه . طويل النفس كأبن الرومي وان لم تكن له معانيه الغريبة . قد يتفقان في وحدة القصيدة ويختلفان في ان الوليد لا حشو عنده ولا ركاكة . تمنى ابو الفضل لو وضع اوزاناً جديدة ليكون ذا بدعة وابداع كما قال ، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا ، وما عبر في قريضه الا عن آماله وامانيه بعريان الكلام البعيد عن الخيال الشعري،المنمق العبارة .

والشعر في نظر رفيقي الياس نبوءه حقاً ، ولهذا قال في مقدمة الرياحين :« كان اليهود يقولون تنبأ أي قال الشعر . فالنبي في عرفهم هو الشاعر،وقد كانوا، وايم الحق، مصيبين . فما الزبور والاسفار والنبوءات الا قصائد . وما داود وسليمان وسائر الانبياء الا شعراء ، وكفى بنشيد الاناشيد شعراً غزلياً يخلب القلوب ويسلب الالباب. ان التوراة رُقُن ــ دواوين ــ شعر مجموعة ، وهي كتاب اليهود ، ولكل امة كتاب هو كتاب شعرها ، تذكر به ما كان وتأمل ان يكون.»

ويعرفنا ابو الفضل الوليد بديوان رياحين الارواح فيقول انه مظهر الروح المتأثرة ، وكذا يكون شعر الصبا والفتوة.فهذا كتاب الوليد حقاً ، ولا اسميه عبثاً كما سمى المعري ديوان البحتري ، اذ لا يحق لي ولا لغيري ان نعبث بالشاعر الصادق الذي يكشف لنا خبايا نفسه .

هذا الديوان غزل كأكثر الغزل ، ولكن فيه وثبات كما في قصيدة مداعبة عذراء :

مجلسها صمت وايجازُ ولحظها للقلب مهازُ

مالي على عفتهـــا طاقة تلك على المجروح إجهاز
من لي بها والدين دون الهوى وفي يد القسيس عكّاز
وصورة العذراء في خدرها والسبحة البيضاء إيعاز
قسيسها ينهى ولا ينتهي وهي عجين وهو خبّاز
ان قلت مولاتي عديني وفي فالقلب من عينيك قفّاز
قالت وقد عضت على كفها لم ادر ما وعـــد وانجاز
أرشدْه يا يسوع واغفرْ له من اجلنا جرحك نزّاز

اظن انها قصيدة فريدة ، وهي في نظري ريحانة دواوين الياس الاربعة ، لا ديوان رياحين الارواح وحده .

وفي قصيدة (الى فتاة ترهبت) رأيت هذا البيت في المحل الارفع من سموات الشعر . قال يذكر تلك الفتاة التي عاذت بالدير من شياطين العاشقين :

ولم أنسَ يوماً فيه جئتك زائراً فقلتُ (الا هبّي) فقلتِ (قفانبكِ)

اجل هذه لقطات ترميها الالهة في طرق ابنائها الشعراء ، وهنيئاً لمن يقع على مثل هذه الكنوز .

اما ديوانه الثاني ، او الرقين الثاني في لغته هو ، فمصدر بصفحة كتبها الشاعر بخط يمينه ليثبت ايمانه ويقينه بسمو العرب وحق العرب بسلطان لا يزول . ان قصائد هذا الديوان يدل عليها عنوان (اغاريد في عواصف) ، وهي قصائد انين وحنين ، وغزل ونسيب ، وذكريات اوحتها الى الشاعر هجرته . فكان من أمه ، قعيدة بيته في الحمراء ، كابي فراس من عجوز منبج . في هذا الديوان تتفجر عواطف الياس بسبب ما أدرك من خيبة في هجرته ، اصابه ما اصاب النعامة كما قالت العرب : ذهبت تطلب قرنين فرجعت بلا اذنين . وذهب هو في طلب الطريف فاضاع التليد ، وذاك حظ كل من تدركه حرفة الادب . فكم من معتّاز او عتّال هاجر فاغتنى ، وكم من اديب لبيب لم يعط خبزه كفاف يومه . فاسمع كيف يخاطب نفسه :

اتطمـــع كالضّليل بالوطر العالي وانت قليل الحظ والصبر والمـــال
اطرفة في العشرين فاجاك الردى ويا ابن زريق متّ من طول إهمال

وفي قصيدة خاصة بابن زريق يخاطبه فيها :

شقينا كلانا فمت وكدت ... اموت ، فجسمي براه السقام
فمثلك خضت بحاراً وجبت ... قفاراً وشبت لفرط اهتمام

ويقول في قصيدة اخرى :

والحظ لما طلبت المجد ارجعني ... صفر اليدين اذا فتشت لم اجد

ثم يختم هذه القصيدة موجهاً كلامه الى والدته :

ماذا تقولين او ماذا اقول اذا ... عاد البنون الى المأوى ولم اعد
لهفي على ولد يقضي الحياة بلا ... ام ، ولهفي على ام بلا ولد

واذا شئت ان تتذكر ابا فراس فاسمع :

هناك وراء البحر ام حزينة ... تكابد آلام الشهيدات من اجلي
ابيت اناجي طيفها قائلا لها ... رويدك اني كالألى فعلوا فعلي
لقد مات (دنتي) يائساً في جهاده ... وقدمات في المنفى (امرؤ القيس) من قبلي
واني لادعو كل ذي محنة اخي ... فللشبل حنّات الى زأرة الشبل

ويأس الياس فيرى الكون من وراء نظارة سوداء فيقول :

من يعط لا يوهب ومن يمنع ينل ... كن مؤمناً بالله واشبع دينا

ثم يرى سبب شقاء هذا البلد في طوائفه ، والى رجال الدين يعزو فقر البلاد فيقول فيهم :

متى ينتهي كهّاننا وشيوخنا ... فنخلص من حيّاتهم والعقارب
شقينا لنعماهم وراحتهم فهم ... يسوقوننا كالعيس نحو المعاطب
يقولون صلوا واصبروا وتقشفوا ... وتوبوا وصوموا واثبتوا في التجارب
وهم بين عوادّ وزقّ وقينة ... لها عبثات باللحى والشوارب
يجوع ويعرى في الكهوف فقيرنا ... ويشقى ويبكي صابراً غير عاتب
وقد اكثروا دياجهم ودجاجهم ... وقالوا لشعب الله عش بالعجائب
فكم اكلوا القربان بعد فظيعة ... وكم جحدوا الايمان عند المكاسب
خلاصي ، وما اغلاه ، لست اريده ... اذا كان من خوري وقس وراهب
متى يهزم الغربان نسر محلق ... وتبطش آساد الشرى بالثعالب

هذه هي (اغاريد في عواصف) ، وسترى الى اين سار هذا المتمرد مع العاصفة .

والديوان الثالث (الانفاس الملتهبة) نظم في الحرب الكبرى الاولى فجاء صورة للزمن الذي نظم فيه ، طافحاً بحب الاستقلال الذي حنت اليه الامة العربية وحاربت من اجله . فالشاعر في هجرته يحلم بالمجد العتيد ويتألم ويحن الى ارض هجرها :

ذكرت بلادي والكواكب تسطع ونفسي بما فوق الكواكب تطمع
وجدت لكي ارعى نجوماً كثيرة ولكن نجمي بينها ليس يطلع

فهو في هذا ينظر الى قول المتنبي: فلا تقنع بما دون النجوم. ابداً اقطع البلاد ونجمي.

ويرى الشاعر ان البلاد لا تنهض الا بالسيف والقلم متعاضدين فيهتف :

صليل الظبى وصرير القلم لفك القيود وشق الظلم
بدونهما لا حياة لنا فهذا وذاك حياة الامم

وشمرت الحرب عن ساقها فشمر الياس معها ، واطربه زئير الحديد فصاح :

السيف يخطب فاسكت ايها القلم لا خير في الحبر حيث الدمع ينسجم
السيف منه صلاح فاضربنّ به ان النبي لنصر الله قد ضربا
ان اخفق الحق والايمان في أُحد فيوم بدر ازال الكفر والشغبا
اما تراجع محروساً ومحترساً فالليث يرتد احياناً لكي يثبا

ويذكر مسقط رأسه لبنان في تلك الايام السوداء فيهتف :

لي امة شطرت شطرين شطر نوى وشطر موت فكيف الشمل يلتئم
قد مات ابناؤها حتف الانوف على مرأى الالوف فلم تنهض بها الهمم
وثوقهم بوعود العجم ضيعهم فذمة العجم ألاّ تحفظ الذمم
يا ليت اعلامهم اكفانهم فلهم منها حياة وللابناء معتصم
لكنهم تحت رايات العدى سقطوا صرعى ، وفي ارضهم من قوتهم حرموا

حقاً انها صفحة طواها الشعراء وما اتوا على ذكرها الا قليلاً . اني اضحك حين اقرأ اليوم هذه العبارة : الحرب الباردة . فاين برودة حرب اليوم من صقيع تلك ؟! فما مرت حرب باردة في دنيا الله كتلك التي مرت على لبنان في حرب سنة ١٩١٤ .

ماتت الناس بعدمـــا اكلت الفئران والجرذان ، والحمير والشعير من روث خيول العربات . اجل لقد اكلت الناس هذا وماتت ولم تطلق بارودة ولم تهز عصا .

وكأن الياس حين سمّى ديوانه الاخير (نفخات الصور) قد تخيل امته راقدة وهو رافائيل ينفخ في الصور ليبعث من في القبور . لا تستغرب هذا القول ، فها هو الشاعر يصدر ديوانه هذا بما يلي :

« لقد كان هذا الكتاب من الشعر وحياً وتنزيلاً للعرفـــان والهدى، فالعواطف والافكار التي تجيش في ابياته لا تكون الا من نفحات علوية تنعش السماء بهـــا الارض ، كيف لا وناظمها ابو الفضل الوليد . قد نشأ مارونياً لبنانياً وتخرج من مدارس نصرانية كهنوتية فكان معلموه قسيسين ورهبانا . وتغرب في بلاد افرنجية وامريكية اهلوها لاتين بحورهم تغرق الشرقيين ، فمن يصدق ان من هذه تربيتـــه يشعر ويفكر بما لا يدور في خلد عربي مسلم في مكة . ان هـذا الا دليـل على ان شعره موحى به اليه ومنزلا عليه ، فليس هو مسؤولا عنه ، انما الله وليه فيما كتبت يده لخير العرب والمسلمين . وقد تدرج حسه حتى حببت العروبة اليه الاسلام وهو روحها وجوهرها . »

ثم يختم هذه الصفحة من تاريخ حيـــاته بهذه الكلمة : « فاذا لم يكن نبياً ــ اي ابو الفضل الشاعر ــ لا شك بانه ملهم من خاتم النبيين . »

اما النبوءة فلا ، اما الالهام فهذا فيض من النفس ، ونفس الياس تهدر في اعماقها العروبة ثم تجري انهاراً جارفة في (نفخات الصور) ، وليس اصدق من عناوين قصائد هذا الديوان في الدلالة عليه وهذه هي اولا: (الرؤيا النبوية) وفيها يقول ابو الفضل:

تشوقت حتى زارني الطيف مؤنساً واشرق نور الطلعـة النبويّة

ويبلغ الوليد الجنة فيرى على بابها رضوان لابساً من الاضريج افخر حلة .ويدخل الجنة ويشرب من رحيق الحور والولدان باكواب من در ، وقوارير من فضة ، حتى اذا ما توغل في الجنة بلغ حضرة من على العرش استوى ، فرأى :

غمامة عليـــين تستر نوره ترفع رب العرش عن كل هيئة

ويتحير الياس في ذلك الموقف ويعجز عن الوصف كما عجز مار بولس من قبل

فيسمع صوتاً يناديه : دعوتك فاسمع انت صاحب دعوة .

وكن منذراً بين الورى ومبشراً ... وبلغ جميع المسلمين وصيتي
فشعرك وحي منزل في جهالة ... كما نزل القرآن في الجاهلية
تشجع وآمن يا وليد فأنت لي ... رسول وفي الابلاغ فضل الرسالة
انا المصطفى المبعوث للحق والهدى ... وقد صحفوا في مصحفي كل آية
وقل لجميع المسلمين تجمعوا ... وصونوا وقار الامة العربية

*

ويمضي الياس في البلاغ المبين الذي تجلى له في تلك الرؤيا ، فيسدي الى العرب نصحاً جزيلا صادقاً لقنه اياه الرسول عليه الصلاة والسلام — كما زعم — .

وينقطع الهاتف فيجفل مرتاعاً من الصمت ، ويأسف لانقطاع الرؤيا وما شمّه من حسنات عدن من نفحات طيبة ، ويختم هذه الكلمة بقوله :

وفي الشعر ريحان وراح وكوثر ... فما في من ريّ وريّا لامتي

اما المطولات الاخر فهذا بعض عناوينها: (المشرقية ، المغربية ، المقدسية ، الشامية ، العراقية ، المصرية ، الاموية ، الاندلسية) وكأنها معارضة لنونية ابي ريدون ، وفيها ينحي على جماعة الغرب باللوم والشجب فيقول :

المريمات مذلاّت فواطمنا ... كما تذل الاناجيلُ الفراقينا
وللقلانسْ هزء من عمائمنا ... وهي التي صغرت في عين قاضينا
فما لنا قوة الا بسيدنا ... محمد ، فهو يرعانا ويحمينا

ثم تلي هذه القصيدة (الدمشقية والصحابية والجندية) وفيها يحيي الراية العربية بقوله:

بروحي واهلي راية عربية ... لها النصر في سود المعارك باسم
حماها النبي المصطفى واستجبها ... وناسجها جبريل والله راسم

ثم يذهب في حسن تعليل الوانها الاربعة مذهباً موفقاً . وبعد رفع هذا العلم لا بد من ان يأتي الجهاد ، ففي القصيدة الجهادية يتغنى ما شاء . ثم تليها قصيدته (الشهادية) وهي من مطولات الديوان وقد ختمها بقوله :

تمنيت مع فتيان قومي شهادتي ... ولكنني أهوى الحياة لأثأرا

ويختم الشاعر رقينه الرابع برباعيات وسباعيات بنى قوافيها على حروف الهجاء .

اما رأي الشاعر في ديوانه هذا فهو : « انها من نوع الايبوبه — الملاحم — عند الافرنج ،فهي ملحمة العرب الكبرى ، وتفوق الملاحم التي نظمهـا اليونان واللاتين والافرنج بعظمة المعاني ومتانة المباني ! »

ولابي الفضل الوليد غير هذه الدواوين الشعرية الاربعة (منغمة غافر ولبانة)التي لم تقع في يدي ، ولكني تعرفت اليها وعرفت مكانتها في الشعر مما كتبه ابو الفضـل الوليد في آخر دواوينه . قال ، كعادته ، في تعريفها :«هي منغمة شعرية نظمهـا ابو الفضل الوليد من اجل مصر . وضعت على اسلوب جديد وطريقة مبتكرة جمعا محاسن الادب الرفيع ، ولا بدع ، فناظمهـا قد تفرد بابداعه واندارة في النظم والنثر وجاء بالعجب العجاب .

قال خبير مطلع على المناغم عند الافرنج ان(منغمة غافر ولبانة) اجمل المناغم التي تلوتها وشهدتها ، فهي تحفة هذا الفن . وكان نظمها على نسق مبتكر فشبهها احـد قارئيها بواجهة جوهري معروضة فيها الجواهر على اختلاف انواعها والوانها . والخبير يظنها تأليف موسيقي لا تأليف شاعر لما حوته من الصناعة الموسيقية . ولما تلاها احد الموسيقيين قال : هذا تنزيل لا تلحين .»

قلت : وعنا لامر الاستاذ سعيد تقي الدين ...

ابو الفضل الناثر

لابي الفضل الوليد اربعة كتب نثراً : (احاديث المجد والوجد) ، وهو حكايات مستوحاة من التاريخ العربي في الشرق والغرب . وهـذا الكتاب ككل كتبه ودواوينه نخته وسداه العروبة والقومية . وفي نهايته ستة فصول سماها رسائل بها ينتهي الى كتابة ما سماه (الفاتحة الوطنية) ، وفيها يقول:« يا مالك السـماوات والارض وقابض الدول والسلاطين ، خلص الشرق من الغربيين ، ونجنا من مكايد الاجنبيين . واجعلنا متدينين غير مغالين ، احراراً مستقلين ، غير مسيطر عليهم ولا متفرنجين ، فنعيش ونموت عربا سوريين » .

ولا يكتفي بهذا بل يكتب (تعليما) جديداً على نسق التعليم المسيحي الذي يتلقنه الناشئون على هذا الدين فيقول :

س ــ اعربي انت ؟

ج ــ نعم انا عربي بنعمة الله وذمة العرب .

س ــ من هو العربي ؟

ج ــ هو المتحدر من السلالة العربية او المولود في الارض العربية .

س ــ ما هي الارض العربية ؟

ج ــ هي كل ارض اهلها عرب ومستعربون .

س ــ هل سورية منها ؟

ج ــ نعم وهي من صميمها ، فانا عربي سوري .

الى ان يسأل :

س ــ ماذا يريد العربي المخلص للعرب ؟

ج ــ يريد لهم دولة عامة ، وراية جامعة ، ولغة واسعة .

واخيراً :

س ــ اتحافظ على هذا المذهب ؟

ج ــ نعم ، به اعيش وعليه اموت .

اما كتاب (القضيتين) فموضوعه يدور حول السياستين الشرقية والغربية ، ومما يسديه فيه لقومه من النصح قوله :«ليعمل للتوفيق اهل العصبية من المسلمين والنصارى فيكونوا خير العاملين . فمن الكبائر ان يخجل العرب النصارى امام العرب المسلمين ، فما اجمل تعاون المسلمين والنصارى على الاجانب والخوارج .

ان كرام العرب والنصارى مخلصون لامتهم ، متعلقون بعروبتهم ، يفضلون حكم بدوي على حكم اجنبي . ويرون المنقصة ان ينوب عنهم كهان ويكون لهم منهم زعماء . الى ان يقول : لا اوطان في الوطن ولا طوائف في الامة .»

وفي كتاب (المآلك) اي الرسائل يكتب في العلم والفن والاجتماع والفلسفة فلا يدع شيئاً من الشؤون والشجون إلا ألمّ به . وكأن المعاملة ، وخصوصاً المالية منها ، قد نغصت عيشه فقال :« ثلاثة لا تفتحها الا عند اللزوم : بابك وكيسك وفمك . واشد الخطر في فتح الكيس الذي يغلق القلب . فتحصيل الدين اشبه شيء بقلع الاضراس

ونتف الشعر . ومجاولة الدائنين للمدينين كمجاولة السباع ومزاولة الافاعي .»

ويختم هذا الكتاب برأي في الادب فيقول : «الادب حتى الرفيع منه كان منه اضرار واضلال وليس الا نوعاً من الملاهي . ولم ينفع الناس في كل اطوارهم الا العلم الثابت الصحيح .»

وفي كتابه (التسريح والتصريح) ولعله آخر ما ألّف يتعرض للغة، فينظر فيها نظرة فاهم، ويتشدد كثيراً حتى يصفي اللغة من كل عجمة، فينصح لمن يريد ان يتخلص منها بتاتاً ان يقول في الجلنجين وَرْسَل ، لانه مصنوع من الورد والعسل ، وفي الفالوذج دَمعسَل لانه معمول من دقيق وماء وعسل !!

وهذه ايضاً تذكرنا بما نحته سعيد تقي الدين من مفردات خالدة ...

ويتعرض ابو الفضل للكتابة فيثني عـــلى الخط العربي ويقرع دعاة العامية تقريعاً عنيفاً ، ويدعو الى التكلم بالفصحى .

ثم يتعرض للركاكة في الكتب الدينية ، كما فعل الشدياق من قبل ، ويدعو العلماء من الكهان الى تهذيب لغتها. ويرى « في قصص التوراة مـا يخجل من تلاوته الخليع ، ناهيك انه يعلم الفاسق مـا يجهل ، فحول وجهك عما فيهـا من دعارة بني اسرائيل بل بني عزرائيل» .

اما الآن ، وقد انتهينـا من هذه الدراسة ، فهل كنت تحلم يا اخي الياس ، ان رفيقك مارون الذي كانت نكنته توجعك سوف يكتب عنك هذا الفصل ؟ لقد كنت بك رفيقاً كما كنت لك صديقاً ، وانا ، قبل وبعد ، مولع باحياء الموؤدين من اعلامنا.

في المضمار

شلبي الملاط

جعبة الصياد

معجم العلايلي

حول القصة

سعيد تقي الدين

امين نخله

محروم (الامير عبدالله الفيصل)

ديوان الملاط

يعذرني اصحاب الدواوين والكتب اذا ما قدمت ديوان استاذي شبلي الملاط ولم اراع النوبة التي يراعيها جميع الناس حتى اصحاب المطاحن ... أما هكذا ادّبنا الشاعر القديم حين فضل الاستاذ على الوالد .

اننا امام حقبة لا بد من تدوين كلمة شاهدٍ رأى معاركها وخاض غبارها ... فشبلي زعيم من المحاربين القدماء عركه النضال عرك الرحى بثفالها . هو سيف غساني لا عيب فيه غير ان به فلولا من قراع الكتائب ... ناطح وساور في مجال الادب والسياسة ، واظنه لم يلق سيفه وترسه بعد . ما زال على شيخوخته في عرنينه شمم . منتصب كبرج لبنان الناظر الى دمشق . لا يحبو الى الثمانين كما عبر القدماء ، بل يقفز ويجمز نحوها غير منحن تحت اثقالها . سبقت ساعته ساعة سواه خمس دقائق فأحرز في زمانه لقب الشاعر العصري ، فكان في ديوان العرب ، فترة من الزمن ، كشبير امرىء القيس : كبير اناس في بجاد مزمّل .

اذا عتق شبلي اليوم ، في نظر الجيل الطالع ، فهذه سنة الوجود . ولنحمد الله على امرين ، على ان لنا جديداً وعتيقاً ، والمثل يقول : احفظ عتيقك فجديدك لا يبقى لك .

لست تأمن غضب شبلي ، فرب كلمة تخرج من فمك ، وانت لا تقيم لها وزنا ، ترجح كفة ميزان غضبه وتقوم القيامة . يقعنسس ويشمخر ، ولكنها عاصفة تمر . وقيدُ شوكٍ وبلان ترتفع السنة لهيبه حتى تلاقي السقف ، ثم تهمد النار وتخمد ، فاذا خفت غضبه فلا تيأس من رضاه القريب جداً .

شبلي تاريخ حقبة لبنانية ، وليس يستطاع تأريخ حقبة في مثل هذا المقام ، ولكن لا بد مما يقال ، او لا بد مما له علاقة بشعر الرجل وادبه . فالمعركة الادبيـــة التي قشبت حوله في فجر هذا القرن اشبـــه بمعركة قروم القرن التاسع عشر : الشدياق واعوانه ، واليازجي وانصاره . واذا كانت هذه المعركة محلية ودون هاتيك ديمومة وحدّة ، فقد انجلت عن غنائم ادبية وكانت لنا مدرسة ثانية .

كنت يومئذ في مدرسة الحكمة . وكان يوم احد ، فدعانا استاذنا الملاط ليمرننا على تمثيل روايته (الذخيرة) ، فغادرنا قاعة الدرس مبتهجين لاننا استرحنا من رؤية وجه الراعي الحامض . وما توسطنا (الليوان) حتى رأينا النمر غضبان ، ورأينـا الاستاذ بشارة عبدالله الخوري يصفر ويخضر ، والشيخ ابراهيم المنذر يشير بيديه وعلى فمه ابتسامة حائرة . وهتف الملاط بنا : امشوا . ومشى ومشينـــا ، وراح المنذر وبشاره الخوري ، وكانت دقيقة لها ما بعدها في تاريخ نهضتنا .

تجمع ثلاثة على شبلي : المنذر ، وبولس زين ، ويوسف مراد ، وكل واحـد من هؤلاء عارف باسرار اللغة وان لم تكن له شاعرية شبلي وترسله ، فراحوا ينتقدونه لغويا ، على طريقة الشيخ ابراهيم اليازجي في لغة الجرائد . ابتدأوا بمسرحيته (الفرد الكبير) فوقعوا فيها على اخطاء كثيرة ، فكان لنا من مطالعة نقدهم فوائد جمة .

قد تقول وما علاقة بولس زين ، وكيف دخل في القضية (شخصاً ثالثاً) ؟

ــ كان بولس زين محامياً . وكان تامر الملاط ، شقيق شبلي ، قاضياً في كسروان ، فكان اذا جاء زين ليرافع ، ومن عادته التطويل الممل ، ضاق به صدر الملاط ، وكان ضيقاً بلا سبب ، واسكته بهذه العبارة : صه يا رجل .

ودارت الايام دورتها ، فعزل مظفر باشا تامر الملاط وعين بولس زين قاضيـــاً لمحاكمته ، فكان اذا حاول تامر ان يتكلم اسكتـه زين بقوله : صهن يا رجل . اي اسكت ابداً .

هذا ما حمل بولس زين على المساهمة في نقد استاذنا . وانفتح لهم صـدر جريدة لبنان لابرهيم الاسود ، عدو بيت الملاط . كان الاسود مقربا من مظفر باشا متصرف لبنان ، واليه يعزى تعيين بولس زين قاضياً . وهكذا اتفقت الاغراض وكانت تلك

المعركة . ولكن النقد ينفع ولا يضر ، ولو كان من العدو ، اما قال الشاعر :

عداتي لهم فضـــل علي ومنة فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا

هم كشفوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

فكما تتعلم كيف يكون الدينار الزيف حين يعيده اليك الصيرفي، كذلك يفيدك نقد الكلام . فلا تلعن ابا الناقد ولا تحرق دينه ، فليس للناقد دين ولا مركع ...

قد يقال نراك استعجلت هذه المرة ، فمن عادتك ان تبقى الكتب عندك شهوراً واحياناً سنة واكثر . قلت : وهناك سبب اخر غير الذي تقدم ذكره ، وهو انني اعرف اكثر شعر الملاط على غزارته وكثرته ، فاللهم زد وبارك . هذا هو الجزء الثاني منه المتضمن الالوف من الابيات ، وهو لو جعـــله دواوين ، لكان له بضعة عشر ديواناً من طراز دواوين هذا الزمان . ان هذا الديوان الضخم الفخم لاشبه بفساطين وسراويل السيدات القديمة التي لو فصلت قصيرة مزمكة ، لكسا الفسطان الواحد منها بضع نساء .. ولكن استاذنا اراد تعبئة اكبر كمية ممكنة في عدل واحد .

لقد اساء استاذنا الى نفسه العتيدة في تاريخ الادب ، فسوف يقال ــ بعد العمر الطويل ــ له ثلاث مسرحيات ورواية مترجمة ، وديوان شعر ضخم .

فلو فصلنا ديوانه ــ فسطان الملكة فكتوريا ــ على الطراز الدارج اليوم لكان لنا منه ، على الاقل ، عشرة دواوين ، كل واحـد منها قائم برأسه وفيه وحـدة . فالقصائد التي عنوانها وقفاتي في بلاد العرب ، ديوان كبير لو صفف على طريقة علب الشوكولاطا ... اي في كل صفحة بيتان ثلاثة . وقصائده القصصية ديوان آخر لا يقل عنه حجما ، ويهوديت مسرحية شعرية تعبيء كتابا ، وغزله ديوان ، واجتماعياته ديوان .

لقد ظلم الاستاذ نفسه ، لانه لم يرتب مخزنه الكبير على طريقة الـ .ا.ب.ث. بل كوم هذا الشعر فكان لنا منه بيدر كثير الغلة ، فاذا سقط منه تحت الغربال مقدار تبقى مقادير تملأ بهواً لا ديواناً .

فيا معلمي العزيز. اذا عجزنا عن اقامة يوبيلك الذهبي فديوانك هذا يقيم لك الان ، وفي كل اوان ، يوبيلا الماسيا. ان فيه منه ما يقاس بالدرهم لا بالقيراط .

ولا يتوهمن احد ان ما قلته يعفيك من النقد ، فالناس لا ينقدون الا الذهب ،

اما النحاس فمن يقيم له وزنا . انت تراثنا الغالي والموعد الغد . ومعاذ الله ان يلقيك العقوق من البنين .. فعلى كبر سني ، وشيبي بحمد الله غير وقار ، كما قال ابو نواس ، ما زلت اسعد واعتز يوم اراك وابوس يدك الطاهرة كلما التقينا .

ولكن كل هذا الحب والاجلال لا يغل قلمي ولا يشلّ فكري امام مهابتك .

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

جاء في رسائل رسول الامم : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلة . وفي عنق هذا الديوان الاغر تميمتان نفث في عقدهما شاعران قارحان : شكيب ارسلان وخليل مطران . فديوان الملاط ، اذن ، اصيل مطهم ، حجته برقبته ، كما يقول الفرسان .

ولكن هل تحول هذه التعويذة دون قول كلمتنا فيه ؟ لا . وما دمنا لم نقف بعد على حقيقة الجمال ولم نعلم اذا كان موجوداً في نفس الناظر ام في نفس المنظور ، فالمجال امامنا واسع . ولذلك قال الاولون : لولا اختلاف النظر ما نفقت السلعات .

ما هذه اول مرة اتجاسر فيها وادخل قبة العهد وقدس الاقداس ، ففي (على المحك ، ومجددون ومجترون ، ودمقس وارجوان) كلام عن شاعر الارز . واني لاخشى ان اكرر ما قلت حين اتحدث عن هذا الجزء من ديوان شاعرنا الكبير شبلي بك ملاط . فالملاط مثّل لبنان في الاقطار الشقيقة امثل تمثيل ، فكان كما قال الفرزدق في المرحومين جدوده : برزوا كأنهم الجبال المثّل . ان شبلي نموذج لبناني قح ، ففي عتوه وشموخه مثال صادق للجبل الاشم ، وكأنه قد أحسّ ذلك في اعماق نفسه فقال :

انا فلذة صخرية متطوعة من ذلك الجبل الاشم الراقي
انا جذع لبنان القديم فما ذوى ورقي ولا لوت الشدائد ساقي

اشهد انك تقول معي — ان رأيته والنفس خضرا — انه في الثمانين ربيعاً ...

وفي مكان آخر ، بعد ما حمد فخامة الرئيس واثنى عليه ، راح يطرح الصوت ويعرض رحمه هاتفاً :

قل للالى شادوا المطار بخلدة انا قبلهم بالارز كان مطاري
لا قمة ، لا ايكة الا على شجراتها غنّى وطار هزاري

ولئن شملت ولاية شوقي الشرق كله حين قال : كان شعري الغناء في فرح الشرق

الخ ، فشبلي اراد ان يحصر امارته في هذا الجبل مع مراعـــاة العلاقات الطيبة وحسن الجوار...لم يشأ ان تتسع رقعة ملكه فما خسر ولا ضعف قريضه ، لانه ما تكلف ولا طمع ، والطمع قلما نفع ...

والآن فلنقل كلمة عـــامة في شعر استاذنا الجليل : في شاعرنا كثير من ملامح البحتري ، فهو مثله لا يفصل الكلام على قدّ المعنى ، بل يدع معـــانيه تخرج من نظامه . بحتري في ألفاظه السهلة المنتقاة ، بحتري في تقطيع ابيـــاته اجزاء متساوية ، فكأن كل قافية من قوافيه (قرار) العوّاد ، حين ينطح براسه اللاشيء وتجهز ريشته على النغم ، فتصعد روحه وتتعالى الآهات .

في شعر شبلي سرعة النهر المنحدر . اما على المنبر ، فهو مكر مفر ، ينصب وينقض كجلمود صخر حطه السيل من عل . لا يترك لك شبلي مجالاً متى انشد ، فأنت مسيّر لا مخيّر . تجرفك (حـــامولة) النهر فقد تصفق للاشيء ، ومع ذلك تصفق بشدة تشبه الهوس .

واذا عدت الى ذلك الشعر الذي ارقصك واسكرك انشاد قـائله ، شككت في بعضه ، وعجبت لضعيف شعر شبلي الذي يغلب قوي غيره في الميدان . ان هذا هو الذي يدلك على ان الشعر موسيقى ، ويجلو لك سر قول العرب : انشد فلان قصيدة .

وشعر شبلي قليل الظلال كثير الانوار ، ترتاح العين حين تقع عـــلى صوره ، ولكنها قلما تكتشف فيه شيئاً فيما بعد ، وهذا ما يجعل صوره ، على قلتهـــا ، باهتة . فاذا اردت مثلاً للشعر المطبوع في هذا الزمان ، فاقرأ شعر شبلي. ليس شبلي من الشعراء المحككين المتصنعين ، فبنات افكاره لا يعرفن البودرة والحمرة والمانيكير . هن اشبه بظباء فلاة المتنبي . امـــا خاصته المثلى فهي تلك السهولة النادرة الوجود ، ولكني لا احمدهما كثيراً متى جمعت كل موزون .

ان هذه السهولة محمودة جداً في شعره القصصي ، فهو لو فكر في نظم ملحمة لما سبقه شاعر من الناطقين بالضاد . انه ومعروف الرصافي خير من قص. فشبلي هين لين ، ضرب برأسه ، ورفس برجليه عمود الشعر ، منذ خمسين عاماً . امـــا الرصافي فشديد الاسر وما تنكب عن طريق السلف المعبدة .

ان عبدالله البستاني معلم شكيب ارسلان والملاط ووديع عقل وامين تقي الدين وغيرهم من شعراء الطراز الاول ـ المخضرمين ـ كان اول من نقد الحبة امام تلاميذه ، وعلمهم ذلك كما تعلم الدجاجة فراخها . نظم المعلم عبدالله حكاية شعرية عنوانها (الفرصاد) ومطلعها :

وذات صيانة عقدت يمينا على حب امرىء عقدا متينا

فاقتدى به تلميذه شبلي ونظم اقاصيصه الشعرية التي اولها :

طفلة فوق سرير من خشب في زوايا بيت صياد قديم

وهنا اريد ان اسأل معلمي : كيف راح ذاك الشطر الذي حفظته منذ نصف قرن : هتفوا طوبى لثدي ارضعك ؟! اخفت يا استاذي من الخليل وسيبويه ؟ ام نهاك (معلم ذمتك) فحذفته ، وهو تلك الماسة الرائعة !

لقد جليت في اغراض الشعر الكثيرة ولكنك كنت الشاعر الاوحد في القصص. فقريحتك السيالة ، وهي اقوى من خيالك ، هي التي سيرتك في هذه الطريق .

واذا قرأنا مقدمة هذا الديوان الضخم رأينا الشاعر العظيم يتأسف في (الصفحة ٢٤) على ضياع ترجمته لقصيدة بحيرة لامرتين ، حتى اذا بلغ (الصفحة ٤٩٧) نشرها برمتها ونسي ما قال . فعلى كل الحمد لله على السلامة ضاعت ولقيناها ... انها قصيدة موفقة يؤسف عليها ، وكم كنت اتمنى ان يضيع غيرها من ديوان استاذي . ما اعني الا بعض شعر المناسبات الذي هو اشبه بالحكي منه بالشعر. رحم الله ابا تمام الذي قال: «موقف الشاعر من شعره موقف الاب من بنيه فهو لا يتمنى هلاك احد منهم .»

وبعد فقلما خلا ديوان شاعر من الشعر المتخلف عن رفاقه ، اما قال فيكتور هيغو ـ الترجمة لحافظ ابرهيم ـ :

انا كالمنجم تبر وحصى فاطرحوا تربي وصونوا ذهبي

فلنصن ذهب الاستاذ ، واما التراب فالى التراب يعود .

ان لشاعرنا اسوة بالشعراء الكبار . أما قالوا قبلنا : ان رذل المتنبي ليس تحته تحت . ومع ذلك سمعناه يقول :

وما الدهر الا من رواة قصائدي اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا

ومثله قال الملاط :

من كل قافية ترن كأنها اوتار عود في بنان الموصلي
يغضي جرير والفرزدق دونها ويذوب من حسدٍ فؤاد الاخطل

طبعاً يريد استاذنا اخطل الامس لا غيره ...

وقد عجبت لاستاذي ، وقد كان مديراً في اهدن ، كيف يقول دير مار قزحيا ، وقزحيا اسم المكان لا القديس . ان هذا القديس اختصاصي باخراج الشياطين وطردها واظنه طرد شيطان شبلي فقال فيه تلك الابيات الباردة . اظن ان موقف الشاعر من الدير ورئيسه قد كان كموقف بشار من ربابة ربّة البيت ... احتفى قدس رئيس دير قزحيا بالقائمقام شبلي فقال فيه ما قال ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر .

وقف شاعر الارز امام اروع منظر لبناني . النهر تحت قدميه ، والجبال تحدق به وتحدق اليه باعين كهوفها ، والقمم منتصبة كالجبابرة لتحمي ذلك المعقل الحصين ، ومع ذلك لم يقل شاعرنا شيئاً . ما شغل باله الا معجزات (مار قزحيا) ، وترميم — المحترم — السِرْ عليّ للدير ...

وهنا جاءتني كلمة اكره رجعتها خائبة الا وهي ان معلمي شاعر بشر اكثر منه شاعر طبيعة ، فما الهمته هذه الا كلاماً عادياً . واني اعزو ذلك الى نشأته الاولى . قد درج وشب في زمن كان الشعر فيه يقال في الناس فقط . وما شعره القصصي الذي فاق فيه معاصريه الا من ذاك ، وان لم يكن هو هو ... ولكنه يجيد حين يعرض لوصف مشهد اقتضته القصة ان يصفه ، مثل وصف البحر مثلا ، في الجمال والكبرياء . والعجيب فيه هو انه اذا شرع يقص يخلص شعره من تلك الزنمات التي تتعلق به في اغراضه الاخرى فتشوه محاسنه .

وبكلمة مختصرة واخيرة اراني مضطراً الى ان اقول ، وآمل ان لا اغضب الملاط كما اغضبت الفياض من قبل : ان شعره اشبه بحقل من الزهور المختلفة . الوردة حد القويسة ، والاقحوان حد بخور مريم ، وشقائق النعمان بين الاعشاب المختلفة ، واللزان بجوار القندول ، ولكليهما زهر وعطر وجمال .

انك لتظفر من كل قصيدة من قصائده الطوال — وهي كثيرة — بما يظفر به

المؤمن من الحقل يوم الجمعة العظيمة ، فيعود حاملا الى يسوع عريس الاحلام وألالام باضمامة زهر طريفة ، واكليل شوك اذا شاء ...

بارك الله في عمر معلمي ، وحسبي رضاه .



جعبة الصياد

في جعبة سعيد فريحه سهام ولكنها اخف من ريش النعام ، وصاحبها صيّاد أي صياد . ولست ارى من صورّه على جلدة كتابه في تلك الانحناءة العميقة الا ظالماً له. فهو لا يحتاج الى مثلها الا في صيد الفيلة والتماسيح ... اما ضرباته الاخرى فيرسلها على الهينة ومن تحت ابطه ...

لقد سئمنا المقلدين ومومياءاتهم، بل تلك الاحذية الجاهزة ... كانوا يقولون فيما مضى : فلان شاعر مطبوع ، وهم يريدون انه يقول الشعر عفو طبعه . ان هذه الكلمة تصح في سعيد الذي يعترف ان الاستاذ كنيدر ، صاحب جريدة التقدم الحلبية ، هو من علمه كتابة التاء وغيرها . فغير قليل ان تؤدي تلك البداية الى هذه النهاية ،ويصير سعيد فريحه كاتباً نسيج وحده ، اي صاحب اسلوب هين لين ، يفهمه العامي ويرضى عنه الفصيح المتنطع . قد يكون سعيد كشمشون الذي لم يمر على رأسه موسى ، أي لم يعل رأسه سقف مدرسة ولا غصن سنديانة ... ومع ذلك فاق الكثيرين ممن تلمذوا للأيمة ، وقتلوا الكتب الصفراء درساً حتى اصفرت وجوههم ، فوجوه قرائهم ...

اقول هذا بعد مطالعتي لكتابه (جعبة الصياد) التي اخرجتها دار المعارف المصرية مطرزة مدبجة كتلك الجعاب التي كانت تنسجها عذارى لبنان لمن تيّمهن من الشباب السمر وفتنهن كما فتن قلم سعيد قراءه . ان قلم سعيـــد لا يؤلم ولو نفذ الى الصميم ، وضربته الخاطفة لا توجع لانه لا يثني . وكل من يذوقون طعمها لا يستقلون تلك اليد الي تسددها .

أطلت جعبة الصياد على ديوان الادب وعليها تعويذتان ، وفي تعبيرنا اللبناني

خرزتا عين ...

المقدمة للشيخ خليل تقي الدين ، والختام للدكتور سهيل ادريس. اما الذي عندي فهو ان سعيد فريحه (حاف) غني عن التعريف لان قراءه لا يعدون ولا يحصون . ما اظن ان هذا الجواد الأصيل كان يحتاج الى هذه الناصية وذلك الذيل لولا دخوله، جديداً ، الى كاتدرائية الادب الارستقراطي ، بينما هو ما اعتاد الجلوس الا في قرنة كنيسة قروية ...

لا ارانا محتاجين الى مذاكرة سيبويه والفراء والخليل وابن منظور حين نقرظ او ننقد جعبة سعيد فريحه ، فما فيها غير الفاظ لبنانية فصيحة عامية، ولو لم يقل الدكتور ادريس في هدّاب الجعبة ما يلي : « لست ارى في جعبة الصياد سيئات لسببين : اولهما ان صاحبه وكل الي ان ازيل منه السيئات قبل دفعه للطبع ، فلا يعقل ان ابقي على شيء منها . » لما خطر لي ان اقول فيها شيئاً .

اجل ان الاختيار جيد ، والغربال غير واسع العينات ، وكل ما يقصه الاستاذ فريحه خالعاً عليه طيلسان ظرفه وبرنس أُنسه جميل ، وطيب ، وحلو يؤكل بالعيون . ولكن الى الصديق الاديب المرتجي الدكتور ادريس اقول : كنت تقيّد ألفاظاً فصيحة عامية بين خطين ، وكنت تترك ألفاظاً عامية تسرح وتمرح .. فحرت في الامر ولم افهم السر . وهناك شيء آخر كثيراً ما وجدته مثل : قلت : لِمْ لا . ثم بعد اسطر في آخر الصفحة ، تأتي هذه العبارة : بتسلم عليك خالتي . وبتترجاك . فاذا كانت هذه من كلام الولد ، فليست (لِمْ) من كلام سعيد .

وقال سعيد في مقدمته :« اما اذا وجدت فيه ما يستحق الهجاء فأرجو ان تخص به الدكتور ادريس ، وحده ، لانه هو صاحب الغربال» وانا بناء على هذا التوجيه اسأل الدكتور عن كلمة واحدة فقط ، وهي (أهل) في هذه العبارة : لا ادري أهل كانت لي وحدي ، ام كانت موزعة الخ . ترى الا يرى معي الدكتور سهيل ان كلمة أهل لا هي من كلام سعيد ولا من كلام الجدود رحمهم الله ... لان اداة الاستفهام لا تدخل على اداة استفهام ، ومن يأكل خبزاً بكعك !..

وبعد فما لنا ولهذه التوافه، فليس سعيد نحويا يلوك لسانه ولا من علماء البلاغة

واللغة . فما ايسر وجود هؤلاء، فاينما اجلت يدك تقبض على نواصي من يعرفون هذا على حقه . ولكن ليس من السهل ان تجد سعيد فريحه آخر يسد ما سد من فراغ .

عبثاً نتعب في تكوين رأي جديد في هذا الجنّي ، فالرأي مكوّن ، فلا النقد يجدي ولا التقريظ يزيده ، فكل صورة من تلك التي يوحي بها ذهنه وتخرجها مجلته تغني عن ابلغ الاقوال واثقبها ..

فكلنا معجبون بظرفه في فنّي الكتابة وايحاء الصور والتزاويق البليغة . فالرجل كذا خلق ولا حيلة لنا فيما خلق الله . حقاً ان الله كريم .

قرأت الجعبة كلها ، ولم اخرم منها حرفاً ، بل كبتها كما كبّ عبدالملك بن مروان كنانته ووجد الحجاج اصلبها عوداً واشدها مكسراً . وقد اعجبتني جداً غمزاته ولمزاته في سياحة انكلترا . ذكرني بكشف المخبا ، فاخونا سعيد وشيخنا الشدياق تشغل رأسها المرأة دائماً . وكما تذكر الشدياق الطبيخ في لندن ، كذلك فعل اخونا سعيد ، ومن يقول ، بعد هذا ، ان ليس في الدنيا توارد خواطر ! فكلاهما مشغولان بالبطن وما يليه .

التهكم والالتفاتات العابرة ، والاستطرادات والقرصات الموجعة ، هي زينة كتابة صاحب الصياد ، فهنيئاً له ولقرائه بها . رأيت سعيداً او سهيلا يسمي مقال (اخر العنقود) قصة . انها قصة ، ولكن اروع قصة فنية في الجعبة هي (ليلة الميلاد) فمتى حذفنا من ختامها بضعة اسطر صارت في طليعة اقاصيصنا الحديثة . فسعيد قصصي طبعاً، ويتفوق في الحوار . اما سلاح هذا القنفذ الفني فهو تلك التعابير الخاصة التي يلقنه اياها شيطانه المريد .

كل شيء في الجعبة لذّ لي ، الا فصل التمار ، والمرء عدوّ ما جهل . اني لا افهم الالفاظ التكنيكية ، ولا اعرف المحيط لأتصوره ، بل ما رأيت اللعب قط ، والحمد لله . كنت اسر حين افهم ، اما حين اصطدم باللون المحلي ، فكان يقصر حماري في العقبة . قد كنت احدث نفسي بالصعود الى السماء كايلياء، ولكني بعدما قرأت وصف سعيد لاهوال الطيران ورعباته طلقت الفكرة ثلاثا ، وترحمت على بديع الزمان الذي قال بلسان بشر عوانة يخاطب حصانه :

أنل قـــدمي ظهر الارض اني رأيت الارض اثبت منك ظهرا

ما حسدت سعيداً على شيء مما ظفر به من صيد غزالات وحمام ويمام ... ولكني حسدته على رفقته لتلميذي الطاهر الاستاذ اميل البستاني الذي شهدت فجر نهاره ، ولم امتع قط بضحاه وظهره الرائعين . كنت أسمي اميل الزئبق لانه لم يكن يستقر قط . واميل من نوابغ تلاميذي ويزيد عليهم انه كان حركة دائمة ، وهذه الحركة كانت تبشرني بالنجاح الفلاح ، كما كانت تتعبني احياناً . كان وفقه الله ، عرق (الجمعيات) النابض كما هو اليوم وريد المعارضة ... وسبحان من يغير ولا يتغير .

وبعد فلنعد الى سعيد ، ان سعيد فريحه سيبقى بين كتاب الظرف والنكتة الخاصة بصاحبها دون غيره ، وهذا يكفيه . ولو وزعنا ظرفه على عشرات من ثقلاء الاقلام لانعشتها روحه . وما ضره ان يكون حظه من الفصحى كحظه من (محاسن) بطلة (اخر العنقود)...

*

معجم العلايلي

اعرني طرف زرقاء اليمامه لأبصر ما ورا تلك العمامه

حتاً ان وراء عمامة الشيخ عبدالله العلايلي لعلماً جماً وتفكيراً فذاً يوغل صاحبه في الغابات البكر ، ليكتشف الكنوز المرصودة في المجاهل . لقد حطم الشيخ عبدالله العلايلي ذرة الكلمة وأرانا القوى الكامنة في الحروف ، وأيّ شيء في الكون اقوى من الكلمة التي قالت العوام فيها : من وطّا كلمة وطا جبلا .

وقد قال احد الانجيليين ايضاً : في البدء كان الكلمة ... اذ لم يجدوا له نعتاً اقوى من هذا النعت .

فبعد ان كانت كلماتنا مبعثرة لا تدل على شيء ، وتدل على كل شيء ، جاء هذا العلامة وخص كل لفظة بما تدل عليه . وهكذا صار عندنا معجم ، كمعاجم امم الارض ، منظما منسقاً . كان معجمنا كدكاكين السمانة والعطارين . الاكياس مكدسة : السكر حد الكبريت ، والرز الى جانب الشعير وو ... اما اليوم فقد اصبح لكل مادة عندنا مكان . كنا نقرأ مثلا في المعاجم : شقي ضد سعد ، حتى اذا ما رحنا نفتش عن معنى سعد رأيناه هكذا : سعد ضد شقي . وفسر الماء بعد الجهد بالماء ...

اجل . فجّر العلايلي الذرة اللغوية ولم يكلفنا معمله قرشاً واحداً ... حمل على عاتقه أثقل الاعباء حين هدم صروح المعاجم ليشيدها من جديد بحجارة فيها النحت والقلب والابدال ، فجاءت خدمته من اجلّ الخدمات واسناها لان اللغة هي العروة الوثقى .

عشرين عاماً قضاها هذا العلامة الاكبر معتكفاً في بيته . سميره كتابه ، ونديمه قلمه . يفكر ويدوّن ويستنبط واجرته اجره . لم يطلب معونة احد غير ربه وعقله — عفواً

نسينا سعيد عقل المنوه به في مقدمة المعجم ـ حتى اذا ما فرغ من التفتيش عاد الى الوضع ، والعلماء يترقبون انبثاق هذا المعين ، فاطلت علينا هذه الدفقة من ذلك الينبوع الغزير فمحت وصمة دمغنا بها ابن منظور حين كتب معجمه لسان العرب وقال لنا : خذوا لغتكم من اعجمي .

والان يحق لعلامتنا الشيخ عبدالله العلايلي ان يخاطب امته قائلاً : خذي لغتك وارقي لغات المسكونة في كتاب واحد .

وليس على الله بمستكبر ان يجمع العالم في واحد

منذ قرن بالضبط ظهر (سر الليال) لاحمد فارس الشدياق فاحدث انقلابا كبيراً في مفهوم لغة الضاد ، فهلل الناطقون بها لعلمه الجبار . وكأن الله ، جلت حكمته وقدرته ، لا ينسانا فيجود علينا في كل قرن برجل وها هو ذاك الرجل .

فحين يتحدث الدارسون غداً عن الاكتشافات اللغوية في القرن العشرين سوف لا يذكرون المجامع وجهودها و (اجتهاداتها) التي نجلها ونقدرها ، بل يذكرون عبدالله العلايلي الذي عمل منفرداً ما لم يعمله العلماء مجتمعين .

وان عدت رجال العلم يوماً فهذا واحد بمقام الف

قلت يا امام اللغة المعاصر ، انك اشبهت الشدياق ، وكيف لا تشبهه وانت من طرازه جسما وعقلا وبادرة ! فأنت تريد ان تطلق لفظة الأراضة على علم الجيولوجيا ، وتقول ان الابزيم عربية من بزم ، والشدياق قال : ان الكنيسة عربية مأخوذة من الكناس حيث تختبيء الغزالة . وكذلك كان النصارى ، في اول عهدهم يختبئون في الكهوف من وجه مضطهديهم .

انه ليسر لغة العرب ان يخلق لهـا في كل عصر احمد فارس جديد . وكما اوضح العلايلي الوحدة المعنوية في كل جذر ، كذلك حاول الشدياق ان يخص كل حرف من حروف الالفباء بمعنى عام لا يحيد عنه الا نادراً . والثنائية التي كثر الكلام عليها اليوم ، واتجهت الابصار نحوها قد نشأت في ظل ذاك الدماغ الجبار .

والان يقوم عندنا رجل يعمل موسوعة يحتاج اليها كل ناطق بالضاد من اصيل ومستعرب . ففي هذه الموسوعة موسوعة العلايلي : اللغة وفقهها ، والعلم وتحديداتـه

ومسمياته ، والفلسفة والتاريخ . واذا قال العلايلي انه يفضل شرح غوامض تاريخ الامة بكلامها فهو على حق ، فالكلمة لم تخلق الا لموجود يعرف بها ، كما يخلق الاسم للطفل الجديد .

الكلمة كائن حي خالد ، لانها تبقى حية بعد الحي لتدل على انه وجـــد . وما وجدت الا لتصور كائناً حقيقياً او ترّهيا ، كما عبر الشيخ عن الميثولوجيا .

كنا نشكو من معاجمنا خلطها الحقيقة بالمجاز فجاءمن نظم ورتب ، وكلف الكلمة جهدها ، وبعدما كانت اللفظة (مشاعاً) حددت ملكيتها ، فجاء معجمه موسوعة حقاً لا ينقصها الا الاعلام ، ولعله يخصها بجزء فيكون كتابه معجم القرن العشرين .

فحسبك منه انه ذكر الابركسيس او الابركساس ، وسيذكر ، ان شاء الله ،في الاجزاء الاتية : النافور ، والشحيمة ، والجليان ، والسنكسار ، والريش قربان ، والزياح والجناز ، وغيرها وغيرها ، فيسهل فهمي انا،خاصة على القارىء العربي، في كل قطر . ويعرف كل جار منا ما عند جاره .

قلت ان هذه الموسوعة رحيبة الجوانب ضمت القديم والحديث وشبهتها بالمخزن ولعلي ظلمتها في ذلك التشبيه الضيق ، فهي اصح تشبيهاً بالفبارك العظمى مثل معمل سانت اتيان مثلاً الذي تجد فيه كل حوائجك ...

ليس المجال الان مجال مناقشة ولكنه لا بد من الاشارة الى شيء وهو ان الشيخ، متع الله العربية بطول بقاه ، قد تمادى في الخلق حتى شاء ان يضع الفاظاً عربية موضع الفاظ صقلتها الالسنة واستعملتها الاقلام . فمن يستعمل ، مثلاً ، كلمة الأجيلة بدلامن الكمبالة او السند؟ والابادية للسريالية ، والمصفق للبورصة ، والترّهية للاســـاطير ـــ الميثولوجيا ـــ ، والنهجية للكلاسيكية ، والاجد للباتون ، والابير للجراح الماهر جداً . ثم ما حاجتنا الى اشتقاق فعل من ابريل ـــ نيسان ـــ لنقول ابرل ابرلة وابرولة أي كذبة نيسانية ! اظنك اهتممت بها يا شيخنا الكبير لان كل الايام عند اكثرنا اول نيسان ..

و (الابريغونية) التي نشكر لك تعريفنا بها وبغيرها من الشؤون والشجون الممتعة ، ما حاجتنا الى اشتقاق فعل من لفظتها لنقول : ابرغ أي اخذ بتقـــاليد

ابربغون . ان رهبانياتنا ، وابناؤها من قومنا عرب اقحاح، يعتبون علينا اذا لم نشتق لهم فعلاً ...

واقول بلا محاباة : اني اؤثر ان نعرّب كما عرب العباسيون ، أي ان نفعل كما يفعل المهندس حين يخطط طريق ضيعة ، فهو اول ما يتعرف الى طريق القدم والحافر ، ثم يماشيها ويحورها طبقاً لفنه .

اني أوثر التعريب والنحت ، وان قال علامتنا الشيخ عبدالله ان اللغة العربية لا تبيح النحت (جنوحاً وراء ما في طبيعتها من رغبة في التجسيد الكامل.)

أليس عند الفرنسيين كلمات بمعنى مسكين ودرويش وبرنس! فلماذا فرنسوها هكذا؟ فلنفعل مثلهم .

كنت اتوقع من الشيخ الذي أجلّ علمه اكبر اجلال ان ينحو نحوهم في المسميات، وهو قد فعل ، ولكنه في اماكن قد ابعد اللفظة عن مدلولها المعاصر وفتش لها عن اسم في مخلفات جيش المحاربين القدماء ..

فانا اوافقه على (تأصيل) أبرلَ وابرغ لو كنا في حاجة اليها . اني احب جداً ان يقال : تلفن يتلفن تلفنة ، بدلا من هتف الملتبسة .

ولكن كيفما دارت بهذه الموسوعة الحال ، وكيفما كان حظ بعض الفاظها من الاستعمال، فقد دلت على فهم لسر اللغة منقطع النظير . وستكون موسوعة الشيخ العلايلي كتاب القرن العشرين في احياء اللغة العربية ومعرفة اسرارها . انه عمل تعجز عنه الجبابرة والعمالقة ، ولكن الامثال تصدق دائماً : الرجال لا تقاس بالذراع .

فهنيئاً لنا وللعلايلي كتابه الذي هو نسيج حده. وعسى ان يتحرك احد من رجال هذا العصر ، حكومةً وشعباً ، كما تحرك ذاك الامير الهندي ــ لست في مكتبتي لاذكر اسمه ــ وطبع كتاب سر الليال .

حديث حول القصة

اي لون من الوان القصة كان اوفى نصيباً من النجاح في البلاد العربية[1] ؟

ــ اذا كنت تعني بالنجـــاح الرواج، فروايات زيدان كانت تقرأ منذ عشرات السنين وما زالت تقرأ . اما اذا كنت تقصد الفن فعندنا قصص أنجح منها . وهنـا لا بد من القول : ان القصة انواع . وان القصص المتمسكة باذيال الفن لا تروج كثيراً عندنا ، لان جمهورنا لا يدرك ذلك المجهود كل الادراك. تهمه الحكاية والعقدة الغريبة.

ــ في اي البلاد العربية كانت القصة اكثر رواجاً ؟

ــ وهل هنالك سوق غير مصر . هناك البندر يا اخي محمداً . اكتب على كتابك طبع في مصر تكفل له قراء . واذا كنت تقصد بأين راجت، اين نشأت، او اين اقبل على تأليفهـــا ، فجوابه ان القصص الاولى من عمل سليم البستاني وزيدان وصروف وانطون وغيرهم وغيرهم ، اما الاقصوصة فمن عمل جبران ثم احمد تيمور . هؤلاء هم رواد القصة والاقصوصة . ثم جاء غيرهم يحذو حذوهم فصار عندنا قصصيون. انا متفائل لا متشائم ، نعم عندنا قصص واقاصيص وجل من لا عيب فيه وعلا .

ــ هل استكملت القصة العربية كامل شروط القصة الحديثة ؟

ــ هنالك قصصيون كفّوا ووفّوا . وقبل وبعد فأنا لا أؤمن بالهندازة ليصير القص عليهـا ، دون ان نحيد عنها قيد شعرة . فعلى الفنان ان يخلق هندازته ، بشرط ان لا يتعدى المباديء العامة المتفق عليها . وهذه المباديء لم تكن لتوضع ، لولا انها

---

(١) كان المستنطق في هذه الجلسة الاستاذ محمد قرا علي .

نسخة عن الطبيعة . فالشرع، كما تقول المعتزلة، لم يجعل الشيء حسناً بأمره به. فالقصة اذن يجب ان تكون طبيعية ، وعندنا قصص كثيرة مستوفاة هذه الشروط . لا اسمي لئلا انسى احداً منهم ، والادباء كما تعلم واعلم يغضبون ، فمالنا وسخطهم . اما اعتقاد بعضنا اننا متأخرون جداً ، فهذا تطرف . نعم لم نبلغ القمة بعد ، ولكننا على الاقل حرنا عـــلى اكتاف الجبل ، وهذا كاف ، فالقصة عندنا صغيرة السن ، ومع ذلك صارت تشتهى ...

ـــ هل ترى ان يكون للقصة هدف اجتماعي ؟

ـــ واي عمـــل فني بلا هدف يا استاذي . ان القصة الرائعة لا تكون بلا هدف اجتماعي ، فهي صورة عن المجتمع . اما الذي لا يصح فهو ان يكون القصصي واعظاً. يجب ان يختفي القصصي وراء شخوصه ويسيرهم دون ان يُرى . لا تنس دون ان يرى ، فموقف القصاص من ابطاله كموقف الملقن من الممثل . عليه ان يلقن،وعليه ان لا يسمع صوته الناس. وكذلك على القصصي ان يوجه بطله الى الهدف دون ان يدرك قصده ، لئلا يعرقل سير القصة . فعيب مسرحيات شوقي ، وروايات فرح انطون ، هو ان المؤلفين لا يختفيان وراء ابطالهم . كثيراً ما يقف فرح انطون ليطرح الصوت ويوبخ الانسانية ، وهذا عيب قصص فرح الاكبر بالنظر للفن . وعيب مسرحيات شوقي هو انه فكر بالشعر اكثر من تفكيره بالمسرح . كان ينظم ويفكر بعبد الوهاب لا بالمسرح والنظارة .

ـــ ما هي الاسباب التي يمكن ان نرجع اليها اهمال الادب العربي القديم للقصة ؟

ـــ الادب العربي اهمل القصة ، ومن قال ذلك ؟ الادب العربي ابو القصة في العالم. فهذا كتاب الادب المقارن للدكتور بول فـــان تياجم لا يذكر ادب العرب الا بسبب الف ليلة وليلة . ففي الف ليلة وليلة دخل الادب العربي في الاداب العـــالمية واحتل الصدر .

وهذا المتمشرق الانكليزي، جب عضو المجمع الملكي العربي المصري، هذا الاستاذ المختص بدراسة القصة يقول: ان الغرب لم يعرف القصة قبل اطلاعه على الف ليلة وليلة. وهذا الاديب العظيم اندره جيد يرى الف ليلة وليلة بمقام التوراة .

الأن الف ليلة وليلة ليست على نسق القصة اليوم ، نقول ان العرب اهملوا القصة؟ هل لي ان اطلب من جد جدي ان يلبس مثلي ! وهل اذا لم يلبس مثلي اعده عارياً او اهمل اللبس . جدّي لم يكن من العراة ، ولكنه ماشى زمانه ولكل زمان زي .

ـــ هل عرف العرب المسرحية وما هو أثر احمد شوقي في هذا الميدان ؟

ـــ المسرحية ، لا . لم يؤلفوا في المسرح ، ولو كان لهم مسرح لكان الجاحظ موليرنا في بخلائه . اما شوقي فجزاه الله خيراً ، قد وفى قسطه للمسرح ونام . وعلى الذرية ان تسير بالعمل الى التمام . شاء ان يكون شاعراً جامعاً فكان .

ـــ من هو القصاص الاول في ادبنا الحديث ؟ وهل يستحق ان يجلس في صف القصاص العالميين ؟

ـــ هو ، هو . زدتها يا شيخ . انا رجل ميسور امري أعسر ، كما قالت نعم لصاحبها عمر . ولكن بما ان اسهم الدكتور طه حسين في صعود وهو مرشح لجائزة نوبل كما يقولون ، وهذا فخر لنا نحن العرب ، فلا بأس ان يجلس مع القصصين العالميين... يجب ان نثق بأنفسنا يا استاذ .

ـــ اي قصة عربية تختار لتكون من القصص العالمية ؟

ـــ اية قصة عربية اختار لتكون من القصص العالمية ... لا جواب على هذا السؤال . بلى كان بوسعي ان اختار واحدة من قصص طه حسين لولا خروجه على قوانين القصة واعلانه العصيان المدني في (المعذبون في الارض). وكما حرم هو المتنبي من الشعر الملحمي لانه فكر بذاته ، فأنا احتج على قصص طه للسبب عينه ...

ـــ هل يعتبر طه حسين قصاصاً ، وما منزلة كتابه الايام في عالم القصة ؟

ـــ معلوم ! ألم تسمع ما قلنا ، معلوم ، معلوم . طه حسين قصاص ، وعنصر القص سائد في جميع ما كتب ويكتب معالي الوزير طه حسين ، فهو يقص دائماً حين يكتب. واذا لم يكن موضوعه يحتمل القص جرد طه منه او مني ومنك شخصاً يقص عليه .. لطه حسين دعاء الكروان وشجرة البؤس ، قصتان جيدتان . اما كتابه (الايام) فسيرة حياة او مذكرات ، ولكن عنصر القص سائد فيه وان لم يكن قصة .

ـــ انت اين تضع نفسك في عالم القصة ، واي قصة تفضل من قصصك ؟

ـ آه يا لالّلي ... هذا سؤال ، اين اضع نفسي ؟ من يكون الدفتر بيده ويجعل نفسه من الاشقياء . اسأل الناس اين يضعوني ... الناس تقرر لا انا . المسيح سأل حواريّه بطرس : من يقول الناس اني انا .

ان مقدرات صاحب القلم في احناك الناس يا استاذ . هم الذين يقررون ، اليوم وغداً وفي الدهر العتيد . وسألتني اية قصة افضل ، وهـــذه العصا من تلك العصية . اسأل نفسك ، فكل فتاة بابيها معجبة .

ـ هل تتوقع مستقبلا زاهراً للقصة العربية ؟

ـ وكيف !! القصة عندنا راكضة نحو الكمال الفني . بارك الله في الشباب ، وفي المطالعة . فلو تجلدوا وقرأوا وتأملوا لعملوا قصصاً تعيش . انا لست متشائماً ، يزعم غيري انهم يقلدون قصصي الغرب وهـــذا لا يضيرهم . فتولستوي استمد من موباسان وفلوبير ، وأنّا كارنين بنت عم مدام بوفاري ، ولكنها ليست هي . فمستقبل القصة يكون باهراً اذا عمل شبابنا قصصاً تستمد عناصرها من محيطهم . فالغرب اذا اطلع على قصة يصح ان تحدث في كل مكان ، او تشبه محيط بلاده ، يقول كما قال الصاحب بن عباد : هذه بضاعتنا ردّت الينا .

يخيل للبعض منا ان القصة لا تكون عالمية اذا كانت ذات لون اقليمي ، اما انا فأرى العكس ، فالناس هم هم في كل مكان . وهـــل جرت قصص دوستوفسكي في اليمن !! وهل صور بها غير روسيين .

ـ ما هي نصيحتك لكل من يعالج القصة ؟

ـ طلبك نصيحتي لكل من يعالج القصة ، معناه نصيحتي للشباب لان الكبار اكبر من النصيحة ، او بالاحرى الحصان القارح يصعب تطبيعه وترويضه . وعلى كل فنصيحتي لمعالجي القصة : ان يعنوا اولا بالمحيط ، فالقصة مسرح يجب ان ينقل القارىء اليه ، والقصة الرائعة هي تلك التي تنقلك الى الساحة التي تحدث فيها .

هذه واحدة ، وواحدة ثانية ان يعنوا بابطالهم ليعرفهم القارىء . بطل الرواية مثلي ومثلك يا اخي محمداً ... وقد يحيا عمراً اطول من اعمار ابطال حقيقيين اذا كان خالقه قادراً . لا بد لبطل القصة من بطاقة هوية . والعلامة الفارقة مهمة جداً في الهويّة .

وواحدة ثالثة ان ينطق اشخاص القصة بما يمكن ان يحكوه او يصدر عن مثلهم وهذا رأي شيخنا الجاحظ .

فالحوار عنصر اساسي في القصة .

وهناك امر يجب الانتباه اليه وهو ان تكون الحوادث ممكنة الوقوع .

واخيراً العنصر الشعري في انشاء القصة ، فالقصة محتاجة اليه جداً .

القصة قطعة فنية ، ومعظم قصصي العالم شعراء .

ان اقدام المتأدبين على القصة قبل ان تكتمل لهم آلاتها يضيعهم . ليست القصة بالامر الهين . لا اذكر اين قرأت ان الثلاثين وما دون هو سن الشعر ، وما فوق الثلاثين هو زمن القصة ، اما وقت المذكرات او الذكريات ، فمن الخمسين فصاعداً . ما عدا مذكراتك الطريفة ، فأنت مثلي لا تزال تحت الثلاثين ، طبعاً ، وان كتبت مذكرات طريفة .

اكثر منها يا استاذ ولا تسلني اكثر . فقد عييت واعييت .

★

سعيد تقي الدين الدرامائي

افتتح سعيد مقدمة (نخب العدو) بما يلي : انني ادفع الى المسرح العربي برائعة يفتخر بها أي درامائي كان ، في أي لغة وأي زمان ، ولئن دار في خلدك انه قد تدحرجت من فمي كلمة ادعاء ضخمة ،فانا ادعوك الى المقابلة، فأت بأية رائعة افرنجية وقابلها (بنخب العدو) حادثة ومواقف ونكات ، واشخاصاً ومفاجآت ، وحركة وتضاد ، وشبكة فنية وسلاسة ، تجد نخب العدو تضاهي اجلهن في كل شيء ، وقد تكون دون بعضهن في روعة المأزق ولكني واثق من ان نهايتها هي اجمل نهاية رواية تعرفها بدون استثناء وعلى الاطلاق . (انتهى التبجح)

قد لا تصدق ما تقرأ .بلى صدق . فما نقلته لك ليس من مخطوطات وعاديات رأس شمرا وحجر رشيد . انه من كتاب تستطيع ان تتناوله بسهولة . قد يكون سعيد مبالغاً فيما كتب ، ولكنه قادر على عمل كوكتيل عجيب من الجد والهزل حتى لا تدري ان كان يهزل او يجد . ولكنه كما قال موليير ــ الذي تبنّى سعيد مواقف من مسرحياته ــ لا هزل بدون حقيقة . فسعيد في اسلوبه وسرده كلاعب السيف والترس ــ الحكَم ــ رشاقة وخفة يد ، وحركة دائبة ، فما عليك الاان تشد حذاءك جيداً وتشمر وتلحقه .

قد يكون سعيد مبالغاً ولكنه خير من ألف مسرحيات ناجحة ، بل هو الدرامائي الاول عندنا في هذه الفترة ، وان شئت فكما كتب على قفا غابة الكافور ، والكلام للشاعر نزار قباني :

« هو اله صغير سقط من شبابيك نجمة متلالئة فشربته ارض لبنان . »

لم تدلنا كلمة (صغير) على حجم هذا الاله ، وعلى كل فأقل جرم الهي يكون عظيما جداً بالنسبة الينا نحن الترابيين . اذن فلأقل (النومن) قبل ان ابدأ عملي .

أؤمن بسعيد تقي الدين ، الخالق الضابط الكل ما يرى وما لا يرى الخ . اجل انا اؤمن بعبقرية سعيد وبخيلته الوثابة ، وبعبارته المصنوعة حديثاً ، وأويد رأيه في نفسه، فهو دراماتينا في هذه الفترة ، ولو كان عندنا مسرح لكان يجلس سعيد في لوج الشرف وينظر الى الجماهير من عل ويقول للنظارة : فكروا يا ذبّان ، افهموا الفن !

وحقّ ربنا يا سعيد انا في هذا جاد لا امزح ، اما اله صغير فهذا كلام هراء ... ان (لولا المحامي) التي تزدريها انت و (نخب العدو) و (حفنة ريح) تحف نادرة ، ومع هذا لا بد من النقد . فلنفرض ان هذا العبقري اله لا نصف اله فلا بد له من نقد . فالله جل جلاله انتقد ، ولا يزال ينقد ، واول ثورة كانت عليه : خلقتني من نار وخلقته من طين .

قد يقول القارىء انت لم تعودنا هذا اللف والدوران فما بالك اليوم تغير عادتك ولا تقول كلمتك وتمشي ؟! فالى هذا القارىء اقول : يجب قبل كل حساب ، ان نصفي الحساب ، حساب الناقد . فسعيد ليس له عدو على الارض الا الناقد . اما في العالم الذي سقط منه الينا فهذا علمه عند نزار قباني ...

نرى سعيد تقي الدين يزدري الناقد ويحتقر ما يقول «فالنقد فن زائف ومهنة طفيلية . النقد يوهم صاحبه ، ولو ضمناً ، بالتفوق على المنقود . انا انقدك ، اذاً انا افضل منك ... زد على ذلك ان النقد يضع بين يدي الاديب او المتأدب موضوعاً جاهزاً فلا حاجة الى حكّ الراس والتنقيب عن موضوع . كذلك ليس من انتاج مهما عظم الا وفيه نواح ضعيفة يسهل اكتشافها، فتسري نشوة الظفر في عروق الناقد مكتشفها . كذلك التطرف يولد التطرف ، والمديح بلا وزن سبب النقد الاعمى . »

ترى من اي وزن هو قول نزار قباني الذي زينت به قفا غابة الكافور ...؟

ذاك رأي سعيد في الناقد ، كما اثبته في الصفحة الثامنه من نخب العدو ، واما ما في ذيل (حفنة ريح) فيقول سعيد حين قرأ نقد الدكتور سهيل ادريس لنخب العدو: «شعرت بقربى تربطني بك بعد قراءة نقدك الرائع ،في جريدة بيروت، لنخب العدو ،

ولو انه اعطي لي قبل اليوم ان اطلع على مثل هذا النقد لترددت في قول : النقد فن زائف ومهنة طفيلية . »

اسمح لي يا سعيد ان اعود بك الى البدء ، الى ما قبل الخليقة عندما بدأ الله في تأليف كتابه الاعظم ، اي تكوين الكون . اما قال ليكن نور فكان النور ، ورأى ان النور حسن ومضى في الخلق والتساؤل فيرى ان ما خلقه حسن حتى اليوم الاخير . اظن ان هذا التساؤل يدلك كما يدلني على انه ، تعالى ، كان ينظر الى عمله كناقد ، حتى اذا ما راه حسناً راح يتم تأليف كتاب الخلق المؤلف من ستة اقسام ، وفي القسم الاخير خلق الانسان ، ولو لم يكن الله ، جل جلاله ، ناقداً لما وجه الى اعماله هذه النظرة .

فالناقد الاول كان الله ، وهو في الوقت نفسه المؤلف الاعظم وان لم يؤلف مثل نخب العدو ! وانه أطرى عمله كما اطريت انت مسرحيتك ... ولو لم يكن الله ناقداً ملهما لما عرف ولا قال ان ما خلقه حسن .

قلت ان الناقد يجد موضوعاً جاهزاً ، وانا اقول لك : نعم ، ولكن المواضيع جاهزة كلها ، والذكي مثلك من يفصلها ويضعها في واجهة دكانه . ثم يبيعها كانها (استعمال) .

النقد فن يا سعيد . اما انت فكبطل صديقك موليير تسب الناقد وانت ذاك . في جميع مسرحياتك : لولا المحامي ، ونخب العدو ، وحفنة ريح ، انت ناقد وسأريك . اما الفرق ما بيننا فهو انك تفتش عن بطلك بين الناس ، وانا افتش عنه بين الكتب .. اظنك قرأت مسرحية موليير (البورجوازي) . استغرب ذاك البورجوازي جداً حين قال له معلم الفلسفة ان النثر هو ما يحكيه . فقال لمعلمه : اذن انا اتكلم النثر منذ اربعين عاماً دون ان اعرف ذلك . كثر الله خيرك لانك خبرتني ذلك .

فهل تستغرب انت ايضاً اذا قلت لك انك ناقد ادبي ثم لا تخرج من الجو الادبي الا لتكون ناقداً من نوع آخر ؟ فانت اذن ناقد مهما اغرتك انانيتك وحملتك على ازدراء النقد .

ان الناقد هو الذي يدل الناس على مواهب المؤلف كما سأدل على مواهبك ،

وانت ناقد يا بطل موليير ، وناقد لا يرحم . يتكلم من الاعالي وعلينا ان نضع على وجوهنا برقعاً ، كما كان يفعل موسى حين يتحدث الى ربه... واذا لم تصدقني فراجع نقدك لقصص صديقك الذي اكتشفته ، الدكتور سهيل ادريس . لقد تشكيت في مقدمة (نخب الغدو) كثرة المديح المتفشي عندنا ، وكذلك تألمت من النقد ، فحيرتني والله . واخيراً اهتديت الى حل لهذه المعضلة وهو ان نمدح حيث يجب المدح ونقدح حيث نجد مدخلا (للخربرّ) .

فلنبدأ عملنا .

المسرح عندنا صغير السن حديث الميلاد . نشأت مسرحياتنا الاولى لا هي عامية ولا هي فصيحة ، ثم صارت فصيحة حتى التقعّر في اواخر القرن التاسع عشر ، شعرية مع عبدالله البستاني ، وشعرية نثرية مع اديب اسحق ، واخيراً مع نجيب الحداد . كانت مواضيعها مختلفة ولكنها كلها تمثل الطبقات العليا او ما اشبهها من حوادث قديمة ، الى ان جاء شوقي ونظمها شعراً رائعاً في مواضيع تاريخية ادبية . ونهض فرح انطون بالمسرحية فجعلها شعبية استقى مواضيعها من الحياة العامة . وقفز سعيد تقي الدين من مقعد المدرسة الى المسرح ، وهو العتليت بلغته ، والعتعيت بلغتنا العامية ، فكانت قفزة موفقة جداً . وحسبك الدليل على هذا التوفيق ان يسمع مؤلفها سعيد ، في مخزن امين ابي ياعي ، كلمة : اهلا بالنابغة ، من امين الريحاني . فنام سعيد على اكليل الغار منذ عام ١٩٢٤ ولم يستيقظ من تلك النومة الذهبية الاحلام الا في جزائر الفيليبين ، الشرق الاقصى عام ١٩٣٧ . وليسمح لي ان احرف ما قال : ناخ نوخة جمل ، وقام قومة سبع . فمسرحيتنا طليانية فرنسية مع ابي المسرح اللبناني مارون النقاش ، وفرنسية انكليزية مع الذين جاؤوا بعده .

كانت تعتمد اولا على البيان الاصطناعي لان الذين ترجموا او الفوا في هذا الفن كانوا يكتبونها للقارىء ولا يفكرون بالمرسح ، ولذلك جاءت شخوصهم جامدة لا تدل على انها بشر تحيا وتتكلم كما تحيا وتتكلم ، وتروح وتجيء وتجيء وتروح . كان مؤلفوها متزمتين حتى لا ترى على المسرح وجهاً ضاحكاً هازلا ، واذ كان لا بد من الضحك او الاضحاك الفوا فصولا مضحكة تمثل بين الفصول .

اما الهزل والدعاية والنقد والهجاء الاجتماعي فلا نكون مبالغين اذا قلنا ان سعيد تقي الدين هو الذي اشاعها في المسرحية . فالهزل يسيطر حتى على درامته ، فكأن ليس بين ابطاله واحد يحبه ، او كأنه لم يخلق بطلا ، او لم يستعر من المجتمع بطلا الا ليضحك من الناس ، او يضحك الناس منه . واذا كانت ابطال مهازله قومية بلدية فلا يعني هذا انه خلقها ، ولا انه استعارها من روائي آخر (كمسطرة) يعمل مثلها ، بل انها نماذج عايشها ورآها بعيني رأسه ، كما عبروا ... فهو في (لولا المحامي) مثله في نخب العدو وحفنة ريح ، يمثل اشخاصاً عايشها وآكلها وشاربها وتأمل حركاتها وسكناتها ، وراح يخلق منها قصة بعدما انطقها بما يلائمها من الفاظ وتعابير تضحك المفلس ... تعابير يتعمدها ويعتمد عليها في اخراج روايته ، وهو لم يبدعها كلها ولكنه جلاها وصقلها جميعاً حتى لاءمت مذهبه الفني . وهذه العبارات هي من صميم حياة ابطاله فكأنهم هم قالوها حقاً . ليست عبارة مسرحيات سعيد من المصنوعات البيانية . وهذا سر نجاحها ، ففي فم كل شخص كلمات وعبارات لا تصدر الا عنه . واذا لم ترض احياناً هذه العبارات البيانية فلسعيد بيان خاص به ، وليدق البيانيون رأسهم بالحيط .

تدل مسرحيات سعيد تقي الدين على عين لاقطة كعدسة المصور . ولا عجب اذ ظهرت ابطاله بهذا الوضوح فهو قد تأملهم كثيراً ، وربما ان بينهم من حمله مرضعاً وماشاه صبياً . وهو لم ينقطع عنهم الا حين شعر بارستقراطيته .

انه يعول كثيراً على استحسان الجماهير وضحكهم وتصفيقهم ، ومن كان كذلك عليه ان يفتش عن مثل ما يفتش عليه سعيد . ومن هنا جاءت حملات سعيد الغواشم على الناقد حتى عده طفيلياً يعيش على الهامش ، يجد موضوعه جاهزاً فيتهالك عليه كجوعان لم يرَ الخبز منذ اسبوع لخمس وعشطان .

ان ضحك الجماهير وتصفيق النظارة هو عند سعيد الفوز الاعظم ، اما الخاصة ففي فمهم التراب . وليقولوا ما شاؤوا . اما صفق الجمهور وضحك ... ولهذا يتعمد العبارة الطريفة والنكتة البارعة .

اما قال سعيد للمخرج : ازرع بين النظارة من يصفقون ، وهل في الدنيا كاتب

غير سعيد يصرح بهذا . وان كان الفن الدرامي هو في اثارة الضحك واشاعة الاستحسان ، فالخراج الاصطناعي لا يعمله الا نطس الاطباء .

اما انشاء سعيد فهو معمول في مسرحياته ليحكى لا ليقرأ ، وسنعود الى هذا في الكلام التفصيلي على مسرحياته وقصصه .

يحاول سعيد ان يقول الحقيقة دائماً ولو كانت تمس اقرب الناس اليه بل ذاته ، وهو دائماً يخرج من هزله حقيقة عملاً بقول موليير ايضاً: لا حقيقة بدون هزل ، ولا هزل بدون حقيقة . انه كالصيدلي الذي يعطيك ملبسة فيها الدواء المر ، وسيموه سماجة الطعم بالحلاوة . السر في ان تقبلها وتزدردها ، والله الشافي فيما بعد .

يريد ان يضحك الجمهور ويهذب اخلاقهم ، وهذا ما يعمله كل من كانت له طباع سعيد وقريحة سعيد ، ومواهب سعيد واطلاعه الواسع على الروائع العالمية التي يريد من كل قلبه ان يعمل مثلها وقد عمل . اما هذا الهزل في الادعاء فمن بضاعة سعيد ، انه مؤمن بما يقول هازلاً فيورده لك بهذا القالب المضحك ، حتى اذا لم تصدقه عدّه هزلاً وكفى الله المؤمنين القتال .

وسعيد يخرج مقاله احياناً بشكل تمثيلي ، وهذا يدلك على انه خلق كاتباً مسرحياً . اقرأ حديثه مع المخرج ، بل سيرة حياته ترَ كيف مثلها تمثيلا لا ينقصه الا المسرح والمخرج .

اما المرسح فيعنيه ان يكون سهل الوجود ، فبدلاً من الموبيليا لا بأس بالسحّارة ، لانه يهدف الى ان يكون كل شيء طبيعياً .

ليس سعيد من ذوي الانبساط والمرح وليس من ذوي الضحكة الداوية . ومواضيع مسرحياته ليست كذلك ، فمن اين ينبثق اذاً هذا الضحك ؟ في الغالب يكون التعبير مصدر ذلك ، او التكوين الذي خلقه لاشخاصه ، او الموقف الذي يراه صاحبه جدياً كل الجد ، بينما الآخرون يهزأون به ويضحكون من عقل صاحبه . ان تكبير الاشياء الهزيلة الحقيرة هو عنصر هام عنده بل هو وسيلته الى ابراز هؤلاء الاشخاص الذين عرفهم صغيراً وابتعد عنهم كبيراً . انه شيخ وانهم عوام ، فصار يسلم عليهم برؤوس اصابعه . ولكن صورتهم كانت قد انطبعت في مخيلته ، وهو يستعيدها بتفاصيلها ساعة يشاء ، ويؤلف منها مشهده متى اراد فيأتي كل شيء طبق الاصل .

ان مشيخته جعلته يستهزيء بهم ، فيجعلهم يقتتلون على لا شي، تقريباً ، على (عصا النوطرة) . صحيح ان هذا امر واقعي ، ولكن المؤلف يحتقر تلك الحفنة من البشر . وحسبك استهزاء بهم ، عند عقد الصلح ، تقديم تلك العصا الى بيت الحمصي كانها صولجان ملك .. لا عصا ناطور .

اما الرواية الثانية فاسمها يدل على تقدير المؤلف لأبطالها : حفنة ريح ... ازدراء وايما ازدراء . جلّ هذه المسرحيات نقدية فلا يفلت من قلم المؤلف شيء ولا يسلم من لسانه احد .. فهو ينتقد حتى اقرب الناس اليه ويجعله مثلا لبطل من ابطاله .

ينتحل سعيد كلام ومشاهد غيره كما في ختام رواية لولا المحامي حيث يشن الغارة على موليير . فوحدة الحـــال بينه وبين موليير تبرىء الموقف ، فدستور سعيد الفني دستور موليري : قاعدة القواعد هي ان ترضي وتعجب .

كل حياة سعيد قفز وجمز . فمن مدرسة مارونية اكليريكية ارستقراطية محافظة ، الى جامعة اميركية ديمقراطية لا تعبأ بالتقاليد الموروثة ، ومن لبنان ، بل من الشوف الدرزي المحافظ ، الى المهجر . من لبنان ارض الثرثرة والانطواء على الذات ، الى ارض العمل حيث لا ذات الا للدرهم والدينار ، ولا حديث غير حديث الجمع والقسمـــة والطرح والضرب .

شاب نشأ في بيت عتيق ، زرع في رأسه ابوه محبة هذا البيت ودعمه بكل ما له من قوى ، فراح يفتش عن الدعامة المثلى ــ المال ــ وهناك راى هموم الناس الكبرى فراح يضحك في مسرحياته من هموم التربة الصغرى . وانتزع من اختباراته العالمية فوائد شتى ، وصور ابطال لها الى الساعة التي استيقظت فيها قريحته الهاجعة على اكليل الغار ، فكانت مواد مسرحياته واقاصيصه .

تنظر اليه فتحسبه جباراً عنيداً ، ولكنه يبـــدو لي مما قرأت له انه رجل طيب العنصر ، وفيّ اذا احب ، دمث الاخلاق على تمام الواحه ، وعرض كتفيه . فذلـــك الهيكل الضخم الذي يبديه كمصارع او ملاكم من الطراز الاول ، فيه نفس طيبة تنم عنها تلك التعابير التي يخلقها ، وان لم يكن من العدم ، فله فيها فضل التطبيق . الرجل ملهم بدون شك .

سعيد في نظر بعضهم يتعمد النكتة تعمداً. اما انا فأرى ان التعمد هو عمل ارادي لا بد منه لكل من يريد ان لا يكون مقلداً. يقول هؤلاء انه متطرف في هذا، وانا لا اقول لهم اكثر من هذا، أي ان سعيد تقي الدين اذا لم يوفق الى مثل هذه العبارات في مسرحياته واقاصيصه ومقالاته يمزق اوراقه. فغايته الاولى هي ان يستولي على الجماهير ويجرفهم في التيار الذي يصطنعه لجرفهم الى حيث يشاء.

مسرحيات سعيد تصوير للحقائق بشكل مضحك، اما عقدة (نخب العدو) التي كلفته اجتراح العجائب كالمسيح، فهذه في نظري ليست بالعنصر الهام في مسرحياته، لان دراماته ومهازله تقوم على نماذجه وشخوصه المعمولة على قالب (استعمال) لا جاهز. بل على ذلك الحوار الرائع.

اما عيب هذا الحوار فهو ان عبارته تكون احياناً عاميـــة حتى يسقط الخليل وسيبويه وابن عقيل تحت الردم. وفي لحظة يستحيل التعبير فصيحاً حتى التقعر، بينما يكون المتكلم واحداً، والمشهد واحداً بل في حوار واحد.

فهذه ام وسيم تخاطب خادمتها زليخة قائلة لها: ادجاجة انت فتنامين قبل المغيب. اخطأ هنا سعيد من جهتين: اولا لانه قال فتنامين، وهي فتنامي. وهو لو قالها على حتها لدنت جملته قليلا من واقع الحوار.

وفي حوار واحد ايضاً تقول زليخه: دخلك يا معلمتي، لا اريد الذهاب الى العين. اني كلما التقيت على العين بنساء عائلة الحمصي يزأن بي. والبارحة قالت لي ورد الحمصي ساخرة: اننا نوصد الابواب في النهار.

فبعد دخلك يا معلمتي تجيء كلمة: اني، ونوصد.

وبعد قول ام وسيم ايضاً: يا تقبر امك، تأتي كلمة: لماذا تأخرتم.

قد يقول سعيد وكيف تقول؟ وانا اجيبه: تقول: ليتك تقبر امك، بدلا من يا تقبر امك. والخادمة تقول: نغلق الابواب بدلا من اننا نوصد التي لا ينطق بها لبناني.

وهنا يلذ لي ان اذكر عبارة لافهم كل مسرحي وقصصي كيف يدني حواره من طبيعة الحكي. جاءت هذه العبارة على لسان احد شخوص مسرحيات سعيد قال: يكفي خمسون، بينما العوام لا يقولون الا خمسين، فكيف نعمل حتى نقربهـــا من

الواقع ؟ انا في مثل هذا الموقف افتش عن تعبير عامي فصيح فاقول مثلا : نكتفي بخمسين .

ولا يكتفي سعيد بحشر أنّ وقد في كل مكان ، بل يدخل لام المزحلقة على خبر ان فيقول راجي : ان ابنك يا خالتي ام وسيم لولد عجيب .

وتقول ام وسيم لراجي : ساتركك ووسيم في دعابتكم . لا نطالب بنصب وسيم بعد واو المعية ، فما لنا وللنصب . ان ام وسيم ككل لبنانية تستعمل (مع) في مثل هذا الحديث ، فتقول : اتركك مع نسيم ، او انت ووسيم .

وبينا نراه يتشدد في استعمال هل والهمزة اذا به ينزل الى حضيض العامية . يقول وجيه في حفنة ريح : ما هذابعذر ، ثم يتبعها بقوله : التهوة سعرها بالجو . وبينايقول: تشكرات . اذا به يتبعها بالقول : هل اعددت اللحن ، هل اقتضبته . وفي موضع اخر : هل عايدة بخير .

اما سين الاستقبال فترد كثيراً على لسان قلم سعيد ، وهي ليست من بضاعة الحوار الواقعي . ومثلها لقد : لقد هرم وطالت لحيته وابيضت . فآه من لقد في الحوار يا سعيد ، انها تستاهل مسبة دين فخمة ...

واذا اعترضنا على حوار شخوص سعيد فاننا لا نعترض على شخصياته الذين نجدهم في كل ضيعة بل في كل مزرعة مكونة من بيتين وتنور .

لم يخرج سعيد من قمقه حين وضع شخوص مسرحيانه . ففي نخب العدو ، ولولا المحامي ، والمنبوذ ، قد لا يكون تجاوز خراج بعقلين كما لم يتجاوز محيط بيروت في حفنة ريح .

اما خواص سعيد العامة فهي انه غير كلاسيكي ، مبدع في التعابير الخاصة ، خلق قصصياً . يتعمد النكتة ويحبها موجعة مرة ، وتعمدها اياها احياناً يفقدها الخفة المطلوبة. لا تعرف هزله من جده . فهو في الادب عتليت ، كما عبر هو ، وعتعيت كما نعبر نحن في منطقتنا ...

دفتر الغزل

لامين نخله

امين نخله شاعر كبير وكاتب اكبر ، ومع ذلك يعتمد كثيراً على الدعاية في ترويج بضاعته ، فهو وسعيد عقل في هذا اخوان، كلاهما يفوق الاميركان في الاعلان. فاذا صح وجود برج عاجي للشعراء والادباء ، فلا شك ان ذاك البرج في بيت امين ومكتب امين ، بل في كل مكان تطأه رجل امين، اذ لا بد لهذا القمر من هالة حيث يطلع .

ان هذه العنجهية اتصلت اليه بالارث ، فهو ابن أب شاء ان يتزعم فاستطاع واتته الزعامة منقادة . وهو ابن محيط مغلال ، تزرع فيه حبة الارستقراطية فتعطي الفاً لا مئة ... نشأ الاستاذ امين على ما كان عوده ابوه ، فخرج فوق ابيه ، كما قال الجاحظ في وصف ابن احد بخلائه العبقريين .

وها هو امين يرسل في السوق ديوانا سماه (دفتر الغزل) كما سمى الجاحظ من قبل دفتر المعلمين ، والغزل شيخ السفرة في ادبنا العربي ، او (الهوردفر) بلغة العصر .فاي شاعر ما تغزل . كلهم قالوا الغزل . ولماذا لا ! فهذه التوراة ، وهي كتاب مقدس ، فيها مأدبة غزل اشبعت الذرية ولا تزال . فسليمان الحكيم يصف حبيبته الشولمية من عينيها الى سرتها ولا ينسى دوائر فخذيها ومابينهما من صبرة حنطة يسيجها السوسن... اللهم نجنا من اكل الدجاج والوقوع في السياج ...

الغزل لغة الحب،وداود ابو سليمان يرثي يوناثان في اول فصل من سفر الملوك الثاني فيقول ، وكأنه ينسب ويتغزل : قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناثان . لقد كنت

شهياً الي جداً وكان حبك عندي أولى من حب النساء ، وقد احببتك حب ام لابنها الوحيد ...

اجل لقد بشمت ثعالب البشرية وما فنيت العناقيد . ولا بدع ، فالحب مـــلاك الحياة . وجد لحفظ النوع فهو لا يفنى الا بفناء هذا الكون ، وهو اذا شاخ مع الفرد فان نواته لا تموت ابداً .

وبعد فلنؤد حسابا عن كلمة سبقت ، اي عن الدعاية عند امين الشاعر الطيب المبدع. صدر امين (دفتر الغزل) بدعاوتين ، واحدة عربية والاخرى يونانية ، فكأنه اراد الشهادة فيه شرقية غربية .

قال بولس الرسول : على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل كلمة ، كما قلت سابقاً . وهذا بابا دي باناقوس يوناني كمار بولس . فلا شك ان شهادته مقبولة ، وكذلك احمد شوقي ، فهو ، كما يزعم ، عربي تركي يوناني شركسي بجده لابيه واميرشعراء ، فهو مقبول الشهادة ايضاً. ناهيك ان امين نخله هو كالمسيح او اعظم وسيأتيك الخبر ـــ قال المسيح : انا اشهد لنفسي وابي الذي في السماء يشهد لي . اذن اجتمـــع لدينا اربع شهادات ، ولم يبق علينا الا ان نبدأ المحاكمة .

نودي على الشاهد الاول شوقي ، وبسبب غيابه غيبة لا رجعة بعدها ، نظر فيما كتب :

هذا وليّ لعهدي وقيّم الشعر بعدي

ترى من قال لشوقي اننا نعترف بولايته حتى ينصب وليّ عهد ، فكل شيء يورث الا العلم . ومتى كان الشعر وقف ذرية حتى نجعـــل له قيّماً . فليت الصديق اميناً الذي لا اشك في امانته الادبية خبّأ هذه الوريقة الشوقية وحفظها للعزيز سعيد، حرسه الله ، مع ما يحفظ من وثائق... انها لا تحله في اعيننا محلاً ارفع مما له عندنا ، وهي من جهة اخرى تدل على قلة كياسة شوقي التي عبر عنها في هذا البيت التالي :

فكل من قال شعراً في الناس عبد لعبدي

هذا كلام رجل لا اجد له نعتاً ، والاشبه ان العمر هو الذي انطق احمد شوقي ، في غير ساعة رضا، بهذا الهذيان والهذر.

أصدق شوقي انه امير والشعراء عبيد ، حتى يكونوا جميعاً عبيد عبده ؟ انا لا اشك بأمانة امين ، كما قلت ، ولذلك كانت اللوم للشاعر المجنون الذي اطراه الشعراء وعظموه وامروه حتى تعنفص وتفايش ..

وفي ثالث بيت يقول شوقي ايضاً :

كأن شعر امين من نفح بان ورند

قلت : لا شك ان شعر امين ذكي الرائحة له طعم غير طعم الشعر ... ولكن اختلاف الطعوم ليس حكماً بالاولية والاسبقية وولاية العهد . ان مصر بلد الشاعر شوقي نفت الملك وولاية عهده ، بينا نرى شاعرنا الامين يريد بسط جناح ملكه على العالم العربي بكلمة من شوقي ...

ويقول شوقي ايضاً :

او من عناق التصابي وقرع خد بخد
او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبدي

يظهر ان هذا البيت الاخير هو الذي اوحى الى امين بقصيدة (ام موسى) ليعيد فيها ويبدي كأبي نواس ، ويكون عند ظن شوقي فيه . وسننظر في هذه القصيدة حين نصل اليها ، لنريك ان الظرف طبع لا تطبع .

ويختم شوقي قوله بقوله :

والعصر عصر (امين) خير ومطلع سعد

وهذه ايضاً ثخينة يا امين ! اعرفك رجل دعاية ، ولكن ما كنت احسب انك تشتط بهذا المقدار .

واذا قلبنا الورقة من هذا الدفتر ــ دفتر الغزل ــ وقعت عيننا على قصيدة يونانية للاستاذ بابا دي ياناقوس .

جاد امين على بابا دي ياناقوس بلقب شاعر اليونان ، ولا اعرف اليونانية لارى ما خلع شاعر اليونان هذا على امين من القاب . لا بد وان امين هزّ بجذع النخلة حتى تساقط رطباً جنياً ، والا لما ذاق هذا (القرط) من ثمارها ...

حقاً انها مصيبة ، فانا لا اعرف اليونانية ، ولا وصول لي الى الدكتور طه حسين

ليترجم لي هذه الابيات . اما تلقيب بابا باناقوس بشاعر اليونان فاظنه مثل تلقيب ذاك التاجر ابا الفتح بصاحب الدولة ، في مضيرية بديع الزمان . ولكني اعتقد في كل حال ان هذا الشاعر اليوناني يحترم نفسه ولا ينزل في (المغطس) الذي تنعم فيه شوقي وانعم ...

يظهر ان امين يفهم اليونانية ولكنه تواضعاً لم يترجم لنا ابيات باناقوس ... والا لما قال في المقدمة في وصف غزل الشاعر اليوناني : (ولا رقة في الغزل وراءه) .

اما شوقي فكان حظه ضئيلا جداً من مقدمة امين مع انه جعله ملكاً على الشعراء بعده . ويختم امين مقدمته الحلوة الطريفة بهذه العبارة :

(وهكذا فانه اجتمع لهذا الكتاب ، بفضل منك، وفضل من صاحبك ــ اي بابا وشوقي ــ ما لم يجتمع لكتاب : (يد يونانية فوق يد عربية).

قال المسيح : من منكم اذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعاً ... وانا اقول لصديقي امين: لو قام هوميروس وفرجيل، واعاظم شعراء الدنيا ، وكتبوا ما كتبه لك شوقي لما زادوا على قامة شعرك قيراطاً واحداً . انت شاعر مجيد ولكن هذه البراءات هي كالتي عندي وعند ابيك ، لا تنفع شيئاً ، متى وقفت في محكمة التاريخ حافياً عرياناً مجرداً من كل مجد باطل .

اما الان فلنمر مرة عجلى في ديوان الاستاذ ، عفواً ، في دفتر غزله ، وان اشبه افعال المقاربة في التسمية ...

ان شاعرنا الامين لشاعر محكك وربما ظل يفتش عن كلمة من الحول الى الحول . هو كاهن فن ، مولع بالكلمات فيعقد بينها برباط مقدس فيكون زواجاً مباركاً لا يعقبه طلاق . وله ميل يشبه الهوس بكلمات دون غيرها ، وكثيراً ما يقعدها غصباً عن رفيقتها في المكان الذي يريده لها . لقد انبأنا في اخر دفتره هذا ان ليس من عادته ان يرسل الشعر كما يجيء ، ولهذا نرى معظم قصائده قصيرة النفس محكمة النسج . اظن ان ارستقراطية الاستاذ لا ترخص له بترقيق حواشي العبارة ، واللجوء الى الصور التي يتطلبها الغزل ، ليفهم عنه الحبيب . فهو يهبط في غزله من عل ، فلا تظهر الحرقة فيه كما تظهر ، مثلا ، في شعر بشاره الخوري . انه لا يخاطب من العلّيقى كرب موسى

بل يؤثر الطور ... يطوف في الاثير ، حتى يوج هواه في آه المغني . واذا المسيح مشى على الماء ، فأمين يمشي مع الصوت ، ولكن ببطء السلحفاة ، وهذه معجزة اعظم .

قال البهاء زهير لاحبابه :

فلو صدق الحب الذي تدعونه واخلصتم فيه مشيتم على الماء

الا تراه لو كان في (عصر امين) الذي بشر به شوقي ، كان قال ، كما قال امين :

ففي النغم العميق اليك امشي واسلك جانب الوتر المُرنّ

ان قصيدة (الحبيب الاول) هذه تستحق الجلوس حيث احلها امين على الرحب والسعة ، في صدر الدفتر ، وان كنت ارى قصيدة (العقد الطويل) اقرب منها الى الشعر المطبوع . والغزل حتى يبلغ قرارة النفس يجب ان يكون ألين من شعر امين . فأمين مثلا يرى حبه وحب حبيبه نعيما ، بينما يراه بشاره الخوري ناراً آكلة .

فحرقنا نفوسنـــا في جحيم من القبل

يظهر ان بشاره من اصحاب (ابجد هوز حطي) ... اما امين فيحوم ويحوم ، ومن صبر نال ومن لج كفر .

ولعل قصيدة العقد الطويل والقصيده السوداء ، وان كانت صاحبتها جنة ماشية لا معلّقة ، هما في نظري خير من قصيـــدة الحبيب الاول التي تصلح اكثر منهما للانشاد والغناء .

اما في قصيده الاشرفية ، فلأجل كلة (اختها) التي ارادها امين قافية رأيته يحط من قدر الجمال حين فضل نكهة العنب عليه فقال :

ذقت الثمار ونكهة ان لم تكن هي نكهة العنب الشهي فاختها

وبعد ، فمن يدري فلعل امين نخلة عنّاب ، او انه يغمز ابن الفارض من بعيد.

واذا بلغنا (بئر السامرية) وضعنا عصيّ الحاضر المتخيّم كما قال زهير . ان الآبار واحات ، ولعل سامرية امين احدى واحات ديوانه ، بل واحة الشعر الحديث . ومع ذلك لا بد من قول شيء لتعود حليمة الى عادتهـــا القديمة . استهل امين هـــذه القصيدة بقوله :

شرب المسيح فما لها لا تشرب والبئر سقسقة وماء طيب

أتتعجب يا اخي كيف لم تشرب!! يظهر ان بنت الحلال لم تكن عطشانة ... الماء ليس خمراً ولا عرقاً ليتعاطياه على خرزة تلك البئر . أما قدم لها المسيح ماء لا يعطش من يشرب منه ؟! يقول المثل عندنا : الماء لا يمر على عطشان ، وصاحبتنا السامرية جرتها على كتفها ... فلو كانت عطشانة لشربت .. اما البئر فيظهر انك لم ترها . انها عميقة جداً ،لا (سقسقة) فيها. عندما اراد الكاهن القيّم على ذلك المكان ان يرينا عمق بئر يعقوب ، أضاء شموعاً وأسقطها الى جمام الماء .

وبعد ،فلماذا استحليت يا امين كلة سقسقة !!العهد بك لغوي من الطراز العالي. كيف لم تشك بفصاحتها حين أحالتها المحل الأرفع اي في مطلع قصيدتك ؟! رأيتك تقول في تحل العذر لكلمة (شلال) : ولا حرج في ان يقال شلّ السيل او النهر ماءه فهو شلال ، وان لم يرد في متن اللغة . فان العرب تقول : شلّت العين دمعها ـ ارسلته ـ والعربية كما لا يخفى يقع فيها النقل لأدنى ملابسة .

طيب . فماذا تقول في سقسقة . فاذا كنت تعني سقسقة نهر الباروك وغيره ، كما تقول العامة ، فبئر ابينا يعقوب ، كما قلت لك، ليس بنبع خرار ولا جدول ثرثار . واذا كنت تعني غير ذلك فيا ليت شعري ما هو ... فهذا الحرف سقّ ، وسفسق ، وسقسق لا يعني ، أجلك الله ، الا ذرق الطير ، ولذلك قالت العرب : هذا كلام يذرق عليه .

وهنا اسمح لي ان انتقل الى لفظة ثانية من هذه البضاعة ، وهي قولك :

انا في رحاب السامرية واقف ظمآن باسم الناصري أتبتب

فتبّ الرجل معناها شاخ . ولولا قلت : اطبطب كان لنا مخرج منها ومعتصر ، كما قال الاخطل الكبير . فمعنى طبطب اليعقوب صوت . ولعلك بهذا تكون قد نوت من العوام اكثر ، وهم فصحاء غالباً .

عفوك اذا ذكرت هاتين الهفوتين فقط فانت قلت في هذه القصيدة :

خلع اخضرارك آيتين على فمي فتصفحي الانجيل هل هو مخصب

استغفر الانجيل ان قصيدتي عربية كالشمس وهو معرب

ان شمسك يا امين فيها كلف كثير ، أبعد الله عنا نهاية العالم ... وهذا الابتهار

يدل على ما هو اكبر من الغرور . أتجر سلاحك يا صاحبي على الشاعر المفرد ! على المسيح وانجيله !. لقد أزعجتم الانجيل والتوراة باستمدادكم مواضيعكم منهما . وهذه موضة قديمة . ترى هل أجدبت الحياة !

ويقول امين في وصف السامرية : النبت يطلع حيث تنقل خطوها .

لعل هذه الفكرة شكسبيرية ، ولكن الزجّال البعلبكي قال في هذا ما هو أجمل من قول شكسبير وامين ، قال على وزن (ابو الزلف) :

من فوق عالي التلوج من فوق عالي التلوج واخضرّ عشب الجبل هالداستو خدّوج

وبعد كل ما قلنا ، تظل سامرية امين قصيدة غراء على ما فيها من كلف ، لا يضيرها التعريب الذي ضار الانجيل... انها عقلية عتيقة ، وربما كان امين متأثراً هنا بهاشميته ... لا ادري كيف هذا الزعم . واذا كان في البيان غير العربي شَين فلماذا جعل امين قصيدة يا ناقوس اليونانية لديوانه خرزة عين !...

فلنمش . وكما نظم ابو امين ، رحمه الله ، قصيدة ام القميص الزهر ، كذلك نظم امين قصيدة لام القميص الازرق ، ولكنه قصر في شعره جداً جداً عن زجل ابيه .

اظن ان ما سبق من غزل امين يكفينا ، فقصيدة (ام موسى) تنتظرنا. ولكن قبل ان بلغناها لفتت نظرنا قصيدة (تذكار) فذكرني فيها قول امين :

يا من رآني وأبي مرة هذا اخي في جانبي بل أُخيّ

بقول شوقي في ابيه ايضاً :

وتمشيت يدي في يده من رآنا قال عنا أخوين

ان من حق ولي العهد ان يتصرف بالتركة ، ولكن قصيدة امين ــ خلا هذا البيت ــ خير من قصيدة شوقي التي أسفّ فيها حين اراد ان يتصوف ، فوقع الحافر على الحافر ...

وفي اثناء مرورنا ، قبل بلوغنا قصيدة ام موسى ، نقرأ اخوانيات وخصوصيات يُبدع فيها امين ، وخصوصاً حين يصف الغناء ومجالسه وذويه. اما في قصيدة ام موسى فما أراه عمل شيئاً بالقياس الى ابي نواس ، فاسمع كيف يقول :

يا رب خمارة في ظاهر البلد أيقظتها ، وجواد الصبح لم يفد

قالت : من الطارق الملهوف قلت لها بل فتية المرح المختال والصيد

وكل هذه القصيدة منسوجة على ذاك النول الذي تكسر بعد النواسي ، ولكن شوقي قال لأمين في ذلك الفرمان :

او من حديث ابن هاني يعيد فيه ويبـــدي

فصدق امين ، كما صدق شوقي من قبل ، انه بزّ ابا نواس . ان هذه القصيـــدة مطبوعة على غرار مضى وقته ، وفيها يريد امين ان يكون له ظرف ابن هاني، ولكن من اين له ولغيره ذلك .

وبعد هذا كله يطلع علينا شيء مما قيل في امين وماذا أجاب امين : لكل خطاب يا بثين جواب . حكّ لي أحك لك ...

وأخيراً نقول ، ونحن في صدد الغزل : ليس الغزل في معانيه الطريفة ، ولا في لغته اليابسة . الغزل ملاكه عاطفة متقدة يسعرها الحرمان ، ويذكيها التحرق ويعبر عنها بكلام بسّام غير جهم . وهنا لا بأس علينا من سرد نكتة توافق المقام :

كان في كسروان شاعر مفلق يحفظ الكثير من شوارد اللغة واوابدها . واذا استعرنا له نعت امرىء القيس لحصانه ، قيد الاوابد ، لا نكون بعيدين عن حقيقة حاله . كان هذا الشاعر يحمل كل يوم قصيدة غزلية ينشدها الشيخ رشيد الخازن . وكان الشيخ يسمعها له ، وكان كلما انتهى من تلاوة قال للشيخ : كيف رأيت ؟

فيجيبه الشيخ بتلك البساطة التي عرفت عنه : عال . سلم بوزك .

وأطال الشاعر زياراته حتى صار يصبّح الشيخ بقصيدة ويمسّيه باخرى ، ثم يسأله: كيف ؟.

واخيراً قال له الشيخ بلهجته المشهورة : بدّك مني الصحيح ّيما ابن عمو . هالمره الجواب منّوش عالكيف . سماع يا معلم بولس . كل شعرك حكي ما منّو نتيجة . بتعرف كيف تغزلت انا مرّة؟

فقال الشاعر : سعادة الشيخ اعلم . تفضل .

فقال الشيخ : قلت لواحدة مثل التي اخذت عقلك :

عيونك سود وخدك وردي في شي والا منمشي

وهكذا انتهى كل شيء ، وصار الحب يحكي عنا ...

ان المتنبي الذي تغزل حتى شبع ، وابدع في معانيه كثيراً ، لم يعد احد يذكر شيئاً مما قاله . و كأنه ادرك ان الغزل الذي تصدر به القصائد بعيد عن الصدق فقال :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً ميتم

لا يا ابا الطيب ، ان عصرنا هذا قد استقل فيه الغزل ، ولشعرائنا فيه جولات حسان ، وامين نخله ابدع فيه واجاد ، ولكن فصاحة بشارة الخوري ضاحكةوفصاحة امين عابسة .

ان كل عمل فني هو مخاطرة . وآخراً نقول : لولا سخف شوقي وطمع امين في الولاية ،لظل لهذا الديوان ابهته ووقاره ، ولكن الطمع، كما قالوا ، ضر وما نفع .



وحي الحرمان

ديوان الامير عبدالله الفيصل

يا صاحب السمو الملكي ، ويا معالي الوزير الخطير ،
ايها البطل ابن البطل ، يا حفيد اسد الجزيرة ،
يا طويل العمر ،

اما وقد دعتك آلهة الفن الى دخول هيكلها المقدس ، فاسمح لنا ان نضع جانباً القابك الزمنية ، وثيابك القصبية المزركشة ، وخنجرك الذهبي المرصّع ، وسيفك العدناني الموروث من ايام حليمة ... ونلبسك الثوب الذي زركشته اصابع الآلهة العلوية لتخلعه عليك في هيكل قدسها .

اسمح لي ان اخاطبك ، بعد الان ــ في هذا المقام فقط ــ بأسبك (حاف)، غير محوط بجيوش جرارة من الالقاب الاميرية الملوكية . انت آثرت ان تكون امير بيان فكنت . لقد شرفت الشعر بعدما تأبّى عليه الاشراف القدماء، وقالوا في خليفة يوم وليلة : ادركته حرفة الادب . وبهم تشبه العلماء والفقهاء ، حتى قال ابو حنيفة :

ولولا الشعر بالعلماء يزري ... لكنت اليوم أشعر من لبيد

لقد استحققت بتشريفك ساحتنا اجمل الترحيب منا ، فاسمح لي اذن ان اخاطبك بشاعر الامراء ، واسلم عليك بهذه الامارة الادبية .

كانوا فيما مضى يقولون ذو الوزارتين فأي بأس علينا اذا ما قلنا ، ذو الامارتين ؟ ان امارتك الجديدة هبة من الله كامارتك القديمة ، والله يعطي من يشاء بغير حساب .

زعمت يا شاعر الامراء ، انك محروم ، تحس بالحرمان « لان المركز الخطير ، والنفوذ الكبير ، والمال الوفير مدعاة لتغيير اسلوب الناس في معاملتك » . ثم تقول: «انك لا تدري هل ما تحس به من معاملة خاصة او عامة هو لانك انسان يستحق هذا عن جدارة ، او لانك تتمتع بهذه الميزات الثلاث ؟ »

انني اتعهد لك ان اكون صريحاً معك الى ابعد مدى الصراحة ، وان كنت لا احب ان اشفيك من شعورك بالحرمان الذي هو ، في الفن ، خير وبركة. بل ربما كان سبب تساميك في حبك وفنك . اولست انت القائل لذاك الحبيب المتمرد :

ولولا الحب في الاعناق رقٌّ ملكتك باليمين وباليماني

ليت كل قارىء يفهم ما هو ملك اليمين . فاين قول عنترة :

ان تغدفي دوني القناع فانني طب بأخذ الفارس المستلئم

من هذا القول ؟ ان عنترة ، محروم حقاً يا عبدالله ، ولذلك لم يلطف القول ولم يعلله مثلك . صعب عليه ، ككل ذي عاهة ، ان يذكر عاهته — العبودية — ولو في الحب ، لانه معتوق من رقه حديثاً .

نعم سأكون صريحاً جداً فلا تبهر عيني هالة المجد التي تحيط بك . فانا وان كنت احبو الى السبعين فلي عين لا تطرف ، عين لا تزال حادة جداً حتى انها تنظر الى عين الشمس صلاة الظهر ، ولا بأس عليها .

اجل هذا ما ستراه مني ولو كنت اميراً ووزيراً وحفيد اعظم ملوك هذا العصر ، وابن اخي ملك هو قبلة ابصار العرب .

ان للملوك والامراء قلوباً يا عبدالله ، ولهذا كان ويكون وسوف يكون منهم شعراء . فأي بأس عليك اذا لم ترد ان تدفن موهبتك الخالدة فأقدمت على ما لم يقدم عليه سواك من ابناء القصور . نشرت على الملأ ديواناً رفعت به مقام الشعر فطار بجناحين عظيمين ، بعدما كان يحجل بخطى قصيرة عند بابك ... لم تحل عظمتك دون البوح بأسرار قلبك البشري ، فلم تنتحل الاعذار لحبك كأبي فراس الذي قال و كأنه يستحي بالحب : اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى ... ان الحب يخاطبنا بلسان المسيح : الذي يستحي بي قدام الناس استحي به قدام ابي الذي في السماء .

لقد بسطت يدك (العليـــا) الابية على قارعة طريق الفن ، والفن نار آكلة تطهّر وتنقّي .

ثق ان الصراحة التي وعدتك بها لا تباع ولا تشرى ، فأنا لا ابيع مدحـــاً ولا قدحاً، وانما اقول ما عندي غير راج شيئاً مما عندك، وان كان (بلُّوطك) ينفعني... كما قال الجاحظ لذلك الاموي حينما زاره وهو مفلوج يتداوى ببرادة الحديد .

ان لهيكل الفن حرمة هيكل الدين ولذلك أتورع واخشى حين تطأ رجلي عتبة بابه . قد كان المتوجون ، ولا يزالون ، يخلعون نيجانهم عندما يدخلون بيت الله ليعلموا ، امام المعبود ، انهم بشر ... فاكسية الاضريج فوق المشاجب ، كما قال نابغة بني ذبيان في بني غسان الملوك والاخوان .

سوف نحييك مثلهم بالريحان لا لانك صاحب سمو ملكي فقط ، بل لانك شاعر مخلص كبير باح واستراح . ان الاعتراف ، في كل مقام ، يزيح الكابوس الرابض على باب الوجدان، والاعتراف هو ان اقول اني احببت واحب ، واي ضير على الامير اذا ضاع اعترافه شعرا ؟

وهنا يلذ لي ان اروي قصة صديق لي ، وربما كان من اترابي او يكبرني بالسن اربع خمس سنين . اعجبته انثى من نساء (شركائه) . كان يدخن في بيتها النارجيلة فانطفأت الجمرة ، فهبت بجمرتها ، لا بصحنها كما قال ابن كلثوم، واحلت محلها واحدة متقدة ، فاضطرمت النارات ، وباس (البيك) شاكراً يد شريكته ، بوسة كقصائد ابن لرومي طول نفس .

اخجل الشريكة تواضع (معلّمها) فاستحت وقالت له بكل بساطة: حاشا قدرك يا معلمي !

فتنهد البيك وقال لها : الحب ما فيه معلم ولا شريكة ، الحب رب لا شريك له . هاتي خدك ...

انها فلسفة ارتجالية نطق بها صاحبنا باسلوبه الخاص ، فلا امير ولا سوقة في دنيا المحبة ، وما دام الله محبة هو ، كما علمونا ، فما قولتك بنا نحن المخلوقين على صورته ومثاله ؟! واذا قال زهير :

وان اصدق بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

فشعرك يا عبدالله الفيصل (هو الشعر) كما قلت في ختام مقدمة ديوانك (وحي الحرمان) . ان شعرك قوامه الصدق ، وملاكه الاعتراف الواضح الذي يريح وينقي ويطهر . وسمو شعرك هو في تلك اللمعات الخاطفة ، والوثبات العالية التي تدل على الشاعرية كما تدل الخضرة على الينبوع المكبوت في قلب الارض .

فلا تحسّن بالحرمان لانك خامس الاسماء الخمسة ــ ذو مال ــ فليس لاجل هذا المال تمدح وتوقر ، فكم من ذي مال يُبخل عليه باللعنة . انسيت ان الخلفاء مدحوا ، والامراء مدحوا ؟ ان المتنبي مدح سيف الدولة وكان يأخذ من ماله ، ومع ذلك ما رأينا احداً من هؤلاء احس بما احسست انت به من حرمان . ربما انك كنت تحس بالحرمان قبل ان نفحت الادب بهذا الديوان ، اما الان فما بالك ؟!

نحن نعجب بالرجل اذا كان ذا موهبة ، ولكنه اذا كان محروما من المواهب وعنده مال قارون ، وملك هامان ، وسلطان فرعون ، فهذا هو المحروم حقاً ، وماذا نعمل له ؟ هب اننا استطعنا ان نعمل الابيض اسود أفنستطيع ان نصير الاسود ابيض؟

لقد حاولت ان انتقدك نقداً مراً ولكني لم استطع لاني لم اجد المرعى الذي يدر عليه قلمي . انك شاعر مطبوع ، ومن لا يتعمل ويخالف الطبع فليس لنقدي في جلده نصيب .

ان حبك الشعب الذي ينضح به ديوانك جرأني على مخاطبتك يا عبدالله ، وكيف لا اسميك وانت قد خاطبت الشعب ، شباب بلادك ، بمثل هذا القول :

مرحى ، فقد وضح الصواب وهفا الى المجد الشباب
عجلان ينتهب الخطى هيمان يستدني السحاب
في روحه امل يضيء وفي شبيبته غلاب

واي نور اهدى من نور الامل واوضح ، واي عزم امضى واغلب من الشباب! بل اي صرخة ديمقراطية اروع من ختام قصيدتك هذه : فلكم حياتي يا شباب .

ان كلمة (دائماً) في صدر هذا البيت ، بيت الختام ، لم تعجبني . ولذلك اكتفيت بالعجز ، ورب عجز كان خيراً من الف صدر . يظهر انكم يا ال سعود ، تحرصون على

الديمقراطية في كل مقام ، وحسبكم انكم رفعتم السجف التي كادت تفصل بين العبد والمعبود ، فقضيتم على (الواسطة) في دينكم ودنياكم .

فيا طويل العمر ، دع الفكرة التي حدثتنا عنها في مقدمة ديوانك . انس المركز والنفوذ والمال ، ولا تظنن اننا نحابيك ونغالئك لاجل ذلك . ثق انك قد عملت في ديوانك بقول فرلين الشاعر الفرنسي الخالد : **خذ الفصاحة وفك رقبتها** . فديوانك اذا لم يعج بزخرف الفصاحة وبهرجتها وزبرجها ، فهو حافل بالشعر الصحيح الفصيح ، ولا غبار على بيانه .

قال كاتب عظيم احدث عهداً من فرلين: عندما تعوزنا الافكار نلجأ الى الفصاحة. وانت ، والحمد لله ، قد اغناك تفكيرك عن تزويق تعبيرك .

قال شاعرنا الاستاذ صلاح لبكي في تقديمه ديوانك : فمحروم بعيد جد البعد عن شعراء الصحراء الاقدمين والمحدثين معاً . وهو اقرب ما يكون الى شعراء لبنان ، والى الشعراء الوجدانيين منهم .

اما انا فأزعم انه ليس في الدنيا شاعر صحراء ولا شاعر غوطة ، ولا قديم ولا جديد ، انما هناك نفوس وطباع . ونجد مهد الشعر العربي وسريره ، والليونة ، اللهم في الشعر ، من سمات قولهم . ولعل طبيعة المحيط التي تشبه لبنان هي التي قربت بين محروم وبيننا ، وها هو محروم ، شاعر الامراء ، يدلنا على عمل المحيط حيث يقول في اولى قصائد ديوانه :

هل تذكرين بوادي (وجّ) وقفتنا وقد افاضت علينا الطهر عيناك

ارأيت هذه السلاسة والسهولة ، اما فكّ عبدالله الفيصل رقبة الفصاحة ، كما اودى فرلين ! اما قال شعراً يصح ان يقال فيه ما قيل في شعر ابن ابي ربيعة : كأنه الفستق المقشر ؟ ان عبدالله ربيب وادي وجّ الذي قال فيه عروة بن حزام :

أحقاً يا حمامة بطن وجّ بهذا النوح انك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لان ليلى اواصله وانك تهجعينا
واني ان بكيت بكيت حقاً وانك في بكائك تكذبينا

ترى انقول في هذا الشعر انه لبناني لانه سهل ؟ انه نجدي ، وعرق الاصل نزّاز .

اما قال جرير النجدي في اول شعر سمعه لعمر ابن ابي ربيعة : شعر حجازي تحس فيه البرد في تموز .

اما كلمة (وداعينا) في مطلع هذه القصيدة فما اراها طبيعية ، وكيف تكون ونحن في حديثنا نقول : وداعنا . لا نثني ولا نجمع . انها اخت قول شوقي : واحمر من خفريها خداك . واما وقد وعدنا شاعر الامراء بالصراحة كلها فلنقل ايضا : ان كلمة رؤياك ، وهي احدى قوافي هذه القصيدة ، يجب ان تحل محلها كلمة مرآك . ولكننا ننسى هذه الهنات الهيّنات حين نبلغ مثل هذ الشعر الصافي من القصيدة :

ففيك للقلب اهواء مجمعة وفي لقائك دنيا الشاعر الشاكي

دنياي نار من الهجران محرقة اذا نأيت وروض حين القاك

اما البداوة في ديوان (وحي والحرمان) فلا يدل عليها شيء غير تلك الصور الفنية الرائعة التي زيّن بها الكتاب ، وهذا البيت مثلاً :

ازمعوا بينا وشدوا رحلهم فتوارى طيف احلامي الجميل

ولعل هذا هو الذي عناه (محروم) في ختام مقدمته : اريد ان يكون شعري (صورة طبق الاصل) لحياتي ، وصدى حقيقياً لشعوري وعواطفي وامالي وخيالاتي وانفعالاتي النفسية .

نعم ، لقد طبق الشاعر على نفسه ما اشترع ، وها هو بدلا من ان يتهيأ ، على عادة الشعراء ، ليبرز لنا فكرته في بجاد الفصاحة ، نراه يقول واصفاً جموح عيون العاشقين :

نحن صرعى لفتات ورؤى وامان ما اليهن سبيل

وفي قصيدة (ثورة وخيال) نحس شوقاً كاوياً في قلب تغلي مراجله فتقطر شعراً يذوب قائله وجداً ، فيذوب شعره رقة :

قلت اهواك وعن دنياك بالحب شغلتُ

وبودي لو تحدثت الى الدنيا بحبي واطلت

وتأملت الذي يوحي الى قلبي وقلت

. . . . . .

هـــل سمعت اللحن من قلبيَ ينساب تقلبي
ثم يرتد فيروي لك نـــا قصة حبي
وينـاديك الى عش هوانا المستحب

وفي قصيدة (توأم الروح) تفور عاطفة الشاعر العربي الاصيل ويطغى عليهـــا اللون المحلي فيسبق الى قلم الشاعر وينطقه بكناية لا يفكر بها الا عبدالله الفيصل سليل الذين قالوا : السفر قطعة من العذاب :

يا توأم الروح ونور البصر ضاقت مني الروح بهذا السفر
وغشت الوحـــدة عيني فما يؤنس عيني كل هذا البشر

فهنا تبدو للمتأمل صورة العربي اخي الحب النبيـــل . لست ادري لماذا اعجبت العجب كله بقوله : ضاقت مني الروح بهذا السفر . حقا ان سفرة المحب طويلة كليلة النابغة . واذا كان محروما حقا فهي اطول واطول ، كان الله في عونه .

واذا مضينا قدماً حتى نبلغ آخر هذه القصيدة سمعنا الشاعر يتغنى بهذا الحبيب ويشبه صباه الغض بالبرعم . فلندع التحليل الذي يسقط موضع التعجب من الشعر كما قال الجاحظ ، استاذ الدهر . اسمع النص بحروفه :

لا اوحش الله خيالي من الحب ولا تلك الليـــالي الأخرْ
حيث صباك البرعم الغض في اوراقـــه يشتاقه من نظر

انه يخاف عليه حتى من النظر ، خطيئة الفكر ... ثم يمضي الشاعر الى ابعد مدى الظن ، وهناك تهبط عليه هذه الصورة الرائعة :

يوحي الى الدنيا اهازيجه مبتدعاً من كل قلب وتر

انك تخال شعر عبدالله الفيصل بسيطاً جداً ، اذا قرأته قراءة عابرة ، فلا كاف ، ولا كأنّ ، ولا مثل وشبه ، وهذه هي البساطة التي تضرّع فرلين الى ربه طالباً منه ان يهبها له .

وفي قصيدة (منى غدي) يتغنى الشاعر بآلامه ، ويشبه ، كما شبه السلف ، بعيني المهاة ، وبالعقد المنضود . ولا بدع اذا رأيناه لم يقطع السرّه بينه وبين القديم ، فهذه سمة الشاعر الذي يمثل عرقه . فعبدالله الفيصل يصح فيه قول الثعالبي في البحتري : أعاد

الشعر سيرته الاولى ، ولنا نحن ان نزيد على هذا فنقول : اعاد عبدالله الفيصل الشعر الى مهده الاول ، الى مرقص الاحلام امرىء القيس ،الى حلاوة كلام جرير في الغزل.

لقد عبر الشاعر عن آلامه وآماله ولم يلجأ الى التخيل لانه يصف بكل صدق خلجات نفسه . افلا يكون صادقاً كل الصدق من يخاطب نفسه الكبيرة يعللها بالامال من حبيب عرف مقامه فتدلل :

وكلما رمت وعداً بهجره يتوعّد
وان خلوت بنفسي وجدتها تتمرد
اقول يا نفس صبراً فبابه غير موصد

هكذا يصور لنا الصراع النفساني متى سيطر الحب على الامير ، وأبت نفسه الامّارة بالمجد والعزة ، انه يصبح بين ويلين ، كما قالت هريرة الاعشى : ويلي عليك وويلي منك يا رجل .

كل هذا حسن ، ولكن الشاعر ارضاء لنفسه الامّارة بامارتها قال :

اني وحيد القوافي وانت بالحسن اوحد

انها كلمة مقولة يا مولانا ، ولا وحيد قط الا في دنيا الاساطير ...

والشاعر يتخلص من قيود القافية في الكثير من قصائد ديوانه ويترك نفسه على سجيتها في القول . وها هو في قصيدة (عراطف حائرة) يفاجئنا بمطلع ينطح السماء بروقيه ، والمفاجأة من العناصر الجوهرية للصورة الشعرية ، كما يقول جورج ديهامل :

اكاد اشك في نفسي لاني اكاد اشك فيك وانت مني

ارأيت ما اعمق هذا الحب واخلصه ؟ ان الحب يلقي برقعاً كثيفاً على وجه المحب فيرى ولا يصدق . ان الروعة ، في هذه القصيدة ، شاملة ، وهي من الشعر الجدير بان يغنّى في اسمى المقامات ،ويا ليت مُواطن امرىء القيس ضرب صفحاً عن هذا البيت:

على اني اغالط فيك سمعي وتبصر فيك غير الشك عيني

ان معناه جميل جداً ، ولكن هذه (العلى اني) من بضاعة النثر ، وفي (القافية) سناد كنا في غنى عنه .

وفي قصيدة (كنا وكان) صرخة عبقرية قلما نسمع بمثلها في شعرنا المعاصر ،وهي

درس عميق في الهوى :

يا حبيبي كيف ذاك الحب مات عندما دبت به روح الحياة

اذا كان هذا قد حير علماء النفس ، فكيف لا يحير شاعراً لا يضاهيه شاعر في مثل هذا الحب العنيف، وهذه الحاسة التي تنفذ الى الاعماق.

وفي قصيدة (حلم الهوى العذري) نقع على كلام رائع في وصف الحبيبة :

وبالوجنات فيها الضوء يلهب لونهـا الخمري

فتحسب انهـا شفق تلفّـع هـالة البدر

حتى الان اكاد اقول ان شاعرنا ، كجميع شعراء العرب ، قديمهم وحديثهم ، ليس للجمال المعنوي اية وزن في ميزانهم. ان هذه خاصة اصيلة فالحسن متى ملأ القلب كان الفيض ... اسمع ما ختم به قصيدته (على ضفاف النيل) مناجياً الحبيب :

ارع حبي ذاكراً ايامنا فعلى ذكراك للعهد اتكالي

وكأني بذاك الحبيب يجيب كما نجيب نحن : التكلة على الله .

اما في قصيدة (اطيلي الوقوف) فيقشعر البدن لما توحيه هذه القصيدة :

هو الداء يعبث في اضلعي اذا ما نعيت فـلا تفزعي

ولا تبعثي صرخة في الفضاء ولا ترسلي مدمع الموجـع

ولكن عليـك بحفظ الوداد وصـوني عهود الفتى الالمعي

وعيشي مدى العمر بالذكريات وطوفي بمغني الهوى واخشعي

وزوري ثراي اذا ما السكون اطلّ وعند الثرى فاركعي

لئن ضم جسميَ ذاك الثرى لقد ضم عهـدي وحبي معي

اطال الله بقاءك يا طويل العمر ، ولا خلا قلبك من هذا الحب العنيف لتسمعنا الكثير من هذه الروائع التي تقطر دماً .

واني هنا اوافق شاعرنا الاستاذ صلاح لبكي القائل في مقدمة الديوان :(ومحروم في اول الطريق لم يعط بعد كل عطائه ، على سخاء ما اعطى ، ولم يفرغ غير الحرف الاول من الكلمة التي تختلج في صدره وتضج بين ضلوعه) .

وفي قصيدة (هل تناسيت) هذا المطلع الصارخ :

ليته يعرف الملل دائم الخفق لم يزل
هدّه الهجر فانبرى يقتل الياس بالأمل
هل تناسيت ليلنا اذ دفناه في القبل

ما على قلبنا شر ، ما دام يخفق ، واذا عرف العلل يا امير ، فعلى الدنيا مليون سلام . ألا تذكر قول ابي الطيب :

آلة العيش صحة وشباب واذا وليّا عن المرء ولّى
واذا الشيخ قال أُف فما ملّ حياة ولكن الضعف ملاّ

فلا زال قلبك خافقاً الى ابد الابدين ودهر الداهرين . آمين .

اما دفن الليل في القبل فصورة جميلة جداً ، ولعلي لم اقع على اروع منها . وان كان الخبراء الصحيون يزعمون ان كل قبلة تذهب بدقيقة من العمر ... فانا اشتريها بساعة بل بيوم ، وربما بشهر اذا وافقت الهوى وحمي الوطيس ... وحسبي صديقي الشاعر بشاره الخوري الذي حرق نفسه ونفس حبيبه في جحيم من القبل ، ومع ذلك لا يزال بألف خير يهجم على طابور ...

اذن فليخفق هذا القلب ، وليقرع هذا الجرس فرحاً حتى يقلق اربعة اقطار المسكونة . ان دقات الحزن ، أبعدها الله ، آتية ولا ريب . واليوم خمر وغداً امر .

ان قصائد (وحي الحرمان) كلها مطبوعة على غرار واحد ، شعر نقي الديباجة ، حديث قلب بطل يتجلد ، تأبى عليه عزته ان يتذلل ، فهو يخبر بجلاء ووضوح عما فعل به الحب ، وعن لوعته المحرقة في قصيدة (لوعة) حين يسر الى حبيبه :

فلو زعم العواذل بي سلوّاً فكل حديثهم محض اختلاق
وما ابدي لهم غير التأسي وان كانت ضلوعي في احتراق
واخشى ان يقال صريع شوق يلاقي في المحبة ما يلاقي
واغرق في ظلام الليل يأسي فاغرق في اصطباحي واغتباقي

المثل عندنا يقول : جاء الليل وجاء الويل ، ولا ادري كيف استطاع شاعرنا ان يغرق في ظلمة الليل ما اعتاد ان يطفو .

وفي قصيدة (ردوا سهام الجفون) يذكرني الشاعر بعهد مضى يوم كان شعراء

القرن التاسع عشر يردون العجز على الصدر ، فهو يختم هذه القصيدة بالشطر الذي افتتحها به ، فيقول :

ردوا سهام الجفون عن قلبي المسكين
لا توقظوها جراحاً اغفى عليها حنيني

الا تذكرك هذه الغفوة بغفوة الاطفال الملائكية ولكن بدون هذا الالم ! حقاً ان المحب ، ولو اميراً ، لطفل كبير .

فقد بذلت شبابي ضحية للعيون
اما رحمتم حطاماً ناداكم بالانين

اظن ان القارىء يشاركني في الزعم بان في كلمة حطام — هنا — حلاوة شعرية . واخيراً يختم كما ابتدأ :

فان اردتم بقائي ردوا سهام الجفون

الله ، الله ، كيف يستغيث البطل في الحب! ألا تسلم ياطويل العمر ، بقول صاحبي: ليس في الحب معلم ولا شريكة . هاتي خدك .

اما ذكر المدام والراح والكاس فلم يرد الا في قصيدة (الى ذات الوشاح) ذات هذا المطلع :

تسائلني العواذل ما اقتراحي وانت على الزمان مدى اقتراحي

بيد ان هذه المدام والكاس هنا مجازية كالتي عند ابن الفارض ، ولكنها من نوع آخر.

وفي قصيدة (امل المحروم) ، وان كانت قوية العاطفة حادة الشعور ، صور غير جديدة كالبان والعناب . الا ان الشاعر اخرجها باسلوب مستملح جداً فقال :

وقوام يتهادى في الربى فيقول البان ما أهيفَهُ
وفم لو قال من ينعته هو كالعنّاب ما عرّفه

اما بيت الردف ، وان كان قد مضى يوم كانت فيه الارداف تستحلى مقنطرة ، فقد اخرجه الشاعر الى معرض الفن جميلاً طريفاً ، حافلاً بلون محلي صارخ ، حين قال:

وبارداف حادٍ صلفٌ مثقلٌ خطوك ما أصلفه
فجميل منك بعد الظلم يا أمل المحروم ان تنصفه

اما نونية (يا ناعس الطرف) فلا تقل عاطفة وجمالا فنياً عن نونية ابن زيدون ، ففيها تلك السهولة الرائعة وذاك السياق المستعجل ، فكأنها نهر لبناني ينصب متراكضاً نحو البحر ، حتى تختتم بهذه الابيات :

إنّا وايّاكمُ نجمانِ في فلـك يديره الحب في آفـاق ماضينا
مهما اختصمنا فان الشوق يجمعنا او افترقنا فان الحب يدنينا
فما ترى اليوم من صبر ومن جلد فللكرامة فضل من تأسينا

انه في احرج المآزق لا ينسى من هو . بيد انه يغلب على امره ويعود الى تواضعه للحب ، والحب اله قدير لا يزهى امامـه احد ولا يتكبر ، فيقول في مطلع قصيدة (عتاب) :

لما نظرت اليّ امس مشيحـة بين الجموع بلحظـك المرتاب
وجرت على شفتيك بسمة حائر ما بين شبه رضا وشبه عتاب
ابصرت في عينيك عمري كله وعرفت اني قد اضعت شبابي

حقاً انها ابيات من امثل الشعر وارقاه . وهكذا يختم هذا الديوان كما ابتـدأ : تحرق دائم ، وشكوى مستمرة ، وظمأ الى الجمال شديد ، وثلاثة في الدنيا لا يشبع منها : الجمال والعلم والمجد ، وان قال الشاعر : ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله .

وبعد فاثنان في ديوان (الحرمان) يتصارعان : قلب الشاعر ونفسه ، فقلبه يهوى الجمال ونفسه يشوقها العز والمجد ، وهو بينهما كما يقول المثل : ساعة لك وساعة لربك.

هو شاعر غنائي رومنتيكي يقول الشعر في حاجات قلبه ونفسه ، عربي جلود ، محافظ لا يريد الخروج بالشعر العربي عن طريقه المثلى :الصراحة ، الوضوح ،الموسيقى. لا يتغنى بوصف الطبيعة ، ولكنه يهيم بسيدها الذي خلقه الله في احسن تقويم ، على صورته ومثاله .

والحرمان عند الامير موجود حقا ، فهو اذا لم يجد من يحرمه حرم هو نفسه ، والمحروم وحارم نفسه سيان في الحرمان . لا يضحي بالعزة والكرامة في سبيل حب اي كان ، وقد تكون مصيبته انه يبتلى بمن لا يرخص لنفسه الانحدار اليه ، ولذلك يصح فيه قول الشاعر :

ارى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيل الى الورود

الجبل والدلو موجودان ، ولكن الشمم العربي واباء الامارة يصيحان به: لا .

ولهذا لا نسمع إلا ترانيم عذبة هي صدى طبيعي لأغوار نفس يسعدها حب الجمال، او تنهدة نفس معذبة متألمة لا ادري من ماذا .

ان ما سماه شاعر الامراء حرمانا هو ما يسميه علماء اليوم كبتاً ، وهذا الحرمان او الكبت يرهف حساسية الشعراء ، فلا حرم الله الامير هذا الحرمان .

اما ثقافة شاعرنا فعربية صرف ، وما احسبه استلهم غير الشعر العربي ، فهو في قوله الذي اعجب الشاعر الاستاذ صلاح لبكي :

ارى الصبر اوشك ان ينفدا واوشكت في القرب ان ابعدا

يدنو ويبتعد ، في وقت معاً ، من قول الشاعر القديم ، وقد عدوه مخالفاً لفصاحة المركب لغموضه :

ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

ان الوطن الذي كان لنا منه امير الشعراء امرؤ القيس، وجرير وغيرهما، ها هو في القرن العشرين يستعيد مجده الادبي بانجابه عبدالله الفيصل، واذا لم يكن للروح والجمال المعنوي الا اثراً يكاد يلمس في ديوانه ، فاعلم ان هذا هو الدليل القاطع على النفسية العربية التي لا تعجبها الصوفية .. واذا رأينا شاعرنا لم يتخيل كثيراً فلأن شعره وصف خوالج نفسية ، والبوح لا يتطلب امعانا في الخيال ، ناهيك ان الاغراب في الشعر ليس من طباع العرب .

فشاعرنا اوتي البساطة التي سأل فرلين السماء ان يعطاها . قد اعطيها عبدالله الفيصل فرأى الحبيبة انسانة من لحم ودم ، لا من نور والحان ، وورق ورد ، وضياء ونور ، واغاني حمراء وصفراء ، واحلام بيضاء وخضراء ، واشعة قوس قزح ، كما يراها اصحابنا ــ بعض شعراء اليوم ــ ويخاطبونها بلغة لا تفهمها هي ، ولا الانس والجن ايضاً ...

فهذا الشاعر ، وهو نموذج للرأس العربي ، وقد اجتمعت فيه جميع خواصه وخصائصه ، لا ترى في ديوانه رمزية ولا سريالية ، ولكنك ترى شعراً عربيا صافيا

تفكيراً وتعبيراً . شعراً لا تحمل الكلمة فيه فوق طاقتها ولا تكلف الا وسعها .

فكأني بديوان محروم قد جاء رداً ، في الوقت المناسب ، على البدعة الجديدة التي يحاولونها في العراق ، كما نرى في قصيدة (النهر العاشق) للانسة الشاعرة نازك الملائكة . عدت نازك تلك القصيدة (انشودة عزاء لبغداد التي تغرق) وما هي في نظري الا (جنّاز) لشعر نازك الذي غرق في بركة التجديد ، ومحاولة الابداع ...

بعد ظهور ديوان نازك شظايا ورماد نصحت لها ان تعود الى حبيبها الاول ، الى عشق الليل ، واذا بي اقرأ في هذه الايام عشق النهر ...واتبعهانفر من شعراء احبيناهم كبلند الحيدري وفلان وفلان .

فيا اخواني ، انكم بهذا تعتقون ولا تصيرون جدداً . فليست آفة شعرنا في وزنه وقوافيه ، وانما آفة بيت الشعر العربي في تعبيئة وزنه ، واحكام بنيان زواياه ، اعني قوافيه . انكم بهذا تقلدون الغرب ، ولو استطاع شعراء الغرب ان يجدوا لهم اوزانا كاوزاننا ، وقوافي كقوافينا لما تخلوا عنها كما تتخلون ، ولما فعلوا غير ما فعل قدامى العرب . احكموا بنيان البيت الشعري ولا تهربوا من الساحة .

لقد استطردنا ولكننا لم نبتعد عن الموضوع كثيراً ، وحسبنا من محروم ابتعاده عن تلك التعابير الموروثة مع انه ابن المحيط الذي ابصرت النور فيه . فانت لا تجد في وحي الحرمان تعبيراً كلاسيكياً ، والتعبير الكلاسيكي المنقول هو اخطر سلاح يحمله الشاعر والناثر في معركة ادبية .

اسمعت ما قالوا عن السلاح المصري الذي كان في حرب فلسطين يقتل صاحبه لا العدو ؟ كذلك هو التعبير القديم ، انه يقتل صاحبه .

فالشعر قبل كل شيء هو صدى النفس ، ولا يمكن ان يعبر عن هذا الصدى الا بلسان صاحبه . ان هذه لحسنة كبرى لعبدالله الفيصل الذي خاطب الاحباب ، وهم من ناس هذا العصر ، بلغة هذا الزمان والعصر ، ناسياً او متناسياً ما ترك مواطنوه من ميراث تعبيري باق ، فعبر هو كما شاء ، ولم يبال بعمود الشعر بل حطمه تحطيما .

بقي علينا ان نقول كلمة في وحدة هذا الديوان ، فكأنه ملحمة حب وهيام، وغير

قليل ان يكون لشاعر ديوان كامل في موضوع واحد ويجيد قائله كما اجاد محروم .

فلا حرم الله شاعر الامراء ذاك الحرمان الطويل الغناء . ومتى كانت لك نفس تحب ، وقريحة تسعد وتسعف على القول فانت شاعر . وتظل شاعراً في التسعين ، فسر ولا تبال (بحدّ الاربعين) فليس للعبقرية نهاية ولا حد .

. . . . . .

يا صاحب السمو الملكي

اما الان وقد خرجنا من الهيكل فاسمح لي ان اعود الى (البروتوكول) ، وارجو من سمو شاعر الامراء ، ذي الوزارتين ، الامير عبدالله الفيصل ، ان يقبل مني هذه الهدية الادبية . اما قال شاعرنا : وياتيك بالاخبار من لم تزود . ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً .

فانت ايها الامير النبيل ، لك في تأييد الادب يدان : يد بذلت بسخاء ، ويد عملت بكد وجد ، فكان من ثمرها اليانع هذا الاثر الفني .

الا بارك الله في يديك الثنتين .

يقظة ونهضة

الخيال اللبناني

ليس للبنان اليوم اساطيل ماء وهواء ، ولكن له في دولة الفكر فضلاً يعرفه ذوو الالباب .

وبعد ، فعندما نظم الله قصيدته الفريدة في ستـــة ايام كان أشد اعجاباً بالبيت السادس ــ الانسان ــ لانه نفخ فيه شيئاً من روحه . وبعد ايام ــ واليوم في عين الله كألف جيل في عيوننا اللوزية ــ بدا لذي الجلال ان يجوّد البيت الذي رآه حسنا جداً ، فاستودع فكرته سفينة نوح ، حرصاً عليها ، ومحا بطوفان عرمرم قصيدته العصماء ليعيدها احسن سبكا .

وبعد لحظة من تقويم الخلود ، استنشق الاب القديم الاجيال قتار ذبائح نوح ومحرقاته ، فطاب نفساً وقرّ عيناً ، وقال : « لا اعود الى لعنة الارض من اجل الانسان ، لان تصور قلبه شرير منذ حداثته . »

وحانت منه التفاتة فرأى جبل أراراط ينظر بغطرسة الى سهول الشرق ، والكبرياء عدوة الله الغيور ، فغمز بعينه ابنته المجنونة فأخرجت اثقالها ، فاصطفت جبال لبنان كمعسكر من العماليق في جبهة الوجود .

وشفى الرب نفسه من ركاكة ثانية ، فالمثول والنتوء ملاك الفن الرفيع :

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأزين منهما ملكوته

هكذا زعم شوقي ، ولكن أيها نُسِخ عن الآخر يا ترى ؟ لبنان ام جنة الخلد ؟! هذه مسألة تشغل حيزاً من دماغي ولا اقول كبيراً لئلا اتهم بالمبالغة .

وتمرد الخيال اللبناني فحقق ظن الله بالانسان . خلق الآلهة وسرّحهم قطعـــاناً

تتصارع وتتناطح في بطاحه وعلى روابيه ، وكانت بينهم حروب كالتي نشبت بين الملائكة في البدء ، وكان من شروط هدنتها استعمار الشياطين للارض ...

الخيال خلعة الله السنية على من خلقه على صورته ومثاله ، وهودج تنسينا زركشة سجوفه هول الطريق والمركب الوعر . اذا جردنا الانسان من خياله أنكر ما يحيط به وأمسى كالمنبتّ . لا يذكر الامس ولا يحلم بالغد .

والخيال ينمو في بقعة كلبنان ، فولولة رياحه ، وعربدة شلالاته ، وهمس ينابيعه وأنهاره ، وهدير بحره ، ووشوشة اشجاره ، وقصف رعوده ووميض بروقه ، وعواء سباعه ، وصرصرة بئزانه ، وصفير نسوره ، وتغريد طيوره ، تنصب وفوداً وفوداً في حناجر اوديته ، واشداق كهوفه ، فتؤلف موسيقى داخلية لا تجدها في غيره .

فمن لا يرتعش متى استيقظ مع الفجر ورأى بقية نور القرص الفضي تنسكب على ربى لبنان الحالمة ، فتخلق ظلالاً كئيبة ، واشباحاً حائرة . سيناء الله الازليه تتزين بألف لون وتنطق بألف لسان قبل بزوغ القرص الذهبي وعند غروبه .

وما ظنك بجبار نسجت عمامته عوانس كانون ، وحاك آذار عباءته الفوّقة ، وطرز نيسان قميصه ، ونمنمت طيلسانه عرائس نوار ، والبحر يغني عند قدميه ، والضباب يؤزّره ليحلم ؟ أفلا يلد خياله اساطير كانت ام الثقافة العالمية ؟!

لبنان هو الأواب الاول ، وقد فاق جوفانس لما جعله الصوفيون مقرا لابدالهم . انه آدم الخيال الانساني وحواؤه ، فمن قمه المتمردة رفع بنوه عرشاً لهركيل ، ومسرحاً لادونيس ، وخدراً للزُهرة . ومن طيوبه صنعوا عشاً لفينيق رمز القيامة والحياة المتجددة ... رموز عبقرية افرغها الخيال اللبناني على الحقيقة فنعم بها الانسان زمناً .

مُنيٌ ان تكن حقاً فتلك هي المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

للثقافة منبعان : دين حافل بالرموز والاسرار ، وخيال يحلم بالجمال فيخلقه ، وكلاهما انبثقا من لبنان فعمّا البحار وما وراءها . ابصر اللبناني جبلاً قلق المجاز وبحراً مكاراً لا يؤخذ بالعنف ، فشرع يحتال للنفوذ في ذلك المضيق .

وتحرك الخيال اللبناني الاول فكانت فتنة بين ابناء الهواء وبنات الماء . صرعت

قاس اللبناني عمالقة الارز وجعلها مراكب فدان له البحر . ورأى المستقبل مظلما فتحرك خياله ايضاً فخلق الابطال والآلهة ، وتحرك ايضاً وايضاً فكان البناء والارجوان والزجاج والطرف والتحف .

وتحرك اخيراً خيال الطموح فمشى البحارة ابناء الشمس فاستعمروا الشرق والغرب ، وفتحوا الدنيا سوقاً لحضارتهم وفنونهم ، فحق لهم ان يرددوا قول ابن عمهم عمرو بن كلثوم ولا ابتهار :

كأنّا (والجواري منشآتٌ) ولدنا الناس طراً أجمعينا
ملأنا البحر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

وابى الخيال اللبناني ان يستريح فانشأ سفر التكوين الاول ، وعلم افلاطون حقيقة (الموجود الفاهم) ، وافترض (الجواهر الفردة) لحل عقدة الهيولى ، ووضع (ابجديته) مستودع الثقافة الحاضرة ، ولا يزال بعضها كما رتبوه هم منذ خمسة آلاف سنة : ABCD ابجد KLMN كلمن QRST قرشت .

فليست الثقافة اللبنانية وهماً من الاوهام ، ولكنها حقيقة تقدم كل الكائنات حديثها ، ولا قبلها قبل كخمرة ابن الفارض .

تقدمت موسى وحمورابي وألهمت هوميروماريني وشكسبير ، ولا يزال بعضها حياً في اقدس امانينا . فمن هذه المزرعة المنتشرة على سيف بحرنا ، من هذا الميليمتر من مصور الدنيا الضخم خرج خيال جبار كسا العراة برفيراً وارجواناً ، وبدّل الكهوف بالقصور والهياكل الرفيعة العماد . وصار معلم القرون الاولى .

فمن يصدق ان شعباً عبقرياً كشف اسرار الكون لا يدرك سر احمرار مياه نهر ابرهيم ؟ ان منطق المعتقدات يجتاح دنيا العقول ويكتسحها ... هنيئاً لهم مجدهم الفذ فلا يشوب فخرنا بهم شيء الا انهم لم يعشوا الى ضوء نار الهدى مثلنا ، فضلوا وتاهوا وانهم يعذبون اليوم في جهنم ... واأسفاه !!

أتقولون ان احسانهم الى الانسانية لم يشفع لهم عند ربهم ؟ فلولا ابجديتهم ما قرأنا كتبه المنزلة ، ناهيك ان جهنم عرفت بعدهم ، والقانون لا يشمل ما قبله مدنياً ، ولاهوتياً الجاهل معذور . واخيراً اقول : ما لنا وللجدل العقيم فلنسلم مشاطرين

الاب مرتين اليسوعي ، صاحب تاريخ لبنان ، أسفه العميق لهلاك نفوس اوائل اللبنانيين ، ممدني البشرية ...

كلما بلغت نهر ابرهيم اتخيل نساء بلادي باكيات على تموز . وكلما دخلت جبيل اتمثل الكهنة يندبونه في الشوارع ، حتى اذا بلغت عين كفاع ومررت بكنيستها البعلبكية الاساس اقول في نفسي : من هنا طرد زين الآلهة ادونيس ، ليحل محله ابن أراراط ، اي مار روحانا ، الجالس سعيداً فوق مذبح كنيستنا .

وتتداعى الافكار فتنبري كلمة الاخطل : هو الدين يا اخا العرب ، فأصمت .

غريب ايحاء بلادي ، كل حجر من حجارتها سفر جليل . وان قيل أبهذه الخرافات تفتخر ؟! اجبت : من منا بلا خطيئة فليرجمها بحجر .

خلقت العين البشرية جمالا قبل له كن فكان . اما العين واليد اللبنانيتان فاستلهمتا خيالا لا يضل كالحك الذي اخترعوه ، فابدعتا كونا جديداً حافلاً بطرف الفن وروائع الفكر .

. . . . . .

وأراهم خيالهم السامي ان التطور سنة الحياة واقدس نواميسها ، فداروا مع الزمن محتفظين بخواصهم الاكتسابية والغريزية ، فعدّوا عن لغتهم الهرمة ، وخطبوا لغة بني عمهم الجميلة . نصروها عزيزة ، واحبوها مقهورة ، فبينا كانت كتبها تتدهور في دجلة والفرات وتحمى بها الافران والحمامات كانوا يخبئونها في احشاء كهوفهم — وهل كانت الديورة الا كهوفاً ! — وتنكر لها الناس حتى بنوها الخلصاء ، فآووها هم ونصروها . وافرغوها حلة قشيبة على كتابهم المقدس ، فاحتبت ناعمة البال عن يمين المذبح ، وأمست لغة خيالهم واحلامهم .

تصوروا راهباً لبنانياً — المطران جرمانوس فرحات — ينتقل في أواخر القرن السادس عشر ، بين اعمدة جامع قرطبة ومحرابه ، يتأمل باعجاب واجلال آثار ذلك الفردوس المفقود . أما مات ذلك الراهب عشر موتات قبل بلوغ الاندلس ؟

وتحرك الخيال اللبناني ، بعدحين ، فرأينا كاهناً آخر يركب البحر بينما كان شاعرنا العربي يقول :

لا اركب البحر اخشى علي منه المعاطب
طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائب

الى رومة ابحر السمعاني حاملاً على سفن اجداده حاصلاتنا الثقافية ، وفي مكتبة الفاتيكان هدأ روع العربية الملهوفة، وهناك خلدت ذكر السمعاني كما خلد السمعاني ذكر العرب بما ترجم للبابا اكليمنضوس الحادي عشر . هذا حديث البحر ، وقد احتاج الى معجم كلاروس اذا عمدت الى ذكر الاعلام فلنختصر .

اللبناني ، قديماً وحديثاً ، مطبوع على الاخذ والعطاء . وفلسفة النفس الحديثة تثبت ان للوراثة والجنس تأثيراً في العبقرية ، فاذا ورث الرجل عن ابويه تخيلا شديداً هيأه هذا الاستعداد للشعر او للتجارة والمالية . وصورة العبقرية تختلف بحسب المحيط وهذا ما عملته العبقرية اللبنانية . تعلم اللبناني لغات الغرب ، وعلم الغرب لغات الشرق فكان تبادل الثقافات كتبادل البضائع ينعش الاسواق . وهكذا انتعشت اللغة العربية ووجد المتمشرقون .

ثابت ، علمياً ، ان التطعيم خير الوسائل وأجداها لترقية الانواع . وهذا ما عمله الخيال اللبناني المعاصر في الادب العربي . طعّمه بالثقافات الأخرى فأتمّ ما بدأ به العباسيون الاوائل. والثقافة كالمتجر تنمو وتزداد بالتبادل والعمل المنتج ، واللبناني تاجر عبقري . وصورة الثقافة ، كما قالوا ، تختلف باختلاف المحيط والزمان .

اعترى لغتنا الجميلة شلل كاد يذهب بحياتها وجمالها فتحرك الخيال اللبناني فاذ باليازجي يقف بازاء الحريري .

ثم تحرك الخيال اللبناني وانتفض ذلك العرق الاصيل في احمد فارس الشدياق فخلق الادب الجديد في الفارياق وكشف المخبا ، واخرج لسان العرب من سراديب الحريري ودهاليز القاضي الفاضل .

وتحرك الخيال ايضاً فكان الكشف والاشراق على عقل الشدياق النير فابدع سر الليال ، ثم نفخ في الصحافة نفخة احيتها وكان من ذريته النبيلة اسحق والحداد وعبده وصروف وزيدان وتقلا وغيرهم ممن اعجز عن عدّهم .

وابى الخيال اللبناني ان يستقر فعاد مارون النقاش من اوروبا يحمل الينا المسرح ،

وكان بيته اول مسرح عربي .

وهب المعلم بطرس البستاني يطعّم ويلقح فاخرج من (جنانه) ثماراً جديدة شهية، وجاءنا (بالمحيط) الهاديء ، (والدائرة) التي جعلت منه جماعة في رجل .

ثم ضاقت بالخيال اللبناني ارضه ، كما ضاقت من قبل ، فكانت الهجرة الثانية الى الاقطار التي اكتشفها اللبناني الاول ، فحمل لغته في قلبه ولسانه ، وهب ينشرها في قارات الدنيا الخمس .

للاديان رسل ومبشرون ، واللبناني رسول لغته لا دينه ، ينقل منها واليها . وكما نشر اللبناني الاول ابجديته واختراعاته في دنيا الامس فها هوذا لبناني اليوم ينشر لسانه العربي مبشراً برسالته الخالدة .

وابى الخيال اللبناني ان يهدأ فكانت المدرسة الرومنطيكية الرمزية فخلقت القصة والشعر والنثر الجديدين .

انه لدم جديد لقحت به مدرسة جبران والريحاني ادبنا العربي الحديث فوهبته مناعة ووقاية .

وابى الخيال اللبناني ان يستقر فكانت في لبنان مدرسة شعر جديدة ، فيها ازرقاق البحر ، واخضرار الارز ، وابيضاض الثلج ، واحمرار الشفق ، ووحي الغسق ، والموسيقى البعيدة القرار .

ولا يزال الخيال اللبناني عاملا لا يستقر ، ولن يستقر . فالسديم يصير نجما ، والنجم يمسي كوكباً ، ثم ينطفيء ليشع غيره . لا يتوارى نظام شمسي حتى يظهر وراءه نظام آخر . ان الارض لا تظلم ما دام الخيال ساطعاً .

وكأني بالقاريء ينتفض قائلا : هات لنا مثالا لخيال لا وجود له الا في خيالك.

وانا اجيب : على رأسي ثم عيني .

ان جبران خير مثال للعرق والبيئة اللبنانيين ، قديماً وحديثاً . فالشوق والضباب الجبرانيان من عمل الخيال اللبناني الاول . فسفر التكوين اللبناني، وهو اقدم الاسفار عهداً ، افترض الشوق فاعلا وانضباب منفعلا. فجبران في خلقه وخلقه لبناني اصيل، يدين بالروح والحب . ولكنهما ماديان كما تخيلهما اللبنانيون الاول ، فما المَطْرة نبي

جبران ،غير ميترا روح النورالالهي . وكاني بالعرق اللبناني قد تجمع كله في هـذا الرجل ليجعلة مثالا لثقافته وخياله في عهديها، ويري الناس تطورهما في مسالك العصور.

عندما خطر لي هذا الموضوع خفت جماح العاطفة فافترضت عدة ديكارت هنيهة وقلت : ماذا يحدث لو امحّى لبنان من سفر الوجود ؟

فرأيت السهول اقفرت ، والجنات صارت هشيما ، والقرى والمدن والمدارس امست خراباً ، فقلت : حقاً ان لبنان خزّان الله العظيم .

ثم وثب الخيال وثبة اخرى فافترضت ان نسور هذا الجبل الملهم لم تطر افواجاً افواجاً الى آسيا وافريقيا واوروبا واميركا ، فرأيت ظل العربية يتقلص بعد انتشاره وخلت الدهر يمشي القهقرى ، فارتعت كمن دهمه الغروب صلاة الظهر . فقلت : اذن والله نحن موجودون وليس ما ازعم تبجحاً وابتهاراً .

. . . . . .

فالى التفكير والتأمل ادعو الشباب المثقف والكهول العاملين ، والشيوخ الذين لم يعدموا طراوة النفس . ان الخلق يقتضيكم تأملاً عميقاً ، ونقاشاً صارماً ، وانتقاداً مراً ، وسعياً متصلا. العبقرية هبة واجتهاد وثقافة، والاشراق لا يدركه الا المتأملون.

قال ريبو : المصادفات السعيدة لا تعرض الا لمستحقيها. ففكروا لكي تستحقوها وتنتجوا ثماراً شهية تضعونها بكل فخر على مائدة ادبنا العربي الخالد . والا فانكم تقطعون الجاه الطويل العريض الذي خلعه الخيال اللبناني على لساننا العربي المبين .

فهرست الاعلام

الهمزة

آدم ، ١٦٩
ابراهيم ، ١٤
ابراهيم ، حافظ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٤٩
ابريغون ، ٢٥٩
ابيض ، جورج ، ٢٣
الاثير ابن ، ٧٦ ، ٩٦ ، ١٣٠
احدب ، ٣٢
احنوخ ، ١١٥
الاخطل ، ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ٣٣ ، ٩٥ ، ٢٥٠ ، ٣٠٤
ادريس ، سهيل ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨
اده ، اميل ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢
اده ، الياس ، ١٠٩
ادهم ، اسماعيل ، ٢١٣
ادونيس ، ١٨٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤
آراسم ، ٤٠
ارارط ، ٣٠٤
ارسطو ، ١٦٣ ، ١٧٤
ارسلان ، شكيب ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
ارميا ، ٢٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ، ١٩٦
أريولا ، ٢٨
اسحق ، اديب ، ٣١ ، ٥٨ ، ٩٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥
الاسكندر ، ٢٧
اسماعيل ٥٨
الاسود ابراهيم ٢٤٥
الاسير ، ٣٢
اشعيا ، ٢٧ ، ٩٨ ، ١٥٨ ،
الاصبهاني ، ١١ ، ١٦٣
الاصفهاني ، ٩٦ ، ١٧١
الاعشى ، ٦٩ ، ٢٢٣ ، ٢٩٠
افرام ، ٩٨
افلأطون ، ٥٧
اكليمنضوس ، ٣٠٥
آلن ١٨٦
الياس ، طنوس حنا ، ١٩٨
اليعازر ، ١٤
امرسون ، ١٥٩
امين ، قاسم ، ٢٧ ، ٢٨
انشتين ، ٢١٧
انطون (البطرك) ، ١٠٦ ، ١١١ ،

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧
انطون ، فرح ، ١٧ — ٦٦ ، ١١٦ ،
٢٦٠ ، ٢٦٨
اهرنبورغ ، ١٨٨
ايليا ، ١١٥ ، ٢٥٤ ،
ايوب ، ٤٠ ، ٩٨ ، ١٥٨

الباء

الباروني ، محمود سامي ، ٣٢
باز ، جرجي نقولا ، ٢١
باستور ، ٧
باكون ، ٢٨
البحتري ، ١٢ ، ١٣ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٨٦ ،
٢٣٣ ، ٢٤٨ ، ٢٨٩
بثينه ، ٢٨١
بدر ، ابن ، ٩
برتلو ، ٢٨
برغسون ، ٣٣١
برلام ، ١١٤
بروست ، ٢٤
بستاني ، اميل ، ٢٥٥
بستاني ، بطرس (المعلم) ، ٣٢ ، ١٥٢ ،
٣٠٦
بستاني ، سليم ، ٣٢ ، ٢٦٠
بستاني ، فؤاد افرام ، ١١٧ ، ١٥٥
بستاني ، عبدالله ، ٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨
بستاني ، يوسف ، ٨٢
بشار ، ٩ ، ١٢ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٢٣ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ،
٢١٨ ، ٢٥٠
بشير ، (الامير) ، ١٥٦ ، ١٩٥
بشير ، (الارشمندريت) ٨٥ ، ٨٨ ،
البصام ، صادق ، ١٧٣
بطرس ، (الحواري) ١١٠ ، ١١٧ ،
١٣٩ ، ٢٦٣
بطوطه ، ابن ، ١٨٧
بعيني ، يوسف ، ٢١١ ، ٢١٤
بللمع ، ١٦٠
بلزاك ، ١٨٦
بلويز ، ١٥٩
بنوا ، بيار ، ٨٤
بودلير ، ٢١ ، ٥٨ ، ١٥٨
بوذا ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٤١ ،
بوالوا ، ١٣
بورجه ، ٢٥ ، ١٠٥
بولس (مار) ، ٣٠ ، ١١٧ ، ٢٣٧ ،
٢٧٥

التاء

ترايل ، (بونسون دي) ، ٤٨
الترك ، نقولا ، ١٩٥ ،
تريز ، (القديسة) ، ١١٣
تقلا ، سليم ، ٣٠٥
تقي الدين ، امين ، ٢٤٩
تقي الدين ، خليل ، ٨٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
٢٥٢

تقي الدين ،سعيد، ٢٣٩ ، ٢٤١، ٢٦٥ — ٢٧٢
تمام ، ابو ، ١٣ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٤٧ ، ٢١٤ ، ٢٤٩
التنوري (الاب اغناطيوس) ، ١٠٦ ،
تورجنيف ، ١٣٠
توما ، مار ، ٧٧ ، ١٣٩
التولاوي (القس بطرس) ، ٢٠٠
تولوستوي ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٢٦٣
توين مارك ، ١٨٦
تويني ، جبران ، ٢١٦
تياجم ، بول فان ، ٢٦١
تيمور احمد ، ٢٦٠
تيمور ، محمود ، ١٤٣

الثاء

ثابت ، جودج ، ١٦٠
الثعالبي ، ٢٨٩

الجيم

الجاحظ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١٦٢ — ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢١٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩
جب ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦١
جبران ، ٢١ ، ٦٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٦٠ ، ٣٠٦
الجر ، شكرالله، ٧٩ ، ١٣٨
جرجاني ، ١٨٦
جرير ، ٨ ، ٩ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٢١١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠
الجزائري ، عبد القادر ، ٢٦
جعجع ، طنوس ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٥
جمعه ، محمد لطفي ، ٣٢
الجميل ، قيصر ، ١٠٧ ، ١٠٨
جهل ابو ، ٨٦
جيد ، اندرة ، ١٩٥ ، ٢٦١
جيمس ، فرنسيس ، ٢٠٤

الحاء

الحاج ، البطرك يوحنا ، ١٩٨
الحاقلاني ، ٢٠٠
حبيب ، منصور ، ١٠٤
حبيش ، فؤاد ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٩١
حبيش ، البطرك يوسف ، ١٥٥
حتي ، فيليب ، ٨٦ ، ٩٩ ، ١٢٩

الحجاج ، ٩٥ ، ١٩٥ ، ٢١٥ ، ٢٥٤
حجازي ، ٨٣
الحطيئة ، ٨ ، ١٥ ، ١٢٥ ، ٢١٤
الحداد ، نجيب ، ٣٢ ، ٩٨ ، ١٢٥ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥
الحداد ، الخوري يوسف ، ١١٨ -- ١٢١ ، ٢١١ ، ٢١٢
الحدثوني ، الخوري منصور ، ١٥٥
حرب ، ابن ، ٢٠١
حرب ، طلعت ، ١٥
الحريري ، ١١ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ٣٠٥
حزام ، عروة ابن ، ٢٨٧
حسين طه ، ٣٤ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦
حسن ، محمد عبد الغني ، ١٣٧
الحسين ، احمد ابن ، ١٧٥
الحكيم ، توفيق ، ١٣٠
الحلاّج ، ١١٥
حلزة ابن ، ٨
حمزه ، عبد القادر ، ٢٢
حمورابي ، ٣٠ ، ٣٠٣
حمولي ، عبده ٢٨
الحميد ، عبد ، ٩٥
حنيفة ابو ، ٢٨٣
حواء ، ١٠٥
الحواراني ، ١٣٨
الحويك ، البطرك الياس ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ، ١٩٨ ،
الحويك ، يوسف سعدالله ، ١١٩ ، ١٢٠
الحيدري بلند ، ٢٩٦

الخاء

الخازن ، رشيد ، ٢٨١
خالد ، محمد توفيق ، ١٥٧
خالويه ابن ، ٢٠
الخصيب ، ١٣
الخطاب ، عمر بن ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ١١٧ ، ١٥٠ ، ٢١٤
خلدون ابن ، ١٢١ ، ٢٢٤ ، ١٥١ ، ١٨٦ ، ٢٢٢
الخليل ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢
الخنساء ، ١٢٥
الخوارزمي ، ٢٩ ، ٩٢
الخوري ، بشاره ، ٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٩٢
خوري ، رئيف ، ١٩٢
الخوري ، شبل عيسى ، ٨٤
الخوري ، شكري ، ٧٥
الخيام ، ٧٩

الدال

داروين ، ٢٧
دانتي ، ٣١ ، ٢٣٥
دانيال ، ٨١
داود ، ٦٩ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤

داوردروث ، ١٥٩
الدباغ ، ابراهيم ، ٣٤
الدحداح ، سليم خطار ، ٥٦
دريبر ، ٢١٧
دعبل ، ٧٤
دموس ، حليم ، ٧٥
دوستوفسكي ، ١٣٠ ، ١٨٦ ، ٢٦٣
دوماني ، جورج ، ٣٢
ديكارت ، ١٦٦ ، ٣٠٧
ديكنز ١٨٦
ديماس ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ١٢٩
ديهاميل ، جورج ، ٢٩٠

الراء

راحيل ، ١٢٤
رافايل ، ٢٣٧
الرافعي ، ١٥ ، ٢٨ ، ٢١٦
ربيعة ، عمر ابن ابي ، ١٢ ، ٨٥ ، ٨٧
٩٥ ، ١٠٣ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٦٩ ،
١٩٠ ، ١٩١ ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢١٢
٢٨٧ ، ٢٨٨
رحمه ، الخوري اسطفان ، ٨١
رحمه سليم ، ١٠٤ ، ١١٢
رحمه ، الخوري فرنسيس ، ٨٤
رشد ابن ، ٢٣ ، ٢٩
الرصافي ، ١٧٨ ، ٢٤٨
رنان ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩
٣٠ ، ٦٥ ، ١٨٦
روبرت ، ١٣٥
روحانا ، مار ، ٣٠٤
روستان ، ٢٩
روسكين ، ٢١ ، ٢٧ ، ٦٥
روسو ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ١٥١
الرومي ، ابن ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٧٦
٩٥ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٨٣
ريبو ، ١٢٥ ، ٣٠٧
الريحاني ، امين ، ٢٦ ، ١٠٧ ، ١٢٢
١٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٦
ريشه ، عمر ابو ، ٧٨

الزاي

زائدة ، معن بن ، ٩١
زريق ، ابن البغدادي ، ٧٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
زكريا ، ٢٢٧
زهير ، ابن ابي سلمى ، ٨ ، ٩٤ ، ١٢١ ،
٢١١ ، ٢٨٣
الزيات ، احمد حسن ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨ ،
٧٦ ، ٨٧ ، ٢١٦
زياد ، ٢٢١ ،
زيدان ، جرجي ، ٣٢ ، ٨٩ ، ٩١ ،
٢٢٥ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥
زيدون ابن ، ٢٢٨ ، ٢٩٤
زين ، بولس ، ٢٤٥ ،
زين العابدين ، ١٠٣

السين

سان بيار ، برناردين ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٨٧
سحبان ، ١٤
سطيح ، ١٦٥
سلمى ، زهير ابن ابي ، ١٢
سليمان ، ١٩٠ ، ٢٣٣ ، ٢٧٤
سليمان فؤاد ، ٢٠٦ — ٢١٠
السمعاني ، ٢٠ ، ٣٠٥
سنيكا ، ٦٤
سوريل ، جورج ، ٨٨
سيبويه ، ٢٥٢ ، ٢٧٢
سيف الدوله ، ١٣ ، ٢٨٦
سكيث ، ١٥٩
سيمون ، جول ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٦٤
سينا ابن ، ١٧٣ ، ١٧٤

الشين

شاتوبريان ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٦١
شارم ، كابريال ، ٨٤
شاول ، ٦٩ ، ١٧٨
شبكه ، الياس ابو ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٢ ، ٢٠١ — ٢٠٥
شحيبر ، انطون ، ٢٢
الشدياق ، احمد فارس ، ١١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٤١ — ١٦١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥
الشدياق ، اسعد ، ١٥٥ ، ١٦٠
الشدياق ، طنوس ، ١٥٥ ،
شق اغار ، ١٦٥
شكسبير ، ٢٨ ، ٧٦ ، ١٦٤ ، ٢٨٠
شكور ، الخوري مارون ، ١٩٧ ، ١٩٨
شمشون ، ٢٥٢
شمعون ، جوزف ، ١٥٠
الشميل ، ٢٠ ، ١٢٤ ، ١٥٢
الشنفرى ، ٢٢٥
الشنتيري ، ٢٣٠
شهلا ، حبيب ابو ، ٩٤ ، ١٦٠
شو ، برنارد ، ٢٢
شوقي ، احمد ، ١٢ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٩٦ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٤٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠١

الصاد

صادق ، خليل ، ٨٤ ، ١٠٥
صبري ، اسماعيل ، ٣٢ ، ٧٩ ، ١٢٤
صروف ، يعقوب ، ٢٠ ، ٢٦٠ ، ٣٠٥
صعب ، الخوري بطرس ابو ، ٣٧
صعب ، حنا ابو ، ٢٣٠
صعب ، الخوري يوسف ابو ، ٢٣٠
صفرونيوس (البطريرك) ٥٥
صفوره ، ١٣٥ ،
الصلت ، امية ابن ابي ، ٨٢

صموئيل ، ١٧٨
صيفي ،اكثم ، ١٤

الضاد

ضاهر ، بربر حنا ، ٠٧
ضاهر ، مجيد حنا ، ١٠٤
ضاهر ، نسيم حنا ، ١٠٣
ضعون ، توفيق ، ٧٨
ضودج ، ١٥٧
ضومط ، جبر ، ٢٢

الطاء

طراد ، ميشال ، ٢١٠
طرفة ، ٨ ، ٩
طه ، محمود علي ، ٢١١ ، ٢١٤
طهرا بك ، ٨٢

العين

العاص ، عمر ابن ، ١١٧
عباد ، الصاحب بن ، ١٧٧ ، ٢٦٣
العبد ، ميشال ، ١٠٦
عبده ، محمد ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٩٥
عبود ، مارون ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩٠٧٩
٩٣ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢١
١٢٨ ، ١٠٠ ، ٢٣٩
عبيدة (ابو) ، ٥٦ ، ٦٠
عثمان ، بهيج ، ١٧٢
عز الدين ، يوسف ، ١٧٣
عفان ، عثمان ابن ، ٩٢
العقاد ، عباس محمود ، ١٥ ، ٣٤ ، ٥٨
٧٢ ، ٧٦ ، ٢١٦
عقل ، سعيد ، ٢٥٧ ، ٢٧٤
عقل ، وديع ، ٢٤٩
عقيل ، ابن ، ٢٧٢
العلايلي ، عبدالله ، ٢٥٦ — ٢٥٩
عمر ، عبد العزيز ، ١٣
عمون ، داود ، ١٥٢
العميد ، ابن ، ٩٥ ، ١٦٣
عنترة ، ٧ ، ٨٣ ، ٩٤

الغين

غاليلو ، ١٨٦
غانم ، خليل ، ٢٠٠
غوبلز ، ١٦١
غراب ، حسني ، ٧٨
غليوم ، ٣٠
غوته ، ٤٩ ، ١٠٥ ، ٢١٠
غوركي ، مكسيم ، ٣١
غورو ، ١١٥

الفاء

فاخوري ، عمر ، ١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٥٢ ،
١٨٥ — ١٩٦
الفارابي ، ١٧٤
الفارض ابن ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ٢٧٨
فارس ، فيلكس ، ٢٤

الفاضل ، القاضي ، ١١، ٣٠٥
فاكه ، ٣١
فارلين ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٨٧
الفخري ، ١٠٤
فراس ، ابو ، ٩٥ ٢٣٤
فرانس ، اناتول ، ٥، ١٨٦
فرجيل ، ٢٧٧
فرحات ، المطران جرمانوس ، ٣٠٤
الفردوسي ، ١٧٦، ١٧٧،
الفرزدق ، ٩ ، ٨٥، ٩٥، ١٠٣، ٢١١ ،
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
فريحه ، سعيد ، ٢٥٢—٢٥٥
فيصل ، الملك ، ١٧٨
الفيصل ، عبدالله ، ٢٨٣—٢٩٧
فكتوريا ، الملكة ، ٢٤٦
الفغالي ، المطران بطرس ، ١٩٧
الفغالي، المونسنيور مخايل ، ١٩٧—٢٠٠
فلامريون ، ٣٠
فلوبير ، ١٨٦ ، ٢٦٣
فورد ، فيلكس ، ٢٨
فورونوف ، ١٠٤
فولتير ، ٦٢ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٧٠
فياض ، نقولا ، ١٢٤ ، ٢٥٠
فهمي ، منصور ، ١٢٢
الفيروزابادى ، ٧٣

القاف

قابوس ، ابو ، ٩٤
القارح ابن ، ٢٢٤
قارون ، ٢٨٦
قباني ، نزار ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
قزحيا ، ١٠٣
قس ، ١٤
قنصل ، الياس ، ٧٨
القيس امرؤ ، ٧، ٨، ٩، ٩٤، ١١٣، ١٥٠،
٢٣٥، ٢٨١، ٢٩٠
الكاظمي ، عبد المحسن ، ٢٣٢
كافور ، ١٣، ٦٤
كبلنغ ريدر ، ٢٨، ١٨٦
كراتشكوفسكي ، ٧٥، ٧٦، ٨١
كرامه ، بطرس ، ٣٢
كرم ، يوسف بك ، ٤٦
كلثوم ، عمرو بن ، ٧٨، ٨٢، ٢٨٣
كمال ،مصطفى ، ١٩
كمبفماير ، ١٨١، ١٨٢
كنعان ، حليم ، ١١٦
كنيدر ، ٢٥٢
كونت اوغست ، ٢٩
كورنيل ، ١٣

اللام

لابروير ، ٢٦
لافونتين ، ١٠١
لامنس ، ١٨١—١٨٤
لهب ابو ، ٨٦
لبكي ، صلاح ، ٢٨٧، ٢٩١ ، ٢٩٥

لوط ، ٤٣ ، ١٩٥
لي ، ٧٧

الميم

المأمون ، ١٢
ماركس، كارل ، ٢٢ ، ٢٤، ٤٢
المازني ، ابرهيم عبد القادر ، ٧٦، ٢١١، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ — ٢٢٠
ماسويه، ابن ، ١٧٠
المتنبي، ١٠، ١٢، ١٣، ٧١، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٩٥، ٩٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٦٢، ١٧٥ — ١٧٨، ١٨٦، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٩٢
محرم ، احمد، ٢٢
محمد (النبي) ٤١، ٧٨، ٢٠٩، ٢٣٨
مراد ، يوسف ، ٤٥
مراش ، فرنسيس ، ٣٢
مرعب ، يوسف ، ٧٨
مروان ، ٩٢، ٢٥٤
مريم، المجدلية ، ٦٤، ٦٥
مسره ، جورج ، ٧٨
مسعود، حبيب ، ٧٩
المطران، خليل، ٢١، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٧
مظفر باشا ، ٢٤٥
المعري ، ١١، ٩٨، ١٤٥، ١٦٣ ، ١٧٤، ١٧٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٣
الملائكة ، نازك، ٢٩٦
المعتز، ابن ، ١٦٢، ١٧٣
معدي كرب ، عمرو ابن ، ٥٥
المعز ، ٣٣
معلوف ، شفيق ، ٧٨
معلوف ، فوزي، ١٥٢
معمر ، جميل ابن ، ١٢٩
المقفع ، ابن ، ٩٦، ١٧٤
مكرزل ، يوسف ، ٧٥
الملاط ، تامر ، ٥٢، ٢٤٥
الملاط ، شبلي، ٢٤٤ — ٢٥١
المندر ، ابراهيم، ٨٧ — ٩٠، ٢٤٥
منصور، ابن ، ٢٣٣
منصور، فهمي ، ٣٤
منظور ، ابن ، ٢٥٢، ٢٥٧
المنفلوطي ، ٢١، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١، ٩٢، ٩٦، ٢٢١ — ٢٢٦
مواب ، ٤٣
موبسان ، ٢٦٣
موريلك ، فرانسوا ، ٣٤
موسى ، ٤١، ١٢١، ١٣٥، ٢٦٨، ٢٧٧، ٣٠٣
موسى ، سلامه ، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣
موليير ، ١٦٣، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ١٧١
مونتسكيو ، ٦٠
المهدية ، منيرة ، ٢٢، ٢٣
مي ، ١٠٧، ١٢٢ — ١٣٧

ميترا ، ٣٠٧
ميشلين ، ١٠٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠

النون

النقاش ، مارون ، ١٥٠، ٣٠٥
النابغة ، ٢٨٣
نابليون ، ١٦٠
الناكوزي ، اسكندر ، ١٢٧
نجم ، المطران يوسف ، ١٩٨
نخله ، امين ، ٢٧٤ — ٢٨٣
نعمي ، ٤٣
نعيمه ، مخايل ، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠
نواس ، ابو ، ١٠، ١٢، ١٣، ٧٩، ٥٢، ١٢٨، ١٥١، ١٧٠، ١٨٦، ٢٤٧، ٢٨٠
نوح ، ١٥١
نون ، يشوع ابن ، ١١٣
نيتشه ، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٦٤، ٦٥، ٨٦
نيوتن ، ٤٢

الهاء

هارست ، ٣٠
هاليفي ، ٣١
هاني ، ابن ، ٢٨١
هانوتو ، ٢٩
هبنقه ، ١٨٦
هرقل ، ٥٦
هركيل ، ٣٠٢
هسكل ، ماري ، ١٠٧
الهمذاني ، بديع الزمان ، ٩٤، ٩٦، ١٢١، ١٦٣، ١٧٤، ٢٧٧
هوميروس ، ٢٧٧، ٣٠٣
هيجل ، ١٨٦، ٢١٧، ٢١٨
هيغو ، ١٤، ٢٨، ٢٩، ٨٦، ٩٩، ١٥٩، ٢٤٩
هيردبا (دى) ٧٦
هيكل ، حسين ، ٣٤ ، ١٧٧، ٢١٦

الواو

وارين ، ٣٠
الواقدين ، ٥٧
الوليد ابو الفضل (الياس طعمه) ٢٢٧ — ٢٤١

الياء

اليازجي ، ابراهيم ، ٣٢، ١٥٢، ٢٤٥
اليازجي ، ناصيف ، ٣٢، ٣٠٥
ياناقوس ، بابادي ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
يزبك ، يوسف ، ٢٦ ، ٣١
يزيد ، ١٦٢
يسوع ، ٤٠، ٤١ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٩٩، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٠، ١١٥، ١٢٨،

١٣٢ ، ٢٣٤
يعقوب ،الشاعر السرياني ، ٩٨
يعقوب ، ٢٧٩
يكن ، ولي الدين، ٢١ ،٣٢،٩٦،٢١٤،
يهوديت ، ٢٤٦
يوحنا،الحبيب ،١٢٢،١٣٩ ،١٥٨،١٥٩
يوسيفوس ،المؤرخ ، ٥٢
يوناتان ، ٢٧٤



فهرست الكتاب

	صفحة
الادب الساخر	٧
ادب الظل	١٢
فرح انطون	١٧
سيرته وآثاره واثره	١٩
في مجلته الجامعة	٢٥
فرح انطون القصصي	٣٢
الحب حتى الموت	٣٦
الوحش الوحش الوحش	٤٤
اورشليم الجديدة	٥١
مريم قبل التوبة	٦٤
حول جبران ومي	٦٧
بين عين كفاع وعاليه	٦٩
جبران خليل تقي الدين	٨٢
جبران عكاظ الحكمة	٨٩
لذكرى جبران الخالد	٩٤
جبران اللبناني	٩٨
في مدينة جبران	١٠٣
من اجل الادب	١٠٩
خطبة بشري	١١٤

	صفحة
الحداد وجبران	١١٨
شيء عن مي	١٢٢
ما بين مي وجبران	١٢٧
الى شكر الله الجر	١٣٨
الشدياق والجاحظ والمتنبي	١٤١
ضريح الشدياق	١٤٣
الشدياق بين مصر ولبنان	١٥٠
يوبيل مئوي لكلمة	١٥٤
الشدياق وهيغو	١٥٩
ابو الادب العربي	١٦٢
ليلة جاحظية	١٦٧
ابو عثمان وابو علي	١٧٣
زيارة شاعر	١٧٥
قادة ذهبوا	١٧٩
الاب هنري لامنس	١٨١
عمر فاخوري	١٨٥
عمر في يومه الاسود	١٨٩
في ذكرى عمر	١٩٤
المونسنيوز فغالي	١٩٧

b.12374891
i.13726419

	صفحة
بو شبكه الكاتب	٢٠١
فؤاد سليمان الاديب الشاعر	٢٠٦
خمسة في عام واحد	٢١١
ابرهيم عبد القادر المازني	٢١٦
المنفلوطي ورسالة الغفران	٢٣١
ابو الفضل الوليد (الياس طعمه)	٢٢٧
في المضمار	٢٤٣
ديوان الملاط	٢٤٤
جعبة الصياد	٢٥٢
معجم العلايلي	٢٥٦
حول القصة	٢٦٠
سعيد تقي الدين	٢٦٥
دفتر الغزل (امين نخله)	٢٧٤
وحي الحرمان (الامير عبدالله الفيصل)	٢٨٣
يقظه ونهضة	٢٩٩
الخيال اللبناني	٣٢١
فهرست الاعلام	٣٠٨

تم طبع هذا الكتاب في المطبعة التجارية
بيروت ـ شارع المارسلياز ـ تلفون ٢٤٧٣٩

٢٠ / ٨ / ١٩٥٤

AUC - LIBRARY

DATE DUE

A.U.C

PJ
7538
A17
1954

- FEB 1972

1000008687 5